

طرابلس الغرب

في الماضي والحاضر

بقلم

راسم رشدي

مساعد مدير مكتب رئيس الوزراء

للمملكة الليبية المتحدة

سابقاً



طرابلس (ليبيا)

١٩٥٣

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES



طائر البلسر الغريب

في الماضي والحاضر

بقلم

رايم رشدي

مساعد مدير مكتب رئيس الوزراء
للمملكة الليبية المتحدة (سابقاً)

جميع الحقوق محفوظة لل المؤلف

الطبعة الأولى

١٩٥٣



المَلِكُ إِدْرِيسُ الْأَوَّلُ
مَلِكُ الْمَمْلَكَةِ اللَّيْبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ

[تصوّر أوّل]



حضرة السيد المحترم الرئيس محمود المنصور
رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية



صورة المؤلف



حلة الكسكسي

بريشة الفنان الطرابلسي
السيد فؤاد الكعبازي
المهندس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

960.5
R 89

مِيقَاتُ الصَّلَاةِ وَالْإِسْلَامِ

تَرْغِيمُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى تَعْلِيمِ الْإِسْلَامِ وَتَرْغِيمُ الْإِسْلَامِ إِلَى تَعْلِيمِ الْإِسْلَامِ

المقدمة

عكفتُ ، منذ أن هبطت هذه البلاد الجميلة ، على دراسة تاريخها وأحوالها ، والتعرف على معالمها وآثارها ، فقامت لهذا الغرض بعدة رحلات داخل البلاد ، وجلت في أطرافها ، كما اتصلت ببعض الشخصيات ورجالات البلد المعروفين ، ودرست أحوال السكان وعاداتهم عن كثب ، وراجعت الكثير من المؤلفات والنشرات والتقارير بلغات مختلفة ، فتجمعت لدىّ بذلك مادة هي نتيجة تلك الدراسات مجتمعة ، رأيت أن أضعها بين يدي قراء العربية تعميماً للفائدة ، وخدمة للعلم والتاريخ ، علّني أكون بذلك قد أديت بعض الدين الذي علىّ لهذه البلاد المضيافة الجميلة ، وسكانها الأجلاء الكرام .

وقد عاونني في إعداد بعض مواد هذا الكتاب ومراجعتها إخوان كرام ، كما أمدّوني ببعض المعلومات التاريخية والاجتماعية المفيدة ، وأكثرها يكتب وينشر لأول مرة . فلهؤلاء شكري الجزيل ، إذ لولا مساعداتهم القيمة ، وإرشاداتهم الحكيمة ، لما استطعت أن أقدم هذا الكتاب إلى قراء العربية اليوم .

راسم رشدي

طرابلس الغرب ، أول يناير سنة ١٩٥٣

16547E

APR 12 1955

LMR

المراجع

مصادر عربية :

- ١ — العبر وديوان المبتدا والخبر ، لابن خلدون — القاهرة ١٢٨٤ هـ
- ٢ — المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، الجزء الأول ، لأحمد بك
النائب الأنصارى — استانبول ١٣١٧ هـ
- ٣ — رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيه إلخ — الجزء الأول —
تأليف أبو بكر عبد الله بن أبي عبد الله المالكي . قام على نشره
الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١
- ٤ — فتح العرب للمغرب ، للدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٤٧
- ٥ — منشورات بعثة الأمم المتحدة للمساعدة الفنية في ليبيا :
(أ) التقرير السنوى الثانى لمندوب الأمم المتحدة في ليبيا :
طرابلس ، أكتوبر ١٩٥١
(ب) التقرير التكميلى للتقرير السنوى الثانى — طرابلس ،
يناير ١٩٥٢
(ج) تقدير عام للاقتصاد الليبي ، للمستتر جون لندبرج ،
طرابلس ١٩٥١
(د) تقرير عن الأحوال الصحية والخدمات الصحية في ليبيا ،
للدكتور د . ك . لندسى (منظمة الصحة العالمية) طرابلس
أبريل ١٩٥٢
(هـ) تطور ليبيا الاقتصادية والاجتماعى ، للبروفسور بنجامين
هجنز ، طرابلس ، يوليو ١٩٥٢

مصادر أجنبية :

- 1 — Annales Tripolitaines, par Mr. L. Charles Féraud (Paris 1927)
- 2 — A Short Historical and Archaeological introduction to Ancient Tripolitania, by Mr. D.E.L. Haynes, Tripoli 1949.
- 3 — History of education in Tripolitania, by Mr. A.J. Steele-Greig, Tripoli, 1948.
- 4 — Libia - Guida D'Italia del Touring Club Italiano, Milano 1937

٧١٦١ هـ - راجع لكتابنا

٦ - راجع لكتابنا - راجع لكتابنا - راجع لكتابنا

٧ - راجع لكتابنا - راجع لكتابنا - راجع لكتابنا

١٥٦١ هـ - راجع لكتابنا

٧٥٦١ هـ - راجع لكتابنا

٨ - ليبيا في قديمها - ليبيا في قديمها

١ - ليبيا في قديمها - ليبيا في قديمها

١٥٦١ هـ - راجع لكتابنا

٢ - ليبيا في قديمها - ليبيا في قديمها

٧٥٦١ هـ

٣ - ليبيا في قديمها - ليبيا في قديمها

١٥٦١ هـ

٤ - ليبيا في قديمها - ليبيا في قديمها

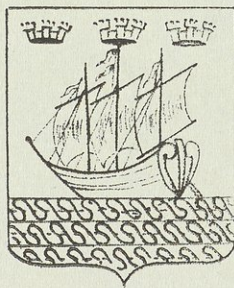
٥ - ليبيا في قديمها - ليبيا في قديمها

٧٥٦١ هـ

٦ - ليبيا في قديمها - ليبيا في قديمها

٧٥٦١ هـ - راجع لكتابنا

طرابلس الغرب
في الماضي والحاضر



تمهيد

المملكة الليبية المتحدة

طرابلس الغرب هي إحدى الولايات الثلاث التي تتشكل منها المملكة الليبية المتحدة .

وتغطي أراضي المملكة مساحة قدرها ١,٧٥٠,٠٠٠ كيلومترا مربعا ، وهي حوالى ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا ، واقعة بين البحر الأبيض المتوسط شمالا ، وأفريقيا الفرنسية الاستوائية والغربية جنوبا ، وبين مصر شرقا وتونس غربا . وتشمل جزءاً كبيراً من الصحراء الممتدة شرقا حتى وادى الفيل ، وغربا حتى جبال الأطلس . ومعظم المناطق المسكونة واقعة فى الأجزاء الشمالية للمملكة ، حيث يلطف هواء البحر جو الصحراء القارى ، وفى هذه الأجزاء ، التي تتألف من الساحل الطرابلسى ، والجبل ، وسهول برقة ، يقيم حوالى ٩٥ بالمائة من مجموع السكان . أما الولايات الأخرى اللتان تتألف منهما المملكة الليبية المتحدة فهما برقة وفزان .

فأما ولاية برقة ، فمساحتها تربو على ٧٠٠,٠٠٠ كيلومترا مربعا ، وتقع بين صحراء مصر الغربية شرقاً وطرابلس الغرب غرباً ، وتمتد جنوباً حتى حدود السودان المصرى الإنجليزى وأفريقيا الفرنسية الاستوائية . وأكثر هذه المساحة صحارى مجربة ، فيما عدا الجزء الشمالى منها الذى يتكون من سلسلة من التلال السكسية والسهول الخضراء الخصبة ، أشهرها على الإطلاق منطقة الجبل الأخضر المشهورة بجودة أرضها وطيبة هوائها . وتروى هذا الجزء الأمطار الموسمية وعدد من الجداول والعيون المتفجرة ، وبذا كان صالحاً لزراعة الأشجار المثمرة والحبوب على السواء ، كما أن جزءاً كبيراً

من نجد برقة يصلح لرعى الماشية ، التي يعتمد عليها سكان هذا الأقليم — إلى حد كبير — في معيشتهم واقتصادياتهم .

وتتخلل الواحات الخضراء المناطق الصحراوية الجنوبية ، وينبت فيها النخيل ، كما تزرع فيها بعض الخضروات .

ويمتاز نجد برقة على إقليمى طرابلس وفزان ببعض المزايا الطبيعية ، نظراً لارتفاعه وامتداده إلى البحر المتوسط . فمتوسط حرارة الصيف فيه أقل بمقدار ٤ درجات بالنسبة لأقليم طرابلس ، و ٦ درجات بالنسبة لأقليم فزان ، وذلك بفضل نسيم البحر والارتفاع ، كما أن أمطار الشتاء والرطوبة فيه أكثر مما هي عليه في سائر الأقاليم الأخرى . إلا أن المياه الجوفية عميقة جداً في برقة ، والأرض مشقة شقوقاً غائرة ، مما يجعل الحصول على المياه في حالة انحباس الأمطار من أشق الأمور .

ويقدر عدد سكان برقة بحوالى ٣٢٠ ألفاً ، كلهم عرب مسلمون ، فيما عدا أقلية صغيرة من الإيطاليين والطوائف الأخرى ، لا يتجاوز عددهم الخمسمائة .

وينقسم عرب برقة إلى تسع قبائل تعرف بقبائل « سعدى » ، وهى تزعم أنها من سلالة بنى هلال و بنى سليم الذين غزوا البلاد في القرن الحادى عشر . وثمة جماعة أخرى تعرف « بالمرابطين » ، مكونة من مزيج من العرب والبربر والإغريق ، وعناصر أخرى متفرقة داخل البلاد . وأهم المدن في برقة هى :

بنغازى — ثانية مدن المملكة الليبية بعد مدينة طرابلس ، وهى عاصمة الولاية ، والعاصمة الصيفية للمملكة . سكانها حوالى الـ ٦٥٠٠٠ عدداً يشتغلون بالتجارة وفلاحة الأراضى وبعض الصناعات الخفيفة . وقد أوقعت الحرب أضراراً بليغة بالمدينة ، فتهدم عدد كبير من دورها ، وهجرها بعض سكانها ، وتوقفت بعض دور الصناعة فيها . إلا أنها أخذت الآن فى النهوض تدريجياً ، ويرجى أن تتغلب المدينة على مآسى الماضى فى وقت قريب .

وفي بنغازى قصران للملك إدريس الأول ، أحدهما فى ضاحية « بنينا » التى تبعد حوالى ١٥ كيلومتراً عن المدينة ، ويسمى « قصر الغدير » ، والثانى فى قلب المدينة ، ويطل على أهم شوارعها ، شارع الاستقلال ، ويسمى « قصر المنار » .
وتعتمد مدينة بنغازى فى تجارتها على معاملاتها مع مصر ، فتصدر إليها الماشية ، وتستورد منها المصنوعات القطنية والجلدية وغيرها .

دِرْنَة — ثانية المدن الرئيسية فى برقة ، ويبلغ عدد سكانها حوالى العشرين ألفاً . وقد اشتهرت درنة بعيونها الجارية وقنواتها المائية التى تخترق المدينة وتروى الحدائق والبساتين المحيطة بها . وتصدر درنة الموز الدرناوى المشهور ، والفواكه والخضروات ، كما أنها ذات جو معتدل صيفاً وشتاء .

ومن الصناعات المشهورة فى درنة صناعة صيد الأسفنج ، ويقوم به جماعة من اليونانيين . كما أنها اشتهرت كذلك ببعض الصناعات الخفيفة ، مثل صناعة الحوالى (الجرد) والأحذية البلدية وبعض الصناعات الجلدية الأخرى .

طَبْرَق — الميناء البحرى الطبيعى . سكانها حوالى سبعة آلاف نسمة ، يعيشون على التجارة والزراعة . وقد اشتهرت طبرق بطيبة هوائها ، كما أنها — لموقعها الجغرافى — نقطة ارتكاز هامة فى التجارة بين مصر وبرقة .

ويشرب سكان طبرق من مياه « عين العودة » ، وهى مياه معدنية مرّة المذاق قليلاً .

المرج — مدينة زراعية مشهورة ، واقعة وسط سهل زراعية غنية تسمى « بنطع المرج » عدد سكانها حوالى الستة آلاف نسمة ، يعيشون كلهم على فلاحه الأراضى وتربية الماشية .

شحات — مدينة أثرية قديمة أسسها اليونانيون القدماء . وكانت فيها جامعة إغريقية مشهورة ، ولا تزال آثار الإغريق ماثلة فيها حتى الآن .

وتقوم مدينة شحات على قمة جبل مرتفع ، تحيط بها بساتين الفاكهة من أجود الأنواع .

سوسة — مدينة صغيرة واقعة على البحر ، وبعضهم يطلق عليها اسم « أبولونيا » نسبة إلى الإله الإغريقي أبولو . يسكنها مسلمون من أصل يوناني معروفون في برقة باسم « الكريتلية » ويعتمدون في معيشتهم على التجارة فقط .

* * *

وأما ولاية فزان ، فمساحتها حوالى ٨٠٠.٠٠٠ كيلومتر مربع ، واقعة بين الجزائر وتونس غرباً وأفريقيا الفرنسية الغربية وأفريقيا الفرنسية الاستوائية جنوباً ، وولاية برقة شرقاً ، وولاية طرابلس الغرب شمالاً . وأكثرها منخفضات رملية قاحلة تتخللها بعض الواحات الغنية بأشجار النخيل ، وبعضه من النوع الممتاز الصالح للتصدير . ويقع الجزء الأكبر من السكان في هذه الواحات ، وفي بعض المواقع الصغيرة ، وأهمها « سبها » وهي عاصمة الولاية وسكانها يزيدون قليلاً على الألف نسمة ، ومرزق المعروفة ببarris الصحراء ، وغدامس ، وغات ، وهم يعيشون على الزراعة ورعى الماشية وجنى النخيل وبعض الصناعات الخفيفة . وقد أفق الخبراء بقدرة الأرض في بعض مناطق فزان على الإنتاج إذا ما توفر الماء . ويقال أن المياه الجوفية توجد في بعض المناطق على عمق يتراوح بين ١٥ و ٣٠ قدماً من سطح الأرض .

ويقدر عدد سكان فزان بحوالى ٤٢.٠٠٠ نسمة ينتمون إلى مزيج من الأجnas . ففي الشمال توجد القبائل العربية البدوية ، التي تعيش على رعى قطعائها على طول المجارى النهرية بين فزان وإقليم طرابلس الغرب . ويكثر البربر في الشمال والغرب ، كما أن بعض قبائل الطوارق تسكن المناطق الغربية والجنوبية .

و يوجد عدد من قبائل التبو الرحل فى جوار مرزق وحدود تيبستى . وكل هذه القبائل تدين بالدين الإسلامى ..

وقد اشتهر « الفزازنة » عموما بأمانتهم المطلقة ، وميلهم إلى المرح والموسيقى .

نظام الحكم :

ليبيا دولة ملكية وراثية ، شكلها اتحادى ونظامها نيابى . ويتألف برلمانها من مجلسى نواب وشيوخ ، ويقوم بشئون الحكم فى كل من الولايات الثلاث حاكم معين من قبل الملك ، يلقب بالوالى ، يعاونه مجلس نظار يعينهم الملك أيضاً . كما أنه لكل ولاية مجلس تشريعى منتخب ، ودستور داخلى خاص .

ولكل من الحكومة الاتحادية والولايات اختصاصات حددها الدستور ، كما سيجب . بيان ذلك فى فصل آخر من هذا الكتاب .

ويجلس على عرش المملكة الليبية المتحدة الملك محمد إدريس المهدى السنوسى الملقب بالملك إدريس الأول . وفيما يلى نبذة مختصرة عن حياة هذا العاهل العظيم ، والمجاهد الفذ الكريم .

الملك إدريس الأول

ينحدر الملك إدريس الأول من العائلة السنوسية الشريفة ، ويتصل نسبه بالنبي (ص) ، وهو ابن السيد المهدي السنوسي ، وجدّه السيد محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية المشهورة . وقد ولد ، حفظه الله ، في الجنوب في العاشر من رجب سنة ١٣٠٧ هـ ، (١٢ مارس سنة ١٨٩٠ م) . وفي سن الرابعة ، أخذه والده إلى الكفرة حيث تلقى علومه الأولية ، ثم انتقلا إلى السودان في سنة ١٣١٧ هـ . فلما توفى والده ، ولم يتم السنة الرابعة عشرة من عمره المديد ، عاد حفظه الله إلى الكفرة سنة ١٣٢١ هـ ، وعكف على الدراسة والاستزادة من علوم الفقه والدين وشقى العلوم الحديثة .

وفي عام ١٩١٤ ، خرج إلى الحجاز حاجاً ، فدعاه خديوي مصر عباس حلمي الثاني للنزول ضيفاً عليه في قصر رأس التين بالإسكندرية . وفي مكة ، استضافته السلطات التركية ، واحتفى به الأهلون ، كما استقبله الشريف حسين شريف مكة ، استقبالا حاراً يليق بمكانته .

وبعد عودته إلى وطنه في نفس العام ، بايعه البرقاويون بالأمانة عليهم ، واتخذ أجدابية عاصمة لحكومته . وفي هذه الأثناء منحه السلطان رتبة الباشوية من درجة وزير ، مع الوسام العثماني المرصع رفيع الشأن .

ولما اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى ، كانت البلاد في أشد حالات الحرج والاضطراب . فقد توالى على برقة كوارث الجراد والقحط ، وكان قتال الإيطاليين على أشده يذكي ناره السنوسيون ورجال القبائل . وفي غمرة هذه الحوادث ، برهن سمو الأمير آنذاك على حنكة بالغة وصفات سياسية نادرة . فقد وجد أنه لم تعد هنالك فائدة ترتجى من الكفاح المسلح ، وأخذ يفاوض الإيطاليين من أجل إنهاء الحرب

رئيساً ثمين لاستثنائها فرصة أخرى أكثر ملائمة . ووقع لهذا الغرض اتفاقاً مع الحكومة الإيطالية عام ١٩١٧ . وبموجب هذا الاتفاق اعترفت الحكومة الإيطالية بأمانة السيد إدريس السنوسي على برقة ، واستقلال السنوسيين داخل بلادهم . وفي عام ١٩٢٠ ، أمرت الحكومة الإيطالية بأن يعامل سموه معاملة ممتازة ، على أن يكون مكانه « أشرف مكان بعد الوالي . فإذا قدم مدينة بصفة رسمية وجب إطلاق المدافع إكراماً له ١٧ طلقة ، وتؤدي له التحية العسكرية الجارية بها العادة ، إلى أن سمو الأمير ، الذي كان هدفه استقلال بلاده التام وإخراج المستعمر من أرضها ، لم تغنه هذه المظاهر شيئاً ولم تلوه عن القصد الذي وهب له حياته وماله . فهاجر مختاراً إلى مصر ، ومنها أخذ يذكي نار الكفاح من جديد ، ويؤلب الدول والشعوب العربية على إيطاليا . ومالبت أن استؤنفت الحرب مرة أخرى ضد الإيطاليين ، وأخذ المجاهدون يحيلون الأرض تحت أقدام الغاصبين إلى جحيم مستعمر .

وعند ما نشبت الحرب العالمية الثانية ، وجد « سموه » أن الفرصة سانحة لتحقيق استقلال بلاده . فشكل لهذا الغرض جيشاً من الليبيين الموجودين في الخارج وجمع حوله عدد من الأعوان المخلصين ، وبعد اتصالات متعددة مع قيادة الحلفاء في القاهرة ، تقرر أن ينضم جيش التحرير الليبي إلى جيوش الحلفاء المقاتلة في الصحراء الغربية . واستمرت الحرب بعد ذلك سجالاً بين الفريقين ، إلى أن أذن الله بالنصر ، وعاد « سموه » إلى بلاده بعد غياب دام أكثر من ٢٢ عاماً ، ليمبدأ في بناء الدولة الجديدة وتدعيم استقلالها .

وقد مرت بالبلاد بعد ذلك أحداث كثيرة ، أبرزها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ « بأن تصبح ليبيا المتكونة من أقاليم طرابلس وبرقة وفزان دولة مستقلة ذات سيادة ، وأن يصبح استقلالها نافذاً في أقرب وقت ، على أن لا يتأخر ذلك الموعد في أي حال من الأحوال عن ١ يناير ١٩٥٢ » . وبتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ عقدت الجمعية التأسيسية الوطنية أول اجتماع لها ، فبحثت نظام

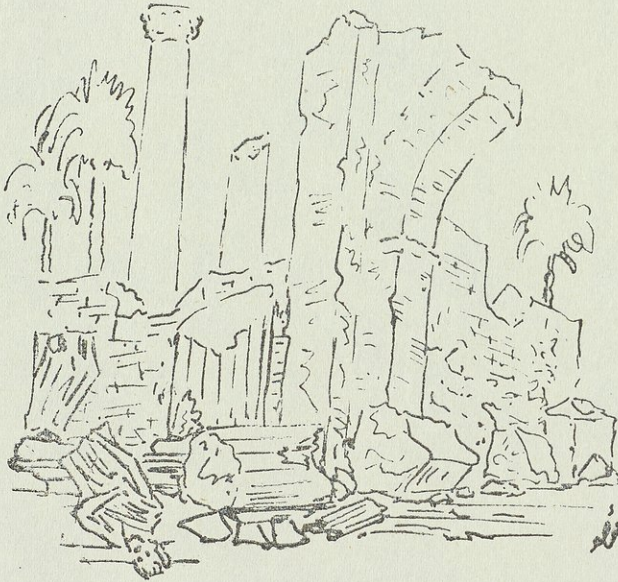
الحكم للدولة الجديدة ، وقررت بإجماع الآراء ، وسط مظاهر الفرح والبهجة ، أن تصبح ليبيا دولة ملكية ، والمناداة بالأمير محمد إدريس السنوسي ملكاً على ليبيا . و بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٥٠ أرسل « سمو الأمير » موافقته إلى رئيس الجمعية التأسيسية الوطنية على قبول تاج المملكة الجديدة ، على أن يؤخر إعلان هذا القبول إلى ما بعد الانتهاء من وضع الدستور والأسس الإدارية الأخرى للدولة الليبية الجديدة . وقد تم توقيع الدستور بتاريخ ٧ أكتوبر سنة ١٩٥١ بمدينة بنغازي ، و بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ أعلن الملك إدريس الأول استقلال بلاده في رسالة وجهها إلى شعبه . وبذلك تم وضع اللبنة الأخيرة في بناء الاستقلال ، وتوجت مجهودات ذلك الرجل العظيم بذلك الإعلان التاريخي المجيد .

إنه لمن نعم الله وفضله على هذه البلاد وشعبها أن قيّض لها هذا الربان الماهر والسياسي الحنك والمجاهد المستبسل ، إذ أن كثيراً مما حصلت عليه ليبيا راجع قبل كل شيء إلى صفاته الفريدة وجهوده المضنية وإدارته الحكيمة في أعصb الأوقات وأحلك الظروف . وقد أضاف إلى مآثره الماضية مآثر جديدة تخلد ذكره على الدوام ، فكان أول ملك يتنازل عن لقب الجلالة لأنه من صفات الله ، ويرفض أن يناديه به أحد . وقد أسر كذلك — حفظه الله — أن تستوفى الحكومة رسوم الجمارك كاملة على كل ما تستورده الخاصة الملكية وأفراد العائلة المالكة . كما أصدر قانوناً يحرم الاشتغال بالتجارة وما إليها على الأمراء والنبلاء . فكبّرت بذلك منزلته في نفوس الناس ، واشتد حبهم له وتعلقهم به . ولا يستطيع أن يدرك مدى تعلق الليبيين بملكهم إلاّ من زار ليبيا أو أقام فيها .

هذا هو الرجل الذي يتربع اليوم على عرش ليبيا ، وله قبل ذلك عرش يتربع عليه في قلب كل مواطن ليبي .

حفظ الله الملك .

القسم الأول



الماضي

عصور التاريخ الطرابلسي

٨٠٠ ق . م . — ١٤٥ ق . م . =	الاستعمار الفينيقي
١٤٦ ق . م . — ٤٥٠ م . =	العصر الروماني
٤٥٠ — ٥٣٣ =	غزوة الفاندال
٥٣٣ — ٦٤٣ =	العصر البيزنطي
٦٤٣ — ١٥١٠ =	الفتح الإسلامي العربي
١٥١٠ — ١٥٥٣ =	غزوة الأسبان
١٥٥٣ — ١٧١٤ =	العهد العثماني (الفترة الأولى)
١٧١٤ — ١٨٣٥ =	ولاية الأسرة القرّة مانلية
١٨٣٥ — ١٩١٢ =	العهد العثماني (الفترة الثانية)
١٩١٢ — ١٩٤٣ =	الاستعمار الإيطالي
١٩٤٣ — ١٩٥١ =	الإدارة البريطانية
٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ . . . =	إعلان الاستقلال وتشكيل الحكومة الوطنية

الفصل الأول

طرابلس الغرب

بين الأسطورة والتاريخ

تروى الأساطير القديمة ^(١) أن طرابلس الغرب كانت فى الماضى بلاداً غنية وأرضها خصبة للغاية ، بها حدائق جميلة من نخيل وأعقاب ، قطوفها دانية ، ذات دفء فى الشتاء أما فى الصيف فقد كانت الجبال تحميها من الرياح الحارة . وكان السكان يعيشون بهناء تام ، فكانت الحياة تجرى بهم سعيدة منطلقة هى أقرب الأشياء إلى حياة الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين . ولكن نفوس الناس تغيرت ، فاتبعوا الشيطان ، وجروا وراء الشهوات ، حتى اشتد بهم غضب الله ، وأقسم ليمتحن سكان هذه البلاد الطيبة .

وظهرت من البحر حورية من أجمل حور العين ، تحملها زعانفها الذهبية حتى استقرت فى إحدى حدائق النخيل والبرتقال ذات الروائح العطرية الزكية . وتطائر خبر قدومها بسرعة البرق ، وأخذ الجميع يتحدثون عن جمالها الفتان وجاذبيتها الأخاذة . وسمع ذلك الخبر ابن السلطان « غاديا » الذى تملكه شعور جامح لا يرد . فارتدى أفر ما عنده من ملابس مزركشة ، وتمنطق بخنجره ذى المقبض المطعم بالذهب والمرصع بالأحجار الكريمة . وركب الأمير جواده ، فلما اقترب من تلك الحديقة الغناء التى كانت الحسناء تستظل بأشجارها ، صاح من شدة فرحه مخاطباً

(١) عن كتاب ليبيا فى العهد العثمانى الثانى ، لمؤلفه الميجور أنتونى كاكيا ، (ترجمة الأستاذ يوسف العسلى) بقليل من التصريف .

إياها : « أأست جمىلا كرىم الأءلاق ؟ » ولأكنها أءابته بىرود وبدوأ اأكرأا . فظأ الأمر أنها بأءة إلى الألفاظ المعسولة ، وأسمها قصيدة ىمأأ فىها جمالها وءسن قوامها . ولأكن ألك القصيدة لم أأرك ساكفا من مشاعرها ، وبقيأ الءورية على فأورها فءوه .

أأأ الأمر لألك الإءضاء ، وأرك ألك العبارات الرقيقة والألفاظ المءذبة وأأأ ىلقى الءلام على عواهنه ، مما أأى إلى ازأىاء نفور الءورية منه ، فأسأجمعت قواها وأفلأ من بىن ذراعىه ، هاربة فءو الشاطىء أأى أأأعها أمواج البءر .

فلما رأى الأمر ألك أسقط فى ىده ، وأأأار فى أمره . فظل ىأءول أياماً فى أأأاق البرأقال ناءباً سوء أظه ، وأقسم أنأ رءعت الءورية لىأزلأها من نفسه أأسن منألة ، ولىأأأرمها أعظم أأأرام .

وأرسلأ له الءورية أأأب منه أن ىقسم أن لا ىأون قواعأ الضىافة إن هى رءعت له ، وأن ىرعاها وىأسن معامأها ، فأقسم الأمر على ألك بءرارة ، وزاء بأنه سىأعملها أأماً سعىة وىبعأ عنها كل مكروه . وهأأا رءعت الءورية الفأأنة إلى بسأان البرأقال عأأ شاطىء المنشىة (فى مأىنة طرابلس) . ولأكن عأأا رآها الأمر مرة أأرى ، عأأ له أطاعه ، ولم سىأأع ضبأ شهوائه ، وأفضى لوالأه السلأان بما كان من أمره طالباً نصأه ، فقال له والأه : « أأعل لها كىناً أوقعها به ، وعأأا أرى نفسها أسىرة لا بأ وأن أأضع للأمر الواقع فأسأسلم لك » .

وأرسلأ الرسل إلى الءسأاء أاعىة إىاها إلى أفلة ىقىمها الأمر أأأفاء بها ، وأوسل إىاها الأمر أن لا أرفض أأأبه ألك ، فقأأ الءورية أألىة ألك أأعوة بمزىأ السرور . وبأأأ رأأها فءو الببل أأى أصر السلأان .

وقبل أن أأصل الءورية الفأأنة إلى أصر السلأان ، وعلى بعأ قلىل منه ، وقعت فى ألك الءكن الءنى الذى نصبه لها الأمر . وعأأا أوشك على الإقاع بها أأأصأ منه كعأبان الماء ، وطأأأ لألقى أأأأها فى البءر الذى أأرأأ منه . وبأهاأها ذأأأ

الأشجار المثمرة وجفت ، وتحولت الأراضي الخصبة إلى صحراء قاحلة ، وتلاشت الجداول بين الصخور ، ولم يبق منها سوى الماء الأجاج الذى أصبح لا يكاد يصلح لشرب الوحوش .

وهكذا أنزل الله عقابه بأهل هذه البلاد التى كانت يوماً ما مباركة ، وصار عليهم وعلى أولادهم فيما بعد أن يكدوا ويشتغلوا للأبد عقاباً لهم ، وأن يتحملوا لفتح الرياح القبلية الآتية من الصحراء ، وأن يتذكروا أن الجنة لا يدخلها إلا من أطاع الله ، وكبح جماح شهواته .. ١٠ هـ

ويلاحظ فى هذه القصة الخرافية ، التى أثبتناها هنا لطرافتها ، أنها شديدة الشبه والصلة بالقصص الخرافية الأخرى التى يزخر بها تاريخ الإغريق القدماء ، وهى فى جوهرها تشبه قصة « فينوس » أو « أفروديت » إلهة الحب والجمال التى ظهرت على شواطئ اليونان متولدة من زبد البحر ، وقصة « أفروديت » القبرصية التى ظهرت على الشواطئ الغربية لتلك الجزيرة ، ويبدو أن قصة « أفروديت » الطرابسية — وأفروديت عند الإغريق رمز لكل جميل وعلم على كل غال ونفيس — انتقلت إلينا عن طريق الإغريق الذين استعمروا سواحل أفريقيا الشمالية — خصوصاً برقة — حوالى العام ٦٣١ قبل الميلاد .

وهناك غير هذه من القصص الخرافية التى انبثقت من عصور الوثنية الأولى ، وقد ظلت هذه الأساطير والمعتقدات تلعب فى خيال سكان طرابلس على مر العصور المختلفة، فلما جاء الإسلام أضيفت حكايات جديدة يغطيها رداء شفاف من المعتقدات الدينية ، وأخذ الناس يتناقلون حكايات خارقة عن المعجزات و « الكرامات » المنسوبة للأولياء ورجال الدين ، ولعله من أبرز ما يروى فى هذا الصدد قصة الأميرة الأجنبية التى استنجدت بسيدى عبدالسلام الأسمر الفيتورى ، فأحضرها هى وقصرها إلى زليطن .

* * *

أما من حيث التاريخ ، فإن الآثار التي عثر عليها المنقبون حتى الآن تدل على إن سكان طرابلس الأولين هم من نفس السلالة التي كانت تقيم في مصر وتونس . ويقول هيرودوتس في كتاباته في القرن الخامس قبل الميلاد ، إن ليبيا (التي يعنى بها شمال أفريقيا بأسره فيما عدا مصر) كانت مأهولة بنوعين من الأجناس هما : الليبيون في المناطق الساحلية ، والأحباش في الدواخل ، ولم يجد العلم الحديث ما ينقض هذا القول . فأما الأحباش الذين ذكرهم هيرودوتس فقد عني بهم العنصر الأفريقي من السكان ، وهم الذين تسربوا إلى المناطق الساحلية من الصحراء ، بينما الليبيون — الذين انحدر منهم البربر الحاليون ، كانوا من أجناس حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهي التي توجد أيضاً في مناطق متفرقة من أوروبا الجنوبية^(١) .

(١) يقول الفيلسوف أمين الريحاني في كتابه « المغرب الأقصى » عن أصل سكان المغرب ، ما يلي : « ويقول فريق آخر من العلماء المتهين عن الأغراض الخاصة ، والممعتين في المباحث الأنتولوجية البيولوجية ، وفروعها الجغرافية والنباتية والجيولوجية ، أن برزخاً ، في عهد جيولوجي قديم ، كان يصل شبه جزيرة إيبيرية بالمغرب الأقصى ، ودليلهم على ذلك الجبلان المتقابلان المعروفان اليوم بجبل طارق وجبل موسى المقابل له في القارة الإفريقية .

« هذان الجبلان ، في الزمن السابق للعهود الجليدية ، كانا جبلا واحداً ، بشهادة علماء الجيولوجيا والنبات والحيوان . ففي الجبلين اليوم تشابه في طبقاتهما ، وفي حاضر نباتهما وفي آثار الماضي من حيوانهما . وكما نرحت الحيوانات وانتشرت النباتات الإفريقية من الجنوب إلى الشمال ، نزع الإنسان السابق للتاريخ ، لإنسان العصر الحجري . والدليل على ذلك في جاجم من بقايا ذلك العصر في أوروبا شبيهة شكلاً وحجماً بالجاجم الإفريقية .

« إذن ، وبموجب هذه الآراء العلمية ، تكون الحقيقة على عكس ما كان يظن . أي أن الأوربيين من إفريقيا ، وليس الإفريقيون من أوروبا . والرأي الأجدر بالاعتبار ، هو أن الشعب المغربي الأصلي من القارتين — من صحراء إفريقية وجنوب إسبانيا . وقد يضاف إليه عنصر أبيض البشرة في شمالي أوروبا .

« هذا الشعب المغربي الأصلي كان في البلاد قبل أن أسست قرطاجنة ، وقبل أن اتصل بالمغرب شيء من حضارة الإغريق .

« ثم جاء شعب من المشرق يختلط به ، فينقلنا من العلماء الطبيعيين إلى العلماء المؤرخين . ومن هؤلاء من يقول إن المغاربة ، أو البربر كما صاروا يدعون ، هم من بلاد كنعان ، بل هم من السكثانيين ، فأخرجهم اليهود في أيام يسوع بن نوت . ولهذا القول أشعياء . في زماننا يروقه مثل هذه الأبحاث . وما الفائدة منها ؟ لا فائدة البتة !

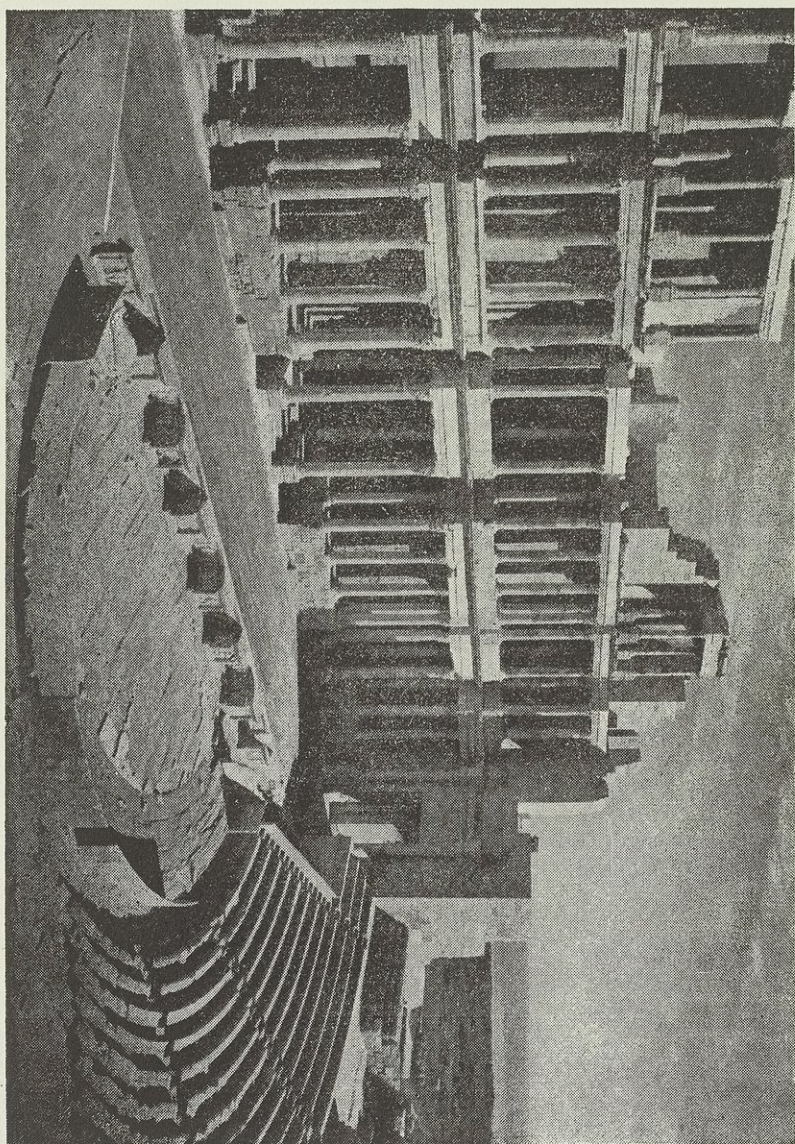
« إن في المغرب اليوم شعباً واحداً وإن تعددت عناصره . لأنهم جميعاً اليوم عرب ، تجمعهم اللغة العربية ، وشعر امرئ القيس ، كما يجمعهم القرآن والإيمان » ا . هـ

وإلى أن اتصل أولئك الليبيون القدماء بثقافة العصر البرونزي للفينيقيين كانوا ما زالوا يعيشون في الحالة البدائية لإنسان العصر الحجري . إلا أن ذلك لا يعني أنهم كانوا يعيشون على الفطرة تماماً ، فإن الاكتشافات العصرية تدل على أنهم كانوا قد تعلموا زراعة الحبوب ، بل أنهم بدأوا في الاستقرار شيئاً فشيئاً جماعات صغيرة في بيوت من النوع البدائي . ويتحدث هيرودوتس في كتاباته عن « الناسامونيين » (Nasamones) ، وهم من شعوب طرابلس الشرقية ، بأنهم كانوا يقومون برحلات سنوية إلى واحة العجيلة لجنى النخيل . ويقول مؤلف إغريقى آخر (فى القرن الرابع قبل الميلاد) أن الماكاي (Macae) الذين كانوا يسكنون منطقة الخمس ، كانوا يذهبون كل صيف إلى الجبل لسقى ماشيتهم . ويقول المؤرخون القدماء أيضاً أن قبيلة من أهم القبائل الطرابلسية ، وتعرف باسم « غارامنت » (Garamantes) ، كانت تربي نوعاً من الماشية ، اشتهر بأنه كان يسير إلى الخلف أثناء الرعى ، بسبب قرونة الطويلة الممدودة إلى الأمام .

ويقول هيرودوتس أيضاً أن هذه القبيلة كانت تستعمل عربات تجرها أربعة جياد ، لأقتناص أفراد القبائل الحبشية كما كانوا بحاجة إلى مزيد من العبيد . ولعله مما تجدر ملاحظته هنا أن المنقبين على الآثار عثروا على صور هذه العربات محفورة على الصخور فى فزان . وكان يظن أن هذه القبيلة التى لعبت فيما بعد دوراً كبيراً فى تاريخ طرابلس الغرب ، من سلالة حبشية ، إلا أن نتائج الحفريات التى قامت بها بعثة إيطالية فى إقليم فزان ، وعثرت خلالها على حوالى ٤٥٠٠٠ من قبورهم فى وادى العجيل ، تثبت على أنهم كانوا فى الواقع من سلالات حوض البحر الأبيض المتوسط . وأما عن الحياة الاجتماعية عند الليبيين القدماء ، فليس لدينا سوى القليل . ويبدو أن هذه العادات كانت تختلف باختلاف القبائل ، بينما كانوا جميعاً يتكلمون لغة واحدة ، ويشتركون فى عبادة الشمس والقمر — ولعل هذه العبادة تسربت

إليهم من الفينيقيين . وبرغم وحدة اللغة والدين ، فإن ليميو ذلك العصر لم يندمجوا في وحدة سياسية سوى مرة واحدة ، وذلك في عصر مملكة النوميديين^(١) . ويمكن القول أن حبهم للاستقلال الذاتي كان جارفاً إلى الحد الذي جعلهم يرفضون التنازل عن أى جزء من حريتهم في سبيل الوحدة العامة ، مما سهل على الشعوب الأخرى إخضاعهم وبذر بذور التفرقة بينهم . ومع ذلك ، فإنهم لم يستكينوا للغاصب أبداً ، ومحاولاتهم الدائمة لاسترجاع حريتهم تشكل فصولاً بارزة في تاريخ طرابلس الغرب القديم . ومنذ ذلك الحين - عندما بدأت أيدي الغزاة تدق أبواب البلاد - بدأت طرابلس الغرب تخرج شيئاً فشيئاً من ظلام الأسطورة إلى وضوح التاريخ .

(١) راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب .



الامفثيتر الروماني - صبراته

[تصوير جناح]

الفصل الثاني

طرابلس الغرب

من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي

بدأت قوافل الفينيقيين ، حوالى القرن التاسع قبل الميلاد ، تزور السواحل الإفريقية الشمالية ، ومن بينها سواحل طرابلس الغرب ، آتية من موانئهم المزدهرة على الساحل الفينيقي (لبنان اليوم) كصور وصيدا ، وكان الفينيقيون ذوى نشاط تجارى عظيم ، وخبرة كبيرة فى البحار ، فكانوا يذرعون البحر الأبيض المتوسط جيئة وذهاباً ، بحثاً عن الذهب والفضة وسائر الأشياء النادرة ، فيشترونها بأثمان رخيصة من الشعوب الغربية المتأخرة ، ويبيعونها بأعلى الأثمان فى مدن الشرق الغنية الزاهرة .

إلا أن الضرورة ، على ما يبدو ، وليس الرغبة فى التجارة ، هى التى ألجأتهم فى أول الأمر إلى وضع أقدامهم على شواطئ طرابلس الغرب . فان الرحلات البحرية التى كان يقوم بها الفينيقيون فى مراكبهم الصغيرة ، كانت شاقة وخطيرة . وكان من عادة الملاحين فى قديم العصور أن يسلكوا الطرق البحرية القريبة من الشواطئ ، بدلا من تعريض أنفسهم للخطر باقتحامهم عرض البحار . فكان الفينيقيون يمرون أثناء رحلاتهم إلى بلاد البحر الأبيض المتوسط الغربية ، بالشواطئ الطرابلسية ، ولا شك أن عواصف خليج « سرت » المشهورة قد دفعتهم إلى طلب الأمان على الخلابجان الشاطئية . وهكذا بدأت الصلة تتكون بين الفينيقيين وسكان هذه البلاد .

ولم يلبث أن أدرك الفينيقيون أن باستطاعتهم الاستفادة من هذه البلاد بأكثر من مجرد كونها ملجأ لمراكبهم من عواصف البحر ، أو مراكز عابرة للتموين ،

فان طرابلس الغرب هى الحلقة التى تستطيع أن تصلهم بقلب القارة الإفريقية ، حيث يكثر وجود الذهب والعاج وريش النعام والعبيد . وهكذا لم يتردد الفينيقيون باغتنام الفرصة ، وأخذوا يضعون الخطط لاستعمار هذه السواحل ، واستغلالها تجارياً . وهكذا ، أنشأ الفينيقيون ، فى مدى مائتى عام تقريباً ، عدة مراكز على طول الساحل الطرابلسى ، وقد ذكر بعض جغرافى الإغريق أسماء عشرة من هذه المراكز التى لم ترد ، فى رأى أولئك الكتاب ، عن كونها مجرد « نقط ارتكاز » تسكنها أقلية من التجار الفينيقيين ، إلى جانب أكتثية من السكان الأصليين ، ومن أم هذه المراكز : « كراكس » ، وتقوم فى مكانها اليوم مدينة « السلطان » بين سرت والنوفلية ؛ و « سرت » ، التى كانت تعرف باسم « برج يوفراتناس » ؛ و « ماكوماكا » فى خليج تاورغة ؛ و « زوخيس » ، على مسافة يوم بالبحر إلى الغرب من طرابلس ، وكل هذه اشتهرت بصناعة حفظ الأسماك ، بينما اشتهرت زوخيس أيضاً بالصبغة الأرجوانية التى كان الفينيقيون يستخرجونها من نوع خاص من الأسماك ، واشتهروا بها فى عصور التاريخ القديم .

أما المدن الحقيقية التى أسسها الفينيقيون فى طرابلس ، واستقرت فيها جماعات كبيرة منهم ، فلم يزد عددها على ثلاثة ، وهى : « لبئس » أو « لبسس » ، واسمها الأصل « لبكى Lpky »^(١) ، الواقعة فى منطقة من أخصب سهول الإقليم ، وقد بنيت المدينة ذاتها عند مصب وادى لبدة وبذلك كانت مرفأً صالحاً للسفن فى ذلك الوقت . و « فيعات Va'at » التى أنشأها الفينيقيون على الموقع الذى تقوم عليه مدينة طرابلس حالياً ، وأطلق عليها اليونان والرومان فيما بعد اسم « أويا Oea » . وكانت الواحات المحيطة بهذه المستعمرة تزود السكان بكافة احتياجاتهم من الطعام والماء ، كما كانت تسيطر ، بحكم موقعها ، على التجارة القادمة من الداخل عن طريق

(١) وتعرف اليوم باسم لبدة

ممرات ترهونة وغريان . وأخيراً ، مدينة « صبراتة Sabratha » ، التي ما زالت تحتفظ باسمها الفينيقي القديم ، وهذه أنشأها الفينيقيون على رأس إحدى الطرق التجارية الهامة المؤدية إلى الساحل ، مارة ببغدامس .

الاستعمار القرطاجني :

وبالتدريج ، أخذت هذه المدن الفينيقية تفقد صلتها بالوطن الأصلي ، ثم فقدت صلتها التامة به بعد إخضاع الأشوريين لعاصمتهم « صور » ، عند نهاية القرن الثامن قبل الميلاد . وفي هذه الأثناء ، أخذ يعلو شأن قرطجنة ، المدينة التي أسسها الفينيقيون عند نهاية القرن التاسع . ق . م . ، بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، حتى تمكنت من تزعم المستعمرات الفينيقية المنبثقة على الشواطئ الإفريقية . ولولا ذلك لهلكت هذه المستعمرات الواحدة تلو الأخرى .

إلا أن ثمن هذه الحماية كان غالياً ، فقد سيطرت عليها قرطجنة سيطرة كاملة ، وضمتها إلى إمبراطوريتها الناشئة ، وذلك عند نهاية القرن السادس ق . م .

وفي العام ٥٢٠ ق . م . قرر دور يوس ، ابن ملك إسبارطة أناكساندريداس ، وكان قد تشاجر مع أخيه الذي خلف والده على العرش ، أن يهجر بلاده مع نفر من أتباعه ومريديه . وتمكن بمساعدة سكان إحدى الجزر اليونانية « ثيرا Thera » - الذين كان رفقائهم قد استعمروا برقة في ذلك الحين ونشروا فيها الثقافة اليونانية - أن يهبط في طرابلس الغرب عند مصب نهر وادي الكعاب حيث أسس مستعمرة يونانية . إلا أن هذه المحاولة لم يكتب لها التوفيق ، إذ تمكن القرطاجيون بمساعدة إحدى القبائل الليبية^(١) من طرد الغزاة وإلقائهم في البحر .

إلا أن توسع القرطاجيين واستمرار نمو سيطرتهم على الأقاليم الطرابلسية أهاج

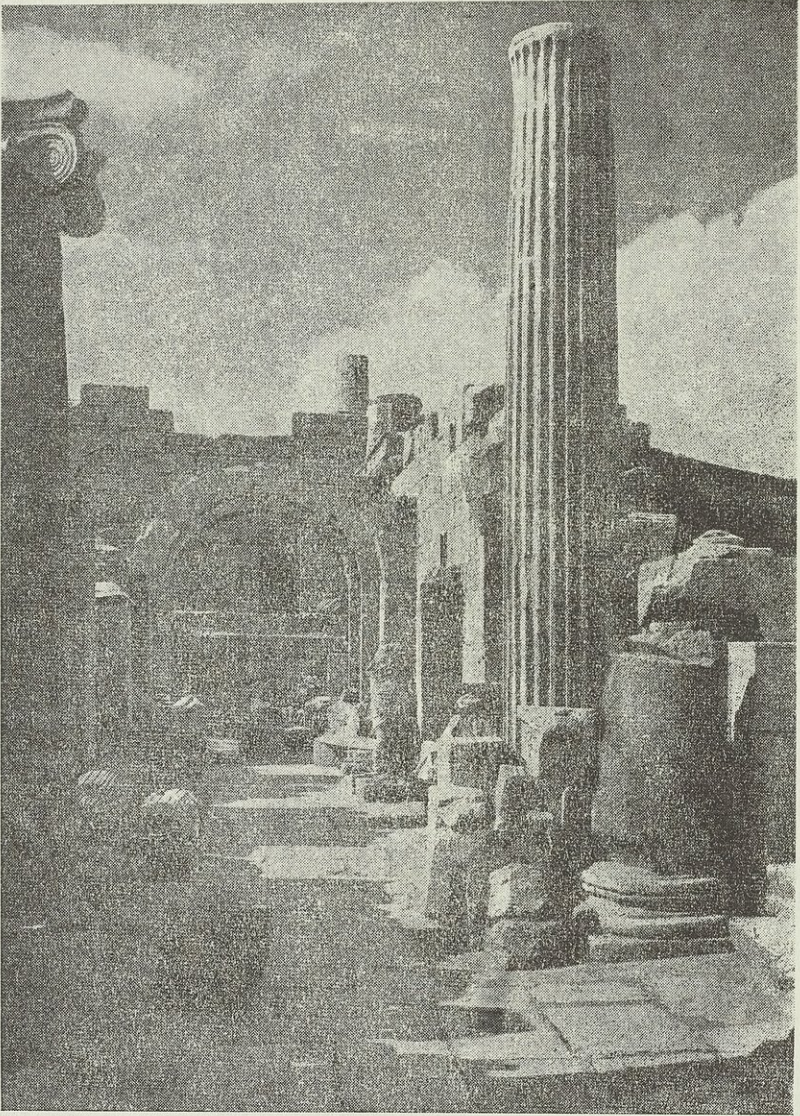
(١) ومي قبيلة الماكاى الوارد ذكرها في الفصل الأول من هذا الكتاب .

ثائرة المستعمرة اليونانية القوية «سيرين»^(١) - المعروفة اليوم باسم شحات - وإحدى مدن العالم الإغريقي المعدودة في ذلك العصر . وما لبثت أن اصطدمت القوتان في نزاعهما على السيطرة والسيادة ، واشتبك القرطاجيون في قتال مدمر في البحر والبر مع إغريق سيرين ، إلى أن اتفق الطرفان ، بعد أعوام من القتال العنيف ، على إنشاء خط فاصل للحدود بينهما .

وقد ظلت اتفاقية الحدود هذه معمولاً بها حتى قرب نهاية القرن الرابع ق . م . وقد نعمت طرابلس الغرب خلال هذه المدة بفترة هادئة تحت حكم القرطاجيين . إلا أن هذا الهدوء سرعان ما بدأ يضطرب عندما جهز الأسكندر المقدوني جيشاً لغزو قرطجنة عن طريق طرابلس ، ولم يمنعه من ذلك إلا وفاته عام ٣٢٣ ق . م . ولم يكن ورثته في مصر ، بطليموس الأول ، أقل أطماعاً من سيده . فأخضع برقة بقوة السلاح ، ومد حدوده إلى سرت الواقعة على بعد ٢٢٠ ميل داخل الحدود الطرابلسية . أما قرطجنة ، التي كانت منهكة إذ ذاك في حرب طاحنة مع إغريق صقلية ، فلم تجد القدرة على خوض حربين في وقت واحد ، ولذا لم تحرك ساكناً أزاء العدوان الإغريقي على حدودها الشرقية ، إلى أن اضطرت لذلك بعد المخالفة التي عقدها أغاثوقليس ملك سرقوسة مع أوفيلاس الحاكم المقدوني لمدينة سيرين عام ٣٠٩ ق . م . وبموجبها سير الأخير جيشاً لغزو طرابلس وإخضاع قرطجنة ، قوامه عشرة آلاف مقاتل ، و ٦٠٠ فارس ، و ١٠٠ عربة ، ومعهم عشرة آلاف رجل وامرأة وولد للحمل العتاد والطعام ، وبعد شهرين ونصف من خروجه من سيرين ، تمكن أوفيلاس من الوصول بقواته إلى تونس ، حيث تقابل مع قوات حليفة أغاثوقليس .

إلا أن نهاية قرطجنة لم تكن قد دنت بعد . فقد غدر ملك سرقوسة بحليفه وقتله غيلة ، ثم بدأت الهزائم تتوالى عليه من القرطاجيين ، الذين استجمعوا قوتهم

(١) نسبة إلى إحدى آلهات اليونان ، ومنها اشتق الاسم الأفرنجي لأقليم برقة Cyrenaica



آثار « بدة » الرومانية

[تصوير جناح]

وبدأوا يكيلون له الضربة تلو الأخرى ، حتى اضطروه للانسحاب إلى جزيرته
يحر أذيال الخيمة . ثم انقلبوا إلى الشرق ، واستعادوا المناطق التي فقدوها حتى حدودهم
السابقة . ويبدو أن قرطجنة سكرت بحمرة هذا النصر ، فعزمت على الاقتصاص
من الصقليين في عقرب دارهم ، وحالفها النجاح هذه المرة أيضاً حتى تمكنت من إخضاع
الجزيرة بأسرها ، فيما عدا مدينة سرقوسة ذاتها . وبذلك بلغت قرطجنة أوج مجدها ،
ووقفت على القمة ، فكان لابد لها بعد ذلك من الانحدار تدريجياً نحو الهاوية .

لقد ترك القرطاجيون للمدن الطرابلسية استقلالها الذاتي ، ولم يتعرضوا لعادات
السكان وأساليب معيشتهم مادامت مصالحهم مصونة ، وتجارهم مكفولة ، وكان
سكان المدن الفينيقية الثلاثة يعقدون اجتماعات سنوية لانتخاب رجلين توكل اليهما
مقاليد الإدارة والقضاء ، يعاونهما مجلس مؤلف من أعيان المدينة . إلا أنه لم يكن
يسمح لهذه المدن أو سواها بإنشاء الجيوش أو الأساطيل البحرية ، إذ كانت شئون
الدفاع من اختصاص القرطاجيين وحدهم ، كما حرمت عليها التجارة مع أنحاء العالم
الخارجي ، ومنعت السفن الأجنبية من دخول الموانئ الطرابلسية ، مما اضطرها إلى
الاعتماد على الزراعة في معيشتهم .

وإلى الفينيقيين يعود الفضل في إدخال زراعة أشجار الفاكهة إلى طرابلس ،
إذ لم يكن ينمو فيها قبل مجيء الفينيقيين سوى النخيل . ومن الأنواع التي يعود
الفضل في إدخالها طرابلس إلى الفينيقيين : اللوز ، والتين ، والخوخ ، والرمان ،
والعنب ، والزيتون . الذي أصبح فيما بعد عماد الاقتصاد الليبي .

مملكة النوميديين :

كان الرومان قد بدأوا ، في منتصف القرن الثالث ق . م . يحلون محل الإغريق
في سيطرتهم على العالم . وما لبثوا أن طردوا القرطاجيين من جزيرة صقلية
(٢٦٤ — ٢٤١) ق . م . ، ولكنهم لم يمسوا إمبراطوريتهم في أفريقيا .

إلا أن قرطجنة سرعان ما استعادت قوتها، وتمكن قائد القرطاجيين المشهور « هانيبال » من غزو إيطاليا ودحر الرومان ، ولكنه اضطر أخيراً إلى طلب الصلح بعد أن تمكنت قوات رومانية مضادة من الوصول إلى الشواطئ الأفريقية .

وفي أثناء الحرب أيضاً ، ثارت بعض القبائل بقيادة « ماسينيسا » ، زعيم النوميديين^(١) ، الذي أعلن إنشاء مملكة نوميديّة مستقلة . فسارعت روما للاعتراف بهذه المملكة الجديدة ، رغبة منها في إضعاف شوكة القرطاجيين تمهيداً لأخضاعهم ، كما عقدت حلفاً مع الدولة الجديدة .

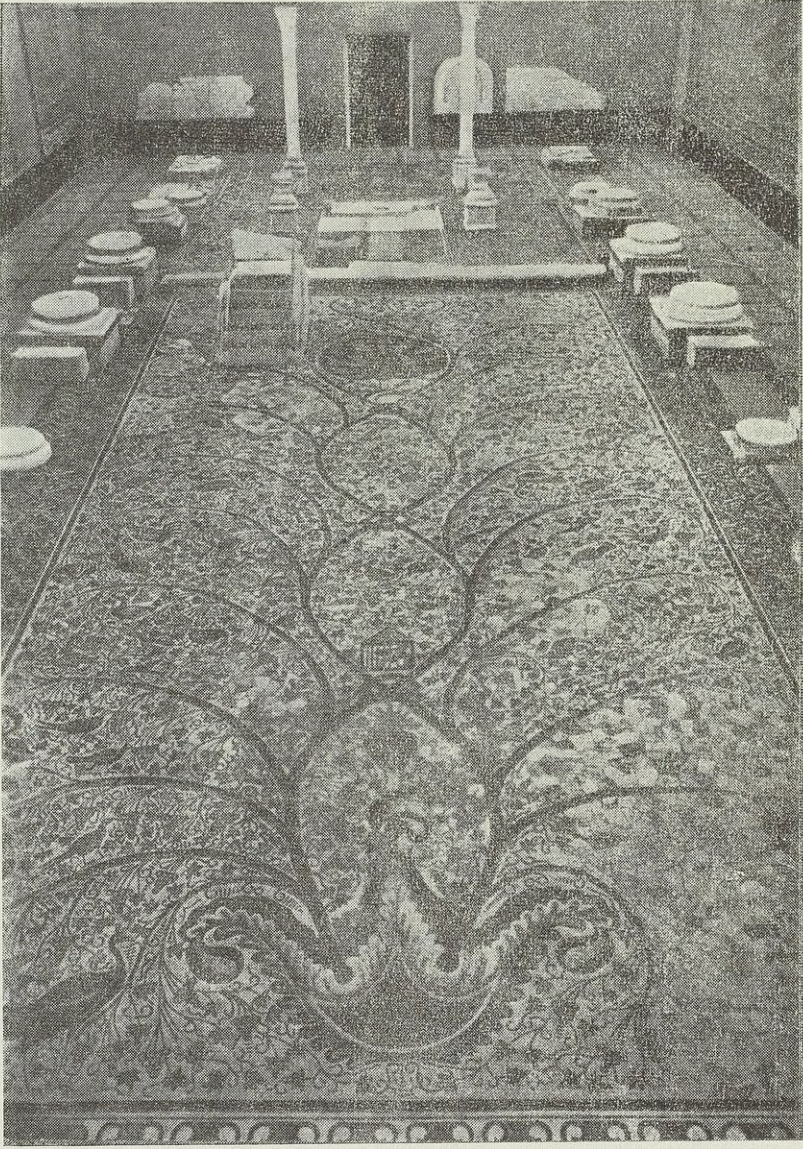
وقد اضطرت قرطجنة إلى قبول الأمر الواقع ، إلا أن « ماسينيسا » لم يقنع بهذا النصر ، وسير جيشاً لاحتلال طرابلس الغرب بأسرها . وبعد قتال دام أكثر من إثني عشر عاماً ، تمكن من تنفيذ مآربه ، وضم إلى ملكه سائر الأقاليم الطرابلسية .

وفي سنة ١٤٥ ق . م ، تمكن الرومان من سحق القرطاجيين وتدمير مدينتهم بكاملها ، ولكنهم تركوا مملكة النوميديين قائمة تحت إمرة خليفة ملكهم السابق ، الذي توفي قبل ذلك التسارخ بثلاثة أعوام . وفي عام ١١١ ق . م . نشبت ثورة داخلية في المملكة ، تدخلت روما على أثرها ، واحتل جنودها المدن الطرابلسية لأول مرة ، ومن بينها لبدية وأويا وصبراتة . إلا أنه لم يتم ضمها نهائياً إلى الإمبراطورية الرومانية إلا بعد خمسة وستين عاماً ، في عهد يوليس قيصر .

العصر الروماني :

بدأت البلاد تسترد من جديد بعض هدوئها المفقود ، وعادت موانئها تستقبل المراكب والتجار من جميع أنحاء العالم المعروف . فبدأت التجارة تزدهر في الموانئ .

(١) من القبائل الليبية القديمة ، ولعلمهم من البربر ، سكان البلاد الأصليين .



قاعة البازليكا - صبراتة (العصر الروماني)

[تصوير جناح]

الطرابلسية ، وتحولت المدن الفينيقية القديمة إلى مدن رومانية بمعايها ومسارحها وأسواقها ومنازلها التي بنيت كلها على الطراز الروماني . كما انتشرت المزارع والمساكن في سائر أنحاء البلاد ، وازدهرت الزراعة عن طريق الوسائل التي استحدثها الرومان للررى وضبط المياه .

ومع أن طرق المعيشة الرومانية قد انتشرت بين السكان ، إلا أن الرومان لم يفرضوها على الفينيقيين^(١) . فظلت مدنهم تتمتع باستقلال داخلي مستمد من اتفاقية عام ١١١ ق . م . وكانت هذه المدن ، حتى زمن القيصر تيميريوس Tiberius ، (١٤ — ٣٧ م) لا تزال تقوم بسك نقودها . وحتى بعد أن جردت من هذا الحق ، ظلت تنتخب قضاها وحكامها . وكانت اللغة الفينيقية لغة رسمية إلى جانب اللغة الرومانية ، كما ظلت لغة التخاطب بين أهلها حتى الفتح الإسلامي .

وبينما كان السكان يحنون ثمار هذا الهدوء ، كانت بعض القبائل القوية المضاربة في الجنوب تستعد للانتفاض على حكم الرومان ، في محاولة الاستعادة ملك النوميديين الضائع . وما لبثت هذه القبائل أن وجدت فرصتها سانحة عندما اشبت الثورة في نوميديا ذاتها ، فألقت فيها برجالها وسلاحها ، إلا أن الرومان استطاعوا إخضاع الثائرين حوالى عام ٢٠ ق . م . وتمكن قائدهم « كورنيليوس بالبوس » من احتلال غدامس إحدى مدن الغارامنتيين الهامة ، ومنها سار جنوباً إلى فزان ، مستولياً على عدة مدن ومواقع عامة ، حتى قضى نهائياً على الثورة باحتلاله « جرما Germa » عاصمة الغارامنتيين . أما بالبوس ، فقد عاد إلى روما ليحتفل بهذا النصر .

إلا أن الهزيمة لم ترد الغارامنتيين إلا عناداً وإصراراً على طرد الرومان ، فاستمرت

(١) لم يتعرض الرومان لعائد الأهلين وعبادتهم ، فعلى اللايبون يعبدون إلههم « آمون » ، بينما كان الرومان يعبدون الإله « جوبيتر » ، والفينيقيون الإله « بل » والإله « باكوس » ، الذي اشتهر بأنه إله النبيذ .

ثوراتهم بعد ذلك . ولكن الرومان تمكنوا من إخضاعهم مرة أخرى (عام ٢٤ م) ،
وذهب وفد منهم إلى روما لطلب العفو من الإمبراطور .

وكان يبدو أن السلام سيخيّم فوق طرابلس الغرب بعد هذه الهزيمة ، إلا أن
ثورة داخلية نشبت على الحدود بين مدينتي لبتة LePtis وأويا Oea عام ٦٩ م ،
تطورت بعد ذلك إلى حرب فطية بين المدينتين . فلما وجدت أويا أن غريمتها تتفوق
عليها في الرجال والعتاد ، استنجدت بالغارامنتيين الذين سارعوا إلى تلبية النداء ،
وانقضوا على لبتة فحربوا أراضيها ، وضربوا الحصار على المدينة ذاتها . وفي هذه
الظروف ، استنجدت لبتة بالحاكم الروماني ، الذي تمكن بعد قتال عنيف من فك
الحصار وإبعاد الثائرين إلى الجنوب .

وهذه الحادثة ، أي محاربة المدن الطرابلسية الواحدة للأخرى ، تدل على الحرية
الدهشة التي كانت تتمتع بها هذه المدن . وربما دلت أيضا على سياسة الرومان التي
استلهموا أحد رجالهم في ذلك العصر ، وهي سياسة «التفرقة والحكم divide et impera» ،
ولعل مما يرجح القول الأخير ، أن القائد الروماني لم يوقع عقوبة ما بمدينة «أويا»
ولكنه وجه همه نحو ملاحقة الغارامنتيين وتقجيلهم . ويظهر أن الكارثة التي لحقت
بالغارامنتيين كانت ثقيلة ، إذ لم يعد يسمع عنهم ، اللهم إلا عندما اشتهروا مع الجيش
الروماني في غزو إفريقية الوسطى ، كحلفاء .

والقبيلة الأخرى التي أقضت مضاجع الرومان مدة طويلة هي قبيلة الناسامونيين
التي كانت تسكن الجزء الشرق من إقليم طرابلس الغرب . ومن أهم ثورات هذه
القبيلة ، تلك التي قامت بها أثناء حكم الإمبراطور الروماني دوميتيان (٨١ — ٩٦ م) ،
إذ قتل عدداً من الموظفين الذين أرسلهم الرومان لجباية الضريبة ، ورفعت راية
العصيان . فلما سير الرومان جيشاً لمقاتلتهم وإخضاعهم ، تمكن الناسامونيين من
قهر هذا الجيش واحتلال معسكراته برمتها . إلا أنهم بدلا من ملاحقة الرومان

المهزومين ، انصرفوا إلى الاحتفال بالنصر والتهام كميات الطعام والفيء التي وجدوها في المعسكرات . فلما كرت عليهم فرق جديدة من الرومان عجزوا عن المقاومة الجدية ومنذ ذلك التاريخ وهم يدفعون الضريبة بانتظام للسادة الرومانيين .

وهكذا ما إن شارف القرن الأول للميلاد على نهايته ، حتى كان الرومان قد أنموا إخضاع طرابلس الغرب بأسرها ، بما في ذلك إقليم فزان .

وكان القرن الذي تلى ذلك ، فترة طويلة من الهدوء والاستقرار ، ولم تعكر صفوه حادثة واحدة . وكانت قوافل التجارة المحملة بالبضائع الثمينة تصل إلى الشواطئ في يسر وسهولة . وقد وجد الطرابلسيون في روما سوقاً رائعة لبضائعهم ، خصوصاً الحيوانات المفترسة التي كانت المسارح الرومانية (الأمفيثيتر) بحاجة مستمرة لها . بل إن المحصولات الزراعية التي كانت تفيض على حاجة السكان كانت تصدر أيضاً إلى روما ، ومن أهمها الزيتون الذي كان الرومان يستوردونه بكثرة والزيت .

ولعل هذا النمو الاقتصادي السريع هو الذي جعل الإمبراطور الروماني تراجان (٩٨ — ١١٧ م) يرفع مرتبة المدن الثلاثة إلى مصاف « المستعمرات الرومانية » ، وبذلك أصبح لسكان هذه المدن ما لسكان روما أنفسهم من الحقوق والامتيازات ولعل أسطع برهان على ازدهار ذلك العصر ، تلك الآثار التي نشاهدها اليوم ، ناطقة على حضارة رفيعة ومستوى عال من الرقي ، وكثير منها يرجع إنشاؤه إلى هذه الفترة بالذات . فإن الحمامات الكبرى في لبدية ، وهي أفخم ما عرف من نوعها ، تم إنشاؤها عام ١٢٧ م ، كما إن مسرح صبراته وأكثر من ربع المدينة بنى في القرن الثاني للميلاد . ومع أن « أوياء » قد تلاشت منذ مدة طويلة وحلت مكانها تريبوليس^(١) — أي المدن الثلاثة — إلا أن الأثر الروماني الوحيد الباقي في هذه المدينة ، وهو قوس النصر في المدينة القديمة ، والمعروف بقوس ماركوس أوريليوس ، شُيد في هذا القرن أيضاً .

(١) ومنه اشتق اسم طرابلس الحديث .

إلا أن فترة الهدوء هذه بدأت تضطرب عندما نشبت الحرب الأهلية في الإمبراطورية الرومانية عام ١٩٣م بسبب التنافس على وراثة العرش . وبعد خمس سنوات ، تمكن قائد في الجيش الروماني من أبناء مدينة لبدّة ، يدعى سبتيميوس سيفيروس Septimius Severus من تنصيب نفسه إمبراطوراً ، وقضى الأربع سنوات التالية في قهر منافسيه حتى استتب له الأمر نهائياً . وقد أقام سبتيميوس سلسلة من القلاع ووصل بينها بطريق يسير بمحاذاة « رأس الجبل » على هيئة قوس عظيم يمتد من لبدّة إلى قابس في تونس . وبالإضافة إلى هذه الحصون الساحلية ، أنشأ سبتيميوس قلاعاً أخرى في أنحاء متفرقة من الدواخل ، مثل بونجـم وغيرها . وبعد وفاته ، أتم ابنه وخليفته الكسندر سيفيروس بناء هذه الخطوط الدفاعية (٢٢٢ — ٢٣٥) ، ووضع فيها جنوداً أكثر من الليبيين .

ولم ينس سبتيميوس ، في غمرة الأحداث ، مسقط رأسه . فأعفى سكان لبدّة من دفع الضرائب بأنواعها ، وشيد فيها كثيراً من آثارها التي مازالت قائمة حتى اليوم . ورداً على هذا الصنيع ، كان سكان تلك المدينة يتبرعون كل عام بكمية كبيرة من زيت الزيتون لتوزيعها على فقراء روما . إلا أن هذا « التبرع » أصبح عبثاً ثقيلاً على المدينة فيما بعد ، عندما أصر القياصرة الذين تلو سبتيميوس ، على الحصول على كمية زيت الزيتون كاملة كل عام .

إلا أن الضياء الذي ألقى سناه على طرابلس الغرب عند بداية القرن الثالث الميلاد ، كان يأتي من شمس غاربة . فقد قتل الكسندر سيفيروس ولما ينقضى أكثر من ثلث قرن على اعتقال والده عرش الامبراطورية الرومانية ، وبقتله وقعت الامبراطورية فريسة الحروب الداخلية ، وبدأت غزوات البرابرة تزعزع أركانها من الشمال . وعندما منح ديوقليسيان (٢٨٤ — ٣٠٥) إقليم طرابلس الغرب حق الاستقلال الذاتي وأسماء « مقاطعة طرابلس » Provincia Tripolitana لم يأت ذلك

نأية فائدة للبلاد ، ذلك أن الضرائب كانت قد سحقت الفلاحين وحولتهم إلى عبيد في المزارع الكبيرة ، وكانت أمراض المدينة الرومانية قد تأصلت في نفوس الناس إلى الحد الذي لم تعد تجدى معه إصلاحات دستورية أو إسمية . وقد وصف القديس سبريان ، وهو نفسه أفريقى حالة الامبراطورية في ذلك الوقت بقوله : « إن العالم نفسه يقترب الآن من نهايته بدليل فشل عناصره وقواه الطبيعية ، فلم تعد الأمطار تسقط في الشتاء لإنبات البذور ، وحتى الصيف لم تعد له الحرارة الكافية لانضاجها . وقلت كميات الرخام المستخرجة من الجبال ، ونفذت مناجم الذهب والفضة . الفلاح يهرب من الحقول ، والملاح من البحر ، والجندى من المعسكر ، كما هربت العدالة من المحاكم ، وفقدت روح الصداقة بين الناس ، والمهارة عند الفنانين » .

أما طرابلس ، فقد شاركت بنصيبها كاملا في هذه المحن . وزاد الطين بلة قيام الثورات الداخلية ، أشهرها ثورة عام ٣٦٣ م ، عندما هاجمت جماعة من الأستوريين (وهم من أصل غير معروف ولعلمهم جاءوا إلى طرابلس من الجنوب) مدينة لبدّة ، فنهبوها وأحرقوا المزارع التي حولها ، وقتلوا سكانها وأخذوهم أسرى .

ولعل من أهم دلائل انحلال الامبراطورية الرومانية وقربها من النهاية ، أن القائد الروماني في شمال إفريقيا ، رفض أن يحرك ساكناً إزاء هذا الاعتداء ، وحتى الامبراطور الروماني نفسه فالنتيان الأول ، لم يفعل شيئا عندما أرسلت له المدن الطرابلسية الثلاثة وفداً لطلب الحماية ضد هجمات القبائل المغيرة ، سوى إرسال « لجنة تحقيق » ! وقد شجع هذا التصرف رجال القبائل على التمداد في عدوانهم على السكان ، فعادت قبائل الأستوريين إلى الهجوم على لبدّة عام ٣٦٥ م ، ثم انقلبت إلى المدينتين الباقيتين أويا وصبراتة ، وأتلفتها إتلافا يكاد يكون تاماً ، ونهبت كل ما فيها .

وبينما كان رجال القبائل يغيرون على المدن الطرابلسية ويضربونها بشدة ، كان

النزاع الدينى يمزق وحدة السكان فى الداخل ، أثر اعتراف الرومان الرسمى بالدين المسيحى عام ٣١٣ م . فقد أخذ الدين المسيحى يتسرب شيئاً فشيئاً إلى السواحل الإفريقية ، بينما قاومه البعض الآخر من السكان . وقد أدى هذا النزاع ، فى النهاية ، إلى الصدام المسلح بين الفريقين ، حين هاجمت فرق من المسيحيين تعرف باسم « المطهرين » " Circumcelliones " بلدان شمال إفريقيا ، وأعملت فيها القتل والحرق والسلب ، تحت ستار الدين ، مرددة هتافها المأثور « المجد لله » . وقد وجد أولئك المسيحيون الأرض ممهدة فى طرابلس التى مزقتها الحروب وأنهكتها الفوضى فزادوا فى آلامها ونشروا الذعر ، عوضاً عن الفضيلة ، بين السكان .

* * *

لقد أشرفت الإمبراطورية الرومانية على نهايتها ، وأن لشمسها أن تزول . فى العام ٤٢٩ م . دعا حاكم شمال إفريقيا الرومانى ملك الفندال ، جنسريك ، لاحتلال البلاد لخلاف بينه وبين الإمبراطورة بلاسيدا . ولم يكن جنسريك بحاجة إلى هذه الدعوة ، فقد كان طامعاً منذ زمن باحتلال شمال إفريقيا ، ولم يلبث أن سار إليهم على رأس جيشه . فلما استتب له الأمر فى هذه البلاد طرد منها حاكمها الرومانى الذى استنجد به ، وبخروجه انتهت سيطرة الرومان على شمال إفريقيا عام ٤٣٠ م .

الفاندال والبيزنطيون :

كان الفاندال برابرة^(١) بسطاء ، شقر الشعور ، بيض البشرة ، وقد اشتهروا بميلهم الشديد إلى الثمر والنساء والغناء ، حتى أصبحت هذه الأشياء علماً عليهم

(١) أطلق عليهم هذا اللفظ نظراً لأعمال الهدم والتخريب التى لارتكبوها أثناء زحفهم على أوروبا ، وعرفوا به فى عصور التاريخ . وهو غير لاسم « البربر » الذى أطلق على سكان شمال إفريقيا الأصليين وقد أقام الفاندال ملكهم فى إسبانيا قبل احتلالهم شمال إفريقيا ، فأصبحت تلك البلاد تعرف باسم « فاندالوسيا » ، ومنها اشتق اسم « الأندلس » الذى أطلقه العرب على إسبانيا .



آثار لبدة — العصر الروماني

[تصوير جناح]

في التاريخ . وكانوا قبل تأسيس مملكتهم في شمال إفريقيا تابعين — نظرياً — للدولة الرومانية . فلما فتحوا هذه البلاد ، بقيادة جنسريك ، لم يجدوا فيها ما يغري على ضمها واستثمارها ، ولذا فإنهم لم يضموها إلى مملكتهم نهائياً إلا بعد ٢٥ عاماً من نزولهم فيها . وحتى آنذاك ، فقد اكتفوا بأن يتركوا فيها حامية صغيرة لاتكاد تصلح للمحافظة على الأمن في الداخل .

كانت طرابلس لا تزال تعاني آثار الفوضى وسوء الإدارة التي خلفها فيها الرومان في أواخر عصرهم . وكانت قواعد الصحة العامة والنظافة قد نسيت كلها أو أهملت ، حتى أن قساوسة النصراني أنفسهم لم يمنعوا أتباعهم من دفن موتاهم في الميادين والشوارع العامة ، بل في أي مكان آخر في المدينة .

وهكذا ، وجد أولئك المحاربون الخشنون ملاذاً لهم في قرطجنة ، التي سميت « بالمدينة الشريرة » نظراً لكثرة ملاحمها ، وحياتها الليلية الفاجرة . وقد ذكر المؤرخ الروماني « بروكوبيوس » Procopius « كيف أن الفاندال ، وهم في الأصل برابرة على الفطرة لم يتذوقوا الثقافة اليونانية أو الرومانية ، سرعان ما انغمسوا في اللذات والحياة الصاخبة . فكانوا كما قال المؤرخ المذكور ، يباغون بالاستحمام كل يوم ، ويتناولون طعامهم على موائد حوت أشهى الأطعمة البرية والبحرية . وكانوا يرتدون أفراس الملابس ويزينونها بالذهب الكثير ، ويرتادون المسارح وأماكن اللهو الأخرى ، ويذهبون للصيد والقنص . وكان أكثرهم يقيم في الحدائق الكبيرة ، حيث المياه الغزيرة ، والأشجار الظليلة . وكانت جميع أنواع اللذة الجنسية شائعة بينهم شيوعاً كبيراً » .

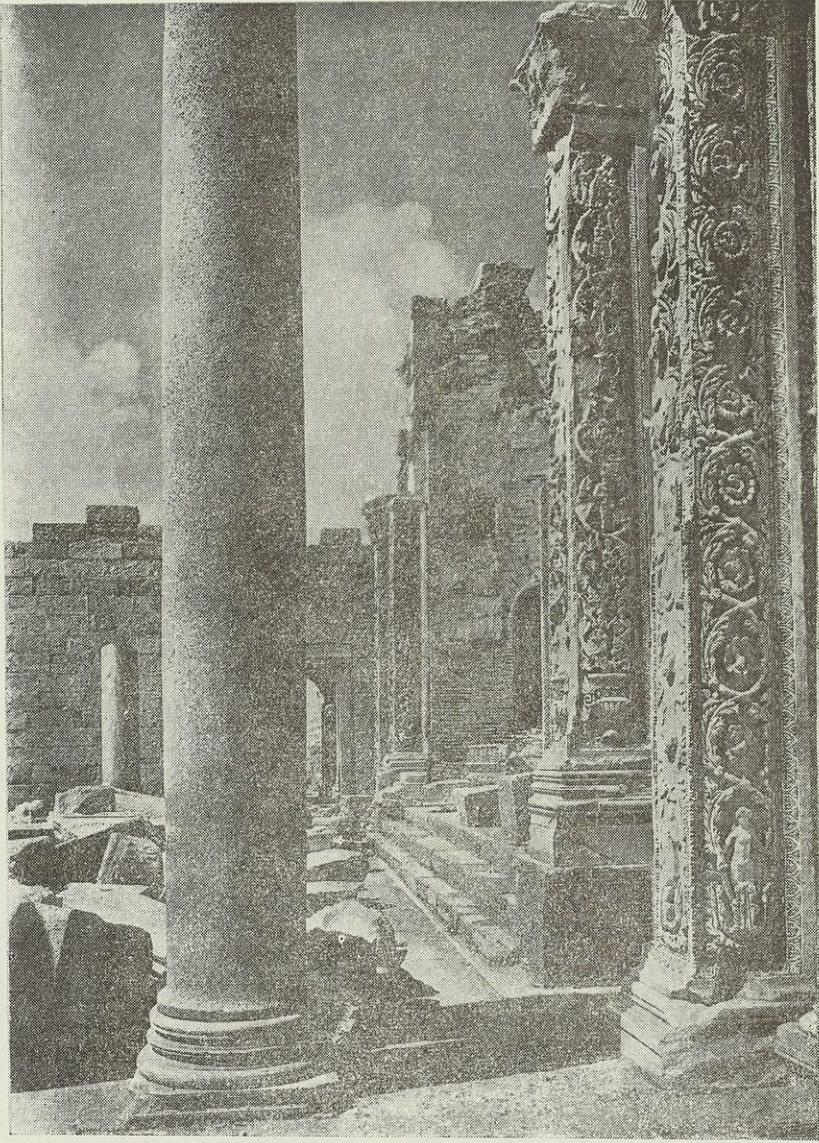
وقد عقد المؤرخ المذكور مقارنة بين هذا البذخ الفاجر وحالة السكان الأصليين في ذلك العصر . فذكر أن الليبيين كانوا « يقيمون في الأكواخ البسيطة ، أما الأغنياء منهم ، فكانوا يفرشون أرضها بجلد الخراف . وفضلاً عن ذلك ، لم يعتمد

السكان على تغيير ملابسهم بتغيير الفصول ، بل كانوا يلبسون عباءة ثقيلة ، وقبصاً خشناً ، على مدار فصول السنة » .

أما الرومان ، الذين ظلوا كرعايا تحت حكم الفاندال ، فكانوا يحترقونهم ، ويسمونهم « الوحوش الشقراء » . إلا أنه لا يوجد في التاريخ ما يثبت أن الفاندال ارتكبوا في شمال إفريقيا مثل ما ارتكبهوه في أوروبا من اعتداء وتدمير وتخريب . ولعل رقة الثقافة الأوروبية ، إلى جانب دفء الشمس الإفريقية ، قد هذبت من طباعهم ، وأزالت من نفوسهم نزعة الهدم والتخريب . ولكنهم - من الناحية الأخرى - لم يحسنوا حكم هذه البلاد أو المحافظة عليها ، كما إنهم لم يحاولوا الدفاع عنها ضد العدو الجديد ، الذي أخذ يدق أبوابها من ناحية الشرق .

كانت بيزنطة ، وريثة الإمبراطورية الرومانية الشرقية ، تطمع في استعادة مجد روما الغابر ، بما في ذلك استعادة المستعمرات الرومانية المفقودة في الغرب . ولم تجد الحملة التي سيرتها عام ٤٦٨ م . بقيادة هرقل صعوبة في طرد الفاندال الذين أخذت قواتهم في الإنحلال ، من طرابلس الغرب ، إلا أن هزيمة أسطول البيزنطيين الذي أرسلوه في نفس الوقت لاحتلال تونس ، أجبرت هرقل على الانسحاب بعد ثلاث سنوات ، ولم يجرب البيزنطيون تكرار المحاولة إلا بعد ستين عاماً . أما الفاندال فقد رفضوا أن يستعبروا بالحوادث ، وظلوا على إهمالهم لهذه البلاد ، مما شجع القبائل الداخلية على الثورة ومهاجمة المدن الساحلية من جديد . وقد تلقت لبدة القسط الأكبر من حدة هذا الهجوم ، فدمرت المدينة تدميراً تاماً ، وهجرها كل سكانها .

كانت إمبراطورية الفاندال آيلة إلى السقوط إذن عندما جرد جوستننيان ، إمبراطور بيزنطة ، حملة لإخضاع شمال إفريقيا عام ٥٣٣ م ، وضمها إلى الدين الكاثوليكي . ولم تلاق هذه الحملة ، كسابقتها ، مقاومة تذكر من الفاندال . فآثم البيزنطيون احتلال البلاد ، وانتهت سيطرة الفاندال عليها إلى الأبد .



جانب من آثار لبدة — العصر الروماني

[تصوير جناح]

إلا أن هزيمة الفاندال لم تكن في الواقع إلا إيذاناً ببدء المتاعب للبيزنطيين . فقد ثارت عليهم القبائل وقامت البلاد قومة رجل واحد محاولة طرد الغزاة . غير أن البيزنطيين تمكنوا من إخضاعهم في النهاية ، وأجبروهم على الطاعة .

ولكن السلام لم يطل هذه المرة أيضاً ، إذ بينما اجتمع ٨١ زعيماً من القبائل الطرابلسية في مدينة لبدّة لتقديم ولائهم للقائد سرجيوس المعين حاكماً عسكرياً على طرابلس الغرب ، إذ بالجنود ينقضون عليهم من كل صوب ، حتى ذبحوهم إلا واحداً استطاع أن ينجو بنفسه حياً^(١) . وقد كانت هذه الخيانة نذير ثورة عامة في البلاد ، إذ هاجت القبائل عند بلوغها النبأ ، وحاصرت لبدّة بقيادة الزعيم « ليوانا » . وفي المعارك التي تلت ذلك قتل سرجيوس نفسه ، وكان لهيب الثورة في هذه الأثناء قد امتد إلى نوميديا وتونس ، فقامت هذه البلاد تقاتل المحتلين ، ولم يحل دون طرد البيزنطيين من شمال إفريقيا بأسرها إلا وقوع القبائل في خلافات داخلية ، فتت في عضدها ، وأعطت القائد البيزنطي الجديد « جون تروغليتا » الفرصة لإخضاعهم مرة أخرى .

وقد تلى هذه الثورات قرن من الهدوء ، انصرف البيزنطيون خلاله إلى تنظيم الشئون الداخلية للبلاد ، ونشر الدين الكاثوليكي . إلا أن إصلاحات البيزنطيين ومجهوداتهم لم تكن كافية لأن تعيد إلى طرابلس الغرب أكثر من ظل ضئيل من مجدها الغابر .

وكانت الضرائب التي فرضها البيزنطيون على السكان تثقل كاهلهم ، كما إن الجزء الأكبر من البلاد كانت قد دمرته الحروب والثورات المتعاقبة . فأهملت الأرض وخلت المدن من جزء كبير من سكانها ، وضعفت التجارة حتى أوشكت أن تتوقف . وفي هذه الحال ، وجد العرب المسلمون البلاد ، عندما جاؤوا فاتحين عام ٦٤٣ م .

(١) ما أشبه ذلك بمذبحة المماليك في قلعة القاهرة !

الفصل الثالث

من الفتح الإسلامى

إلى قيام الدولة الفاطمية

بينما كانت هذه الأحداث جارية فى طرابلس الغرب ، والبيزنطيون يحاولون نشر الدين المسيحى وترسيخه ، كانت الجزيرة العربية مسرحاً لظهور آخر من الحوادث . إذ بينما كانت الدولة البيزنطية سائرة فى طريق البلبلة والتفكك ، والتدمير يعم طبقات السكان ، إذ برجل يظهر فى جزيرة العرب ، داعياً قومه إلى الوحدة ، والتوحيد ونيزد الشرك ، ناشراً بينهم فضائل الدين الجديد الذى أرسله الله به هادياً ومبشراً ونذيراً . وما هى إلا بضعة سنوات حتى كان الإسلام قد عم الجزيرة العربية كلها ، ودانت لمحمد صلوات الله عليه ، القبائل العربية برمتها . فلما اختاره الله إلى جواره الأكرم كان المصطفى قد أتم تبليغ رسالته ، ورضى لقومه الإسلام ديناً .

إلا أن الإسلام لم يكن خاصاً بقوم ، ولم يبعث الله رسوله للعرب وحدهم — (إنا أرسلناك رحمة وهدى للعالمين) ، ولكن شاءت حكمة الله أن توكل إلى العرب دون غيرهم مهمة احتضان هذا الدين ونشره ، وشاءت حكمته تعالى أن يصطفى من بين العرب محمداً ليقوم بتبليغ رسالته . وهكذا ، ما إن حمل اللواء بعد قبض الرسول خلفاؤه الكرام ، حتى أخذوا ينشرون رسالة الإسلام ، ويسعون لتدعيم سلطانه فى البلاد المجاورة للجزيرة . وفى سنوات قليلة ، تمكن أولئك المجاهدون الصابرون ، على قلة عددهم ، من إخضاع كافة الأقطار المجاورة لجزيرتهم ، ففتحوا سوريا وفلسطين والعراق وفارس ومصر ، وساءلهم على ذلك تدمير الأهلىين بسبب القوضى وسوء

الإدارة الضاربة أطنابها في تلك البلاد . فكان السكان يستقبلون العرب ويمهدون لهم السبل حتى تمكنوا ، في أقل من عشر سنوات ، من تفويض دعائم الممالك المجاورة وثلّ عروشها ؛ وإحالة القوضى والاضطراب فيها إلى نظام وطمانينة واستقرار .

وبعد أن تمت الغلبة للعرب في مصر ، واستتب لهم الأمر فيها ، وجهوا أنظارهم نحو شمال إفريقيا ، حيث كان لا يزال يسيطر البيزنطيون . وكان لا بد من احتلالهم لهذه البلاد للقضاء نهائيا على هذه الدولة أو إضعافها إلى الحد الأدنى . ففي الوقت الذي أخذ العرب يستعدون للهجوم على مستعمراتها الإفريقية ، جهزوا جيشاً آخر ليضربوا به قلب الدولة البيزنطية من ناحية الشرق .

وهكذا ، زحفت جيوش العرب على إفريقيا من مصر بقيادة فاتحها عمرو بن العاص في زمن خلافة عمر بن الخطاب ، ولم تكن برقة في حالة تمكنها من الدفاع عن نفسها ، فصالحته سنة ٢٢ هـ (٦٤٢ م) على جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار ، وشرط أهلها أن يبيعوا من أولادهم من أرادوا بيعه في جزيته^(١) . فلما فرغ ابن العاص من احتلال برقة سار إلى طرابلس فحاصرها وعسكر بجنوده على الهضبة التي تعرف اليوم بهضبة الشيخ الشهاب (وهي واقعة على مسيرة نصف ساعة إلى الشرق من طرابلس) . وبعد ثلاثين يوماً من الحصار ، لم تكن عزائم المدافعين عنها قد ترعزت ، ولم يبد أن المدينة على وشك التسليم ، ولذا لم كان سرور المسلمين عظيماً عندما اكتشفوا ثغرة بين البحر والمدينة من الناحية الغربية ، فكبروا بصوت واحد ارتجت له الأرض ، وأطبقوا على المدينة ، فانخلعت قلوب البيزنطيين ، وفر من أفلت منهم في سفنهم ، الراسية في الميناء بمواجهة المدينة .

وقد سهل فرار الأهلين إلى الجبال احتلال عمرو بن العاص لجميع أطراف المدينة . فلما تم له ذلك ، أرسل ابن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في فتح المغرب ولكن الخليفة لم يأذن له ، فبقى في طرابلس ينظم أمورها وبنى فيها أول مسجد

(١) المهمل العذب في تاريخ طرابلس الغرب للنائب ، الجزء الأول .

إسلامي وهو الذي يقوم مكانه الآن جامع احمد باشا . وبعد أن اطمأن إلى استقرار الأمور ، عاد إلى مقر ولايته بمصر ، وظل فيها إلى أن عزله عثمان بن عفان عام ٨٢٥ هـ . (٦٤٥ م) مولياً مكانه أخاه في الرضاع عبد الله بن أبي سرح .

جاء عبد الله إلى طرابلس على رأس قوات جديدة^(١) ، ومعه تكليف من الخليفة بفتح تونس ، جاعلاً له إن أفلاح خمس الخمس من الغنائم . وكان في جيش أبي سرح عدد من الصحابة وأبنائهم ، نذكر منهم عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير وعقبة بن نافع وغيرهم . وبعد أن استراحوا قليلاً بمدينة طرابلس ، بدأوا زحفهم على تونس ، فقابلهم البيزنطيون في جيش لجب من ١٢٠ ألف مقاتل على أبواب عاصمتهم « سبيطة » ، بينما لم يزد عدد جيش المسلمين على عشرين ألفاً ، ونشبت بين القوتين غير المتكافئتين معركة طاحنة ، أذن فيها الله بالنصر للمسلمين ، وتبدد جيش البيزنطيين على كثرتهم وقتل أميرهم المدعو « جريجور » وانتشر المسلمون بعد هذه الموقعة في الأرض يجمعون الغنائم والسبايا ، حتى صالحهم السكان على ثلاثمائة قنطار من الذهب ، بشرط أن يرحلوا عن بلادهم . ولأمر ما ، قبل عبد الله بن أبي سرح هذا الشرط ، وأمر جنوده بالانسحاب إلى المشرق ، بينما قفل هو راجعاً إلى مقر ولايته في مصر^(٢) .

(١) قيل أن عددها بلغ عشرة آلاف مقاتل ، ثم أمده الخليفة بعد ذلك بقوات أخرى .

(٢) قيل إنه لما اقترب القتال ، أخرج جريجور ابنته ، فألبسها حليها وثيابها وأسفر عن وجهها ، وكان عدد خدمها اللاحقين معها أربعين خادماً . فقال جريجور موجهاً الخطاب لرجاله : « أتدرون من هذه ؟ » فقالوا : « نعم ياسيدنا ، هذه ابنة الملك ، وهؤلاء خدمها » . فقال لهم : « وحق المسيح والنصرانية ، لا يقتل أحدكم عبد الله بن سعد إلا زوجته ابنتي وسقت إليه مامعها من الحلى والخدم ، وأنزلته المنزلة التي لا يطعم فيها أحدكم عندي ! » . فلما انتهى إلى عبد الله ابن سعد - أمير الجيش - ما فعله جريجور ، نادى في عسكره ، وأخبرهم بالذي كان من جريجور ، ثم قال لهم : « وحق محمد رسول الله ، لا يقتل أحد منكم جريجور إلا قتلته (وهبته) لابنته وما معها ! » . ثم زحف بمن معه من المسلمين .

وذكر أيضاً أن ابنة الملك أشرفت على العرب في معسكرهم ، فاستقبلت عددهم ، وقالت لأبيها : =

فلما تولى معاوية إمارة المسلمين ، جاعلا عاصمته في دمشق . أمر بإرجاع عمرو بن العاص إلى ولاية مصر وشمال إفريقيا . فعين عمرو ابن خالته عقبة بن نافع نائبا عنه في طرابلس وتونس (عام ٤١ هـ) . وفي عهده ثارت قبائل برقة وفزان وغدامس وارتدت عن الإسلام . فحاربها عقبة وانحن فيها إلى أن رجعت للدين والطاعة ، ولكن إلى حين .

أما هرقل ، ملك بيزنطة ، الذي كان يؤدي إليه أمراء النصارى وملوكهم في إفريقيا ومصر والأندلس الخراج كل عام ، فقد عز عليه أن يفقد هذه الأموال التي كانت تنساب إلى يديه من المستعمرات الإفريقية ، ولذا أرسل أحد بطارفته إلى شمال إفريقيا وأمره أن يأخذ من أهلها مثملا يأخذ المسلمون . فنزل البطريق في قرطاجنة ، وجمع أهل إفريقيا وأخبرهم بما أمره به سيده . ولكن السكان أبوا دفع الجزية مرتين ، وكان قد قام بأمر البيزنطيين في إفريقيا بعد قتل أميرهم السابق رجل آخر خشى وقوع الفتنة ، فطرد البطريق وأمره بالعودة من حيث أتى . ولكن البطريق بدلا من أن يعود إلى هرقل في القسطنطينية ، ذهب إلى معاوية في دمشق حيث زين له إرسال جيش لمحاربة البيزنطيين في شمال إفريقيا وطردهم هائيا من هناك . فاستجاب معاوية لهذا الطلب وأرسل مع البطريق جيشا من المسلمين بقيادة معاوية بن حديج السكندري سنة ٤٠ هـ . فلما وصلوا الإسكندرية توفي البطريق ، ومضى ابن حديج حتى وصل إلى إفريقيا بعد خمس سنوات فوجدها نارا تضطرم . وما أن بلغ العرب إمارة البيزنطيين في تونس حتى

== « لا تسرع في قتل هؤلاء ، واعطني إياهم ! » ، فقال : « لقد أعطيتكمهم » فالتقى الجيشان وهما تنظر حتى هزم الله الروم ، وقتل أبوها أمام عينيها . فلما رأت العرب يتنازعون بعد المعركة ، قالت : « ما للناس يتنازعون ؟ » . فقيل لها : « في قتل أبيك » . فبكت وقالت : « قد رأيت الذي أدركه وقتله » . فسألهما عبد الله بن سعد : « وهل تعرفينه ؟ » . قالت « إذا رأيته عرفته » . فأخذ عبد الله بن سعد جنوده بالعرض ، فروا بين يديها وهى تنظر ، حتى مر عبد الله بن الزبير ، افقالت : « هذا هو قاتل أبي ! » . فقال له عبد الله بن سعد : « كتمتنا يا أبابكر قتلك إياه ! » . فنقله ابن أبي سرح لبنة الملك .

وجدوا أمامهم جيشاً من ثلاثين ألف مقاتل . فاستمجد حديج بمعاوية ، ولما أنجده
كرّ على البيزنطيين يقاتلهم حتى حصر فلولهم في قلعة (جلولا) . ولم يشأ حديج
الإنتظار ، فاقترح الحصن عنوة بعد هدم أسواره ، واغتنم كل ما فيه . وبعد هذا
النصر عاد حديج إلى مصر ، جاعلاً طرابلس تحت إمرته ، بينما ظلت برقة وزويلة
(في الجنوب الشرقى) تحت إمرة عقبة ابن نافع .

وفي سنة ٥٤٢ هـ (٦٦٢ م) توفي عمرو بن العاص في مدينة القسطنطينية التي أنشأها
قرب القاهرة (وتعرف اليوم باسم المدينة القديمة) ودفن فيها . ويقوم على قبره اليوم
جامع عظيم يعرف باسمه . وبعد مرور ثمانى سنوات ، اقتطع معاوية إقليم طرابلس
القرب وتونس من معاوية بن حديج ، وضمها إلى عقبة بن نافع ، وبذلك أصبح
عقبة ولياً على الشمال الإفريقى بأسره ، مرتبطاً بالخليفة في مصر مباشرة .

لقد كان عقبة من الصحابة الصالحين^(١) ، وفي عهده تمتعت البلاد بالعدل
والطمأنينة ، فمنح أهلها حرية العبادة والعمل ، وعاملهم جميعاً بالرأفة والحسنى حتى
أسلم الكثير منهم طائعين مخيارين ، وتطوعوا في جيش العرب مجاهدين .

وكما أنشأ عمرو بن العاص مدينة القسطنطينية قرب القاهرة ، كذلك أنشأ عقبة
ابن نافع مدينة القيروان^(٢) ، جنوبي تونس ، وجعلها عاصمة الإمارة ومقر أعماله .
إلا أن معاوية رأى ، عام ٤٦ هـ (٦٦٦ م) عزل عقبة بن نافع وعين مكانه

(١) ترجم له الامام السيوطى في حسن المحاضرة بقوله « عقبة بن نافع الفهري أمير المغرب ،
قال في التجريد : ولد على عهد الرسول ولا تصح له صحبة ، بينما ذكره ابن الريب في من شهد
فتح مصر من « الصحابة » ، ولا يعرف له حديث .

(٢) اختلف المؤرخون والكتاب في معنى لفظة القيروان فقيل : هى موضع اجتماع الجيش .
وقيل : محط أثقال الجيش . وقيل : هى الجيش نفسه . (المنهل العذب) وقد كل بناء المدينة
في خمسين سنة .

ومما يروى بهذا الصدد ، أن عقبة بن نافع عندما أتى وادى القيروان مع أصحابه ، وقف في
الصباح على رأس الوادى وصاح : « يا أهل الوادى أطعنوا فانا نازلون » وكررها ثلاث مرات .
فأخذت الحيات والقارب وغيرها من الدواب تنساب خارجة منه ، حتى انتصف النهار ، فنزلوا
الوادى عند ذلك ، ولم يروا منها شيئاً (المنهل العذب) .

رويف بن ثابت الفجاري . ومع إنه كان إدارياً حازماً ، ومسلماً صادقاً ، غير أن السكان الذين أحبوا عقبة لم يرضوا عن عزله ، فثارت الاضطرابات ، وأوشك زمام الأمور أن يفلت ، حتى اضطر يزيد الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه معاوية ، إلى إعادة عقبة إلى ولايته على إفريقيا ، عام ٥٦٢ هـ .^(١) وقد تمكن عقبة بعد عودته من القضاء على الفتن والثورات ، وأتم فتح شمال إفريقيا حتى شواطئ الأطلسي إلا أن بعض قبائل البربر انتقضت عليه بزعماء رجل منهم يدعى « كسيلة » ، فحاربها حتى قتل عقبة ومعه ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين في معركة « تهودة »^(٢) فشجع قتله القبائل الثائرة ، وأصبح حكم العرب في شمال أفريقيا مهدداً كله بالزوال . وفعلاً تمكن « كسيلة » من الاستقلال بحكم المغرب مدة خمس سنوات ، إلى أن بويع لعبد الملك بن مروان بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم . فبعث بزهير بن قيس الذي كان قد خلف عقبة على ولاية برقة ، على رأس جيش من العرب لقتال البربر والثأر منهم لدم عقبة بن نافع . وقد تمكن زهير من كبح جماح القبائل الثائرة ، وقتل زعيمها « كسيلة » في معركة نشبت بينهما بالقرب من مدينة القيروان وبذلك خمدت الثورة مؤقتاً ، واحتمى البربر بالقلاع والجبال .

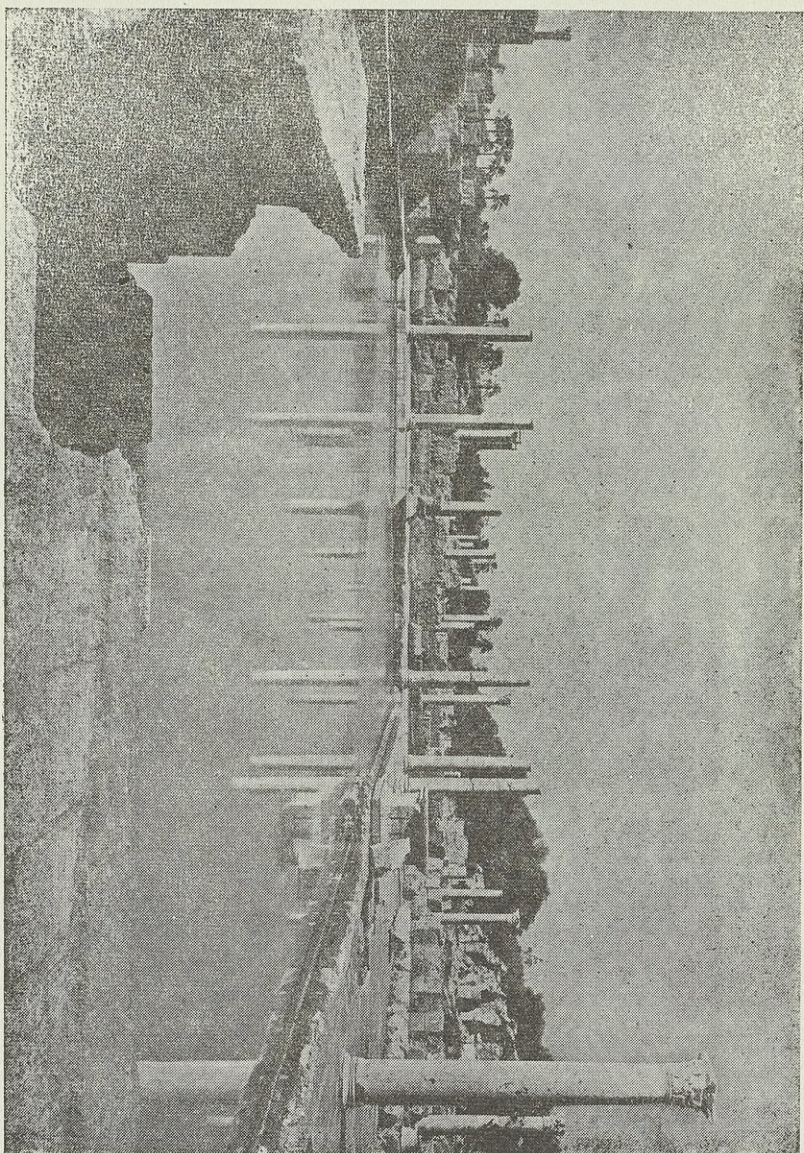
وبعد هذه المعركة ، قفل زهير راجعاً إلى مصر ، زاهداً في الحكم ، وقال : « إنما جئت للجهاد ، وأخاف أن تميل نفسي إلى الدنيا » . وبينما هو في طريق العودة ، إذ اعترضه عند سواحل برقة أسطول البيزنطيين الذي أنزل جنوداً لقتاله واسترجاع أفريقيا من العرب . فقاتلهم زهير حتى قُتل ، ودفن في مدينة درنة حيث له قبر يزار إلى اليوم .

(١) توفي روفيم بن ثابت ببرقة سنة ٥٦ هـ ، ودفن بالجبل الأخضر حيث لا يزال قبره يزار إلى اليوم .

(٢) يقول ابن خلدون أن أحداث الصحابة الذين قتلوا في هذه المعركة مازالت في مكانها من أرض الزاب ، وقد بنى فوقها مسجد يعرف باسم « مسجد عقبة » وهو إلى اليوم مقصد الزائرين المتبركين من السكان .

وقد وجدت قبائل البربر في مقتل زهير فرصة سانحة لشق عصا الطاعة من جديد . وفي هذه المرة ، أسلم البربر قيادهم إلى امرأة تدعى « الكاهنة داهيا الزناتية » ، وصفت بأنها ذات شجاعة فائقة وحنكة في القيادة بالغة . وقد استطاعت « الكاهنة » أن توحد تحت سلطانها قبائل البربر ، فأعلنت استقلالها ، وحاربت العرب حرباً لاهوادة فيها ، حتى تمكنت من إجلائهم عن تونس والجزائر ، واحتلت القيروان وجزءاً من إقليم طرابلس . وفي هذه الحرب ، أتلقت المناطق المزروعة وأحرقت الغابات ، ودمرت القرى والمدن ، إلى أن تدارك الخليفة عبد الملك بن مروان هذا الحال ، وأرسل قائده حسان بن النعمان في ستة آلاف رجل لمحاربة الثائرين وإخضاعهم عام ٦٩ هـ ، فسار حسان إلى إفريقية ، فسأل عن أعظم من فيها من الملوك ، فقالوا : « صاحب قرطاجنة » . فرحل إليه حسان ، وقاتله قتالاً شديداً ، حتى سقطت قرطاجنة ، فدخلها حسان بالسيف ، وغنم كل ما فيها ، ثم أمر بهدم المدينة ، وجلا عنها كل من بقي فيها من الإفرنج إلى جزيرة صقلية وأسبانيا .

ثم سأل حسان عن أعظم ملوك إفريقية ، وعمن إذا قتل أو قهر دانت إفريقية لقاتله ، ويؤس الروم والبربر من أنفسهم ؟ فقبل له : « امرأة يقال لها الكاهنة ، وهي في جبل « أوراس » ، وجميع من بإفريقية خائفون منها ، والروم سامعون لها مطيعون ، فإن قتلها ، يؤس الروم والبربر أن يكون لهم ملجأ » . فلما سمع حسان ذلك خرج إليها بجيوشه ، فلما بلغ موضعاً يقال له « مجانة » وجد الروم قد تحصنوا به ، فمضى وتركهم . وبلغ الكاهنة أمره ، فزحفت من جبل أوراس في عدد غفير ، ونزلت بمدينة « باغاي » وأخرجت من بها وهدمتها ظناً منها أن حسان ينوي أن يتحصن بها . فلما بلغ الخبر حسان ، أقبل بجيوشه حتى التقى بالكاهنة في « وادي مكفاسة » ، واقتتل الجيشان قتالاً شديداً ، فانهزم حسان بعد بلاء عظيم ، وقتل من العرب خلق كثير ، حتى سمي ذلك اليوم « يوم البلاء » . وظلت الكاهنة جادة في نزع حسان وجنوده ، حتى أجلتهم عن قابس ، وأسرت من أصحابه ثمانية رجال ،



[أحوير جناح]

الحمامات — آثار لبدة (العصر الروماني)

وقيل ثمانين رجلاً ، منهم خالد بن يزيد العباسي ، وكان من خيرة العرب ومجاهديهم ، وظل حسان في تهمقره حتى بلغ موقعاً قريباً من المسكان الذي تقوم عليه مدينة « مصراته » اليوم ، فثبت فيه وأقام لنفسه قصراً يقال له اليوم « قصور حسان » . أما الكاهنة فرجعت إلى مقرها في وادي مكناسية ، وظلت تحكم البلاد حكماً مستقلاً مدة خمس سنوات ^(١) .

كان يبدو أن زمام الأمور قد أفلت نهائياً من يد العرب ، وأن شمال إفريقيا قد ضاع منهم إلى الأبد . غير أن القوات التي أجدبها الخليفة عبد الملك بن مروان قائده ، مكنت حسان من الكر على قبائل البربر . فوصل في زحفه إلى قابس ، حيث لاقته الكاهنة في جيوش عظيمة ، فقنانلهم حسان حتى هزمهم ، وهربت الكاهنة تريد « قلعة بشر » تتحصن بها . فوجدت القلعة قد سطحت حتى أصبحت بمساواة الأرض ، فهربت قاصدة جبال أوراس ، وحسان في أثرها حتى اقتربت جيوشه منها . فالتقى الجمعان ، واشتد القتال ، حتى هزمت الكاهنة وقتلت عند بئر ، فسماه المسلمون « بئر الكاهنة » . وبموتها انتهت آخر مراحل هذا الصراع ، واستتب الأمر مرة أخرى للعرب .

وبعد أن هدأت الحرب ، وأتم تنظيم شئون الدواوين ووضع الخراج ، عاد حسان إلى دمشق بعد أن استخلف على شمال إفريقيا رجلاً من جنوده اسمه صالح . وهذه ظاهرة تدعو إلى التأمل ، فإن جميع القواد أو الفاتحين العرب الذين جاءوا إلى هذه البلاد كانوا يعودون من حيث أتوا ، سواء إلى القاهرة أو دمشق ، بمجرد الانتهاء مما عهد إليهم به . ومما تجدر ملاحظته أيضاً ، ثورات البربر المتكررة منذ أن وطئت بلادهم أقدام غريبة . ولعل الرومان والبيزنطيين ، والعرب ، لم يجدوا صعوبة في إخضاع بلد وصبطه كما وجدوا في إخضاع هذه البلاد وحكمها .

وبعد وفاة عبد الملك بن مروان ، تولى إمارة المسلمين من بعده ابنه الوليد بن

(١) عن كتاب « رياض النفوس » الجزء الأول - القاهرة ١٩٥١

عبد الملك . فعين لأماره شمال إفريقيا القائد موسى بن نصير . وكان طموحاً شجاعاً ، كبير المهمة ، عظيم الخلق ، شديد الإيمان والإرادة . فاستطاع بفضل هذه الصفات أن يؤلف بين قبائل العرب والبربر ، وأن يزيل ما في نفوسهم من أحقاد . فلما تم له ذلك ، كتب إلى الخليفة الوليد يستأذنه في فتح الأندلس ، وكان قد فاضله يوليان حاكم سبته في أمر إسبانيا ، وشوقه إلى غزوها ، انتقاماً من ملكه لذريق (أوردريق) فكان جواب الوليد : أن اتق الله ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال . فأصلح موسى علمه بالبحر الشديد الأهوال قائلاً : إنه خليج يرى من أوله ما وراء آخره .

وغلبت إرادة موسى خوف الخليفة ، فأرسل قائده ووليه طارق بن زياد على رأس جيش قوامه ٢٧,٠٠٠ من العرب و ١٢,٠٠٠ من البربر لفتح الأندلس . فعبر طارق بجنوده البحر إلى الجبل الذي سمي باسمه فيما بعد ، ثم أحرق سفنه ، وألقى في جنده خطبته المشهورة في التاريخ . وقد أثبت هذا البطل الفاتح نبوغاً في القيادة لا مثيل له ، إذ تمكن بقواته القليلة من فتح الأندلس سنة ٧٣١ م (٩٢ هـ) ، ثم لحقه موسى بن نصير ومعه قوات أخرى من شمال إفريقيا ، وأتما معاً إخضاع الأندلس فاتحين ظافرين غامضين الغنائم ؛ باسم الله والرسول والمسلمين^(١)

فلما وقف موسى بن نصير على الحدود الشمالية لأسبانيا ونظر ما وراءها ، شاقه أن يفتح تلك البلاد الكبيرة - أي أوربا - وأن يعود إلى الشام عن طريق ألمانيا فالتسطينية فأسيا الصغرى . ولكن الخليفة الوليد قطع عليه تلك الرؤيا الحيدة ، فكتب يلح عليه في القدوم إلى دمشق ليقف منه على حقيقة خبر الأندلس ، ولعله كان يخشى استقلاله بإمرة هذه البلاد الغنية البعيدة .

فقال موسى للرسول مغيث الرومي : في الشمال بلاد تناديننا ، تنادي المسلمين . تعال معنا نفتحها فتكون شريكنا في الأجر والغنيمة . ثم نعود إلى الشام .

(١) كان من بين جنود موسى بن نصير سيدي المنيزر الصحابي ، وقد اشترك في فتح الأندلس ، ثم قتل راجعاً إلى طرابلس ومات فيها ، وقبره مشهور لدى أهلها ، يتبركون به .

وقد لاقى هذه الدعوة هوى فى نفس مغيث ، فزحفوا إلى جليقيا (Galicia)
يفتحون الحصون ويخضعون المدن ، وكانوا كلما سر قوم منهم بموضع استحسنوه
حطوا به الرحال ، ونزلوه قاطنين .

وبينا هو فى هذه الفتوحات ، إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة ومعه كتاب
يؤبىخه فيه لإبطائه فى العودة .

فعاد موسى من جليقيا ، وركب البحر ومعه طارق بن زياد وأحمال من الغنائم
والأموال والجواهر التى لا يقدر قدرها ، وثلاثون ألف رأس من السبى .

عاد الفاتح ظافراً غنائماً ، فماذا لقي من مليكه أمير المؤمنين ؟

قيل إنه لما توجه إلى المشرق ، وانتهى إلى مصر ، بلغه الخبر بمرض الوليد ،
ووفاه كتاب يستحثه على القدوم وكتاب آخر من سليمان أخو الوليد يثبته ، فأسرع
موسى بالعودة ، ووفد على الوليد قبل وفاته بثلاثة أيام ، ودفع إليه مامعه من الغنائم
والأموال . فغاض ذلك سليمان وأساء مكافأته حين أفضى الأمر إليه .

وفى يوم شديد الحر ، أوقفه سليمان بن عبد الملك فى الشمس ، فوقف حتى سقط
مغشياً عليه . وقال له سليمان : كتبت إليك فلم تنظر كتابي . هلم مائة ألف دينار !
فقال موسى . يا أمير المؤمنين ، لقد أخذتم ما كان معى من الأموال ، فمن أين لى
مائة ألف ؟ فقال سليمان : لا بد من مائتى ألف ! فاعتذر ، فقال الخليفة : لا بد من
ثلاثمائة ألف دينار . وأمر بتعذيبه ، وعزم على قتله وقتل جميع أولاده . كما أمر عامله
بأفريقيا محمد بن يزيد القرشى ، باستئصال بنى موسى ، فقبض على ابنه عبد العزيز ،
الذى كان قد استخلفه موسى على إمارة الأندلس عند رحيله إلى الشام ، وقتله ثم
أرسل رأسه إلى الخليفة .

فلما أحضر الرأس بين يدى سليمان بن عبد الملك ، استدعى إليه موسى بن نصير
وقال : أتعرف هذا ؟

فقال موسى : نعم ، أعرفه صواماً قواماً . فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيراً منه .

ثم أمر سليمان بنى موسى إلى الحجاز ، حيث مات ذليلاً معدماً . أما طارق بن زياد ، فقد اختفى بعد وصوله إلى دمشق ، ولم تعرف حتى الآن كيف كانت نهايته^(١) .

* * *

كانت نهاية ولاية موسى بن نصير هي بدء فترة من المتاعب لهذه البلاد . وقد تقلب عليها عدد من الولاة لم يكن بينهم من يدانيه في حكمته وشجاعته وحسن قيادته وفي عهدهم كثرت الفتن واختل حبل الأمن ، إلى أن بعث الخليفة هشام بن عبد الملك بعبد الرحمن بن حبيب (وهو حفيد عقبة بن نافع) غازياً إلى المغرب ، فبلغ في زحفه المغرب الأقصى ، وقضى في طريقه على الفتن والثورات . ومن أهم ما قام به غزو جزيرة صقلية لأول مرة في تاريخ العرب والإسلام ، وذلك عام ١٢٢ هـ ، فهاجم سرقوسة العاصمة وحاصرها ، واثخن في الجزيرة وفرض على أهلها الجزية ، ثم قفل راجعاً إلى طرابلس ، ليخمد ثورة البربر التي جاءت أنباؤها إلى صقلية . فلما بلغها ، وجد أن البربر قد بايعوا بالخلافة رجلاً يدعى ميسرة المظفرى ، ولكنهم ما لبثوا أن قتلوه لما تبين لهم سوء أخلاقه ، وأقاموا على أنفسهم أميراً يدعى خالد بن حميد الزناتى . فكان أول ما عمله عبد الرحمن بن حبيب أن أنشأ حول مدينة طرابلس سوراً يحميها

(١) تسهيل الإدارة وضبط الأمور ، قدم موسى بن نصير المغرب إلى ثلاثة أقاليم وهي : المغرب الأقصى وهو المعروف الآن بمراكش ، والمغرب الأوسط وهو الجزائر ، والمغرب الأدنى ويشمل ليبيا وتونس .

أما ليبيا ، فقد منحها استقلالاً ذاتياً ، وولى عليها أبابكر بن عيسى القيسي الذي أحسن إدارتها ، رعى عهده نمى التجارة ونهضت الزراعة واطمأن الناس إلى نفوسهم وأرزاقهم . كما أنشأ عدداً من المساجد ، وألحق بكل منها مدرسة قرآنية لتعليم الدين والنحو والحساب .

من غارات القبائل (سنة ١٣١ هـ) . غير أن ذلك السور لم يمنع أحد زعماء الثائرين واسمه عبد الجبار من احتلال المدينة ، وقتل واليها أبا بكر بن عيسى القيسى . وكان عبد الرحمن إذ ذاك خارج المدينة ، فجاءها على عجل ، وظفر بعبد الجبار وقتله ، وأعاد تحصين المدينة .

وقد استقل عبد الرحمن بن حبيب بعد ذلك بولاية أفريقيا ، وثبته عليها الخليفة مروان بن محمد ، إلا أنه لم يلبث طويلا حتى توفي سنة ١٣٢ هـ ، وتصادف موته مع نهاية الدولة الأموية في دمشق ، وقيام دولة العباسيين على أنقاضها في بغداد . فكان ذلك حافزاً للشمال الأفريقي على أن يستقل بأمره ، وشجعهم على ذلك بعد الصلة بينهم وبين عاصمة الخلافة الجديدة .

وهكذا أعلنت طرابلس الغرب انفصالها عن الخلافة العباسية ، وسلمت زمام أمورها إلى رجل من رجالها يدعى أبو الخطاب الأباضي . وقد تمكن أبو الخطاب (وهو من وجوه العرب في نواحي طرابلس) من توحيد ليبيا تحت إمرته ، وانضم إليه سائر البربر ، ثم زحف على القيروان فاحتلها وعين والياً عليها من قبله اسمه عبد الرحمن بن رستم الفارسي . كما إن جهات أخرى أعلنت استقلالها أيضا وانفردت بالحكم . غير أن العباسيين ، الذين لم يكن في نيّتهم التخلي عن هذه البلاد ، جردوا حملة على شمال إفريقيا بقيادة محمد بن الأشعث (عام ١٣٧ هـ — ٧٥٤ م) ، فخارب أبا الخطاب وقتله بأرض تاورغة ، ثم زحف على القيروان واستولى عليها بعد فرار واليها عبد الرحمن بن رستم إلى تاهرت . وجاء دور طرابلس بعد ذلك ، فاحتلها ابن الأشعث كما احتل سائر ضواحيها ، وبذلك عادت بلدان شمال أفريقيا مرة أخرى إلى حظيرة الخلافة العباسية .

وكما عاد أسلافه إلى بلادهم بعد الانتهاء من فتوحاتهم في أفريقيا ، عاد كذلك

ابن الأشعث إلى المشرق سنة ١٤٨ هـ ، بعد أن ولى على شمال أفريقيا الأغلب بن سالم التميمي .

فلما ولى الخلافة هرون الرشيد ، أعلى خلفاء العباسيين شأنًا وأعظمهم مقدرة ، ولى على طرابلس سفيان ابن أبي المهاجر . ولكنه استقال بعد عامين ونصف من ولايته . فولى الرشيد مكانه محمد بن مقاتل العمكي (وهو أخو الرشيد بالرضاع) ؛ فقدم إلى القيروان عام ١٨١ هـ ، ولكن الجند ثاروا عليه لسوء أخلاقه ، فجاء لاجئًا إلى طرابلس . ولما بلغ النبأ إبراهيم الأغلب سار بجيشه إلى القيروان فدخلها وأرجع محمد بن مقاتل إلى ولايته على القيروان سنة ١٨٣ هـ .

وفي السنة التالية ، كانت أخبار محمد بن مقاتل قد وصلت إلى الرشيد ، فاستشار رجاله فيمن يولى على شمال أفريقيا ، فأشاروا عليه بتولية إبراهيم بن الأغلب . فولاه هرون الرشيد ، وزاد بأن جعل الولاية وراثية في عقبه من بعده . وبذلك بدأ في شمال أفريقيا حكم جديد يعرف (بمصر الأغلبية) الذي امتد ١١٣ سنة (١٨٤ — ٢٩٧ هـ) . وفي عهدهم تقدمت العلوم وازدهرت التجارة ونشطت الزراعة رغم الظروف المحيطة بهم ، والحروب التي جروا إليها جرأ ، وأهمها محاربة البربر عام ٢٤٥ هـ ، ومحاربة العباس بن طولون عام ٢٦٥ هـ .

ومن أهم الأعمال التي قام بها الأغلبية ، وينسب لهم الفضل فيه ، فتح جزيرة مالطة سنة ٢٥٥ هـ ، أثناء ولاية أبو الغرائق محمد بن أحمد بن الأغلب الذي كان أديبًا عاقلًا حسن السيرة والأخلاق ، إلى جانب كونه قائدًا شجاعًا ومسددًا فاضلًا .

* * *

وفي سنة ٢٨٥ هـ ، أخذت جماعة في الظهور في بلاد المغرب ، مدعية النسب إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) . وكان يتزعم هذه الجماعة رجل يدعى عبيد الله بن المهدي بن محمد بن قداح الشيعي ، الذي أخذ يعلن أحقيته بالخلافة ، ويطالب بها

لنفسه . وكان على رأس دولة الأغالبة في ذلك الوقت أبو العباس أحمد بن الأغلب ،
فلما قتل سنة ٥٢٩٠ هـ ، تولى الامارة من بعده ابنه أبو مضر زيادة الله ، وكان شاباً
متلافاً انصرف عن شئون الحكم إلى الفسق والفجور ، فكان يهين الجوبتلك
التصرفات الماجنة لظهور الدعوة الفاطمية وتقويتها ، حتى تمكن عبيد الله من
الاستيلاء على كافة بلدان المغرب الأقصى ، وتلقاه أهل القيروان مباهجين عام ٥٢٩٧ هـ .
وبذلك انتهى حكم الأغالبة ، وبدأ عصر الدولة الفاطمية في المغرب .

الفصل الرابع

الدولة الفاطمية وما بعدها

كان عبيد الله المهدي ، أول ملوك الفاطميين في المغرب ، رجلاً مستبدًا غليظ الطباع . فلما تمت له البيعة بمدينة القيروان ، عمد إلى التخلص فوراً من الذين عاونوه في دعوته ومكنوه من الملك . فقتل كبير دعائه أبا عبد الله الشيعي ، وأخاه أبا العباس المهدي ، وغيرهما من كبار الشيوخ والأعيان ، ولما تمض على توليته بضعة شهور ! فلما تخلص ممن زين له الوهم أنهم منافسوه في الملك ، أخذ في تعيين الولاة وتنظيم أمور الدولة . فأرسل « ماكنون بن ضبارة اللحياني » على طرابلس ، و « حباسة بن يوسف » على برقة . وعين ابنه أبا القاسم نزار لولاية العهد .

ويبدو أن « ماكنون » لم يحسن سياسة أهل طرابلس ، اذ ثاروا عليه ثورة جاححة عام ٣٠٠ هـ ، أي بعد أقل من عامين من توليته ، وطردوه من مدينتهم . فأرسل لهم عبيد الله المهدي ابنه أبا القاسم ، ولكن الطرابلسيين امتنعوا عليه هو أيضاً ، وأقفلوا أبواب مدينتهم . فحاصرها أبو القاسم حصاراً طويلاً ، ثم فتح المدينة عنوة وأنخن في أهلها ، وفرض عليهم غرامة قدرها ٣٠٠٠٠ دينار .

وقد تربع عبيد الله المهدي على عرش المغرب أربعة وعشرين عاماً ، وسع خلالها رقعة ملكه حتى المغرب الأقصى ، وتوفي سنة ٣٢٢ هـ ، عن ثلاثة وستين عاماً .

وبعد وفاة المهدي ، تولى مكانه ابنه وتلقب بالقائم ، وقد ثارت طرابلس في عهده أيضاً . وتولى من بعده ابنه إسماعيل المنصور بالله . وبعد وفاته بويع لابنه المعز بن المنصور سنة ٣٤١ هـ .

كان المعز أشهر ملوك الفاطميين قاطبة ، وكان تداعب خيالاته آمال عراض ، كافتتاح مصر وضم ثرواتها إلى ملك الفاطميين . وقد تمكن المعز من تحقيق حلمه هذا بعد عشرين عاماً من توليته . ففي سنة ٣٦١ هـ أرسل قائده المشهور جوهر الصقلي لإحتلال أرض النيل ، فافتتحها بدون مقاومة كبيرة . ولما تم له ذلك ، سار إليها المعز في شهر شوال من نفس العام ، فبلغها في الخامس من رمضان من العام التالي . وكان جوهر في هذه الأثناء قد أسس مدينة القاهرة ، وبنى فيها الجامع الأزهر ، الذي أصبح فيما بعد أكبر جامعة إسلامية في العالم .

وفي القاهرة ، طالب المعز بالخلافة الإسلامية لنفسه دون العباسيين ، فلباه زعماء مصر وأعيانها ، وجاءوه مبايعين . وبذلك إنتقلت عاصمة الفاطميين من القيروان إلى القاهرة ، وأصبحت الأقاليم الأفريقية ولايات تابعة لمصر .

وبانتقال مقر الملك وعاصمة الخلافة إلى القاهرة ، أهمل الشمال الأفريقي ، ووقعت بلدانه مرة أخرى فريسة القوضى وسوء الإدارة . وقد تعاقب على ولاية طرابلس « عملاء » — كما كان يسميهم الفاطميون — عديدون . غير أنهم لم يزيدوا عن كونهم « أشباه حكام » ، ولم يكن لهم من السلطة إلا ظلمها ، فتعاقبت في أيامهم الفتن والثورات ، واضطربت شئون الزراعة والتجارة ، وحل الخوف بقلوب الناس .

ومن أشهر أولئك العملاء ، عبد الله السكتامي الذي شملت ولايته طرابلس وبرقة حتى اجدايية (عام ٣٦٧ هـ) . وفلقول بن خزرون عام ٣٩١ هـ ، الذي استقل بإدارة طرابلس ، ومحمد بن الحسن (عام ٤٠١ هـ) وفي عهده ثار البربر وهاجموا مدينة طرابلس ، وعبد الله بن الحسن (عام ٤٠٥ هـ) وفي عهده انتشر مذهب الإمام مالك^(١)

(١) نشأ الامام مالك رضى الله عنه فى المدينة بجزيرة العرب ومات فيها .

في بلاد المغرب ، وكان على ولاية أفريقيا آنذاك المعز بن باديس ، الذي انتفض على الخلافة الفاطمية ومذهب الشيعة ، وخطب للخليفة العباسي في بغداد . فشجع هذا الانتفاض الجمهور (وأكثرهم من أهل السنة) على الجهر بما في نفوسهم ، وفتكوا ببعض أهل الشيعة . فلما بلغت هذه الأنباء الخليفة الفاطمي بالقاهرة ثار وهاج ، واستدعى وزيره أبا محمد اليازوري^(١) للتداول معه في أمر المعز . فأشار عليه الوزير باصطناع قبائل بني سليم وبني هلال التي كانت قد نزلت بمصر آتية من صحراء نجد ، وتولية مشايخهم أمر أفريقيا ، فيتخلصون بذلك من وجودهم في مصر ، ومن المعز بن باديس في وقت واحد . وقد استحسن الخليفة هذا الرأي ، لا سيما وأن هذه القبائل كان قد استفحل أمرها في مصر حتى باتت تهدد بخلق المشاكل للخلافة الفاطمية ، فأرسل وزيره إلى شيوخ هاتين القبيلتين ليقاضيهما ، وما زال بهم حتى قبلوا بعد أن أعطى كل فرد منهم بعيراً وديناراً وقال لهم : « لقد أعطيتكم المغرب وملك المعز بن باديس الصنهاجي » .

وهكذا بدأت أكبر غزوة عربية كاسحة في تاريخ هذه البلاد . فسارت قبائل العرب على برقة واقتحمت حصونها وأمصارها ، ثم سارت جوعهم إلى طرابلس حيث قابلهم المعز بن باديس في جيش من حوالى ثلاثين ألف مقاتل فانهزم أمامهم وارتد بفلول جيشه إلى مدينة القيروان . وبعد أن جمع المعز أشعثات قواته ، خرج إليهم وقاتلهم مرة أخرى ، ولكنهم تغلبوا عليه في هذه المرة أيضاً . وفي عام ٤٤٦ هـ سقطت مدينة القيروان بيد الغزاة ، وفر المعز إلى المهديّة حيث أقام إمارته ، بينما استقل «عائد بن أبي الغيث» في إمارة تونس . وفي سنة ٤٥٤ هـ توفي المعز بن باديس وتولى مكانه ابنه تميم . فخارب العرب ، ولكنه هزم أمامهم كما هزم والده من قبل . وفي هذه الأثناء تولى على طرابلس رجال لم يكن لهم من الأمر شيئاً ، كما تدلّ على

(١) أصله من فلسطين من قرية يازور ، وكان أبوه فلاحاً بها .

ذلك حادثة الأمير التركي « شاهملك » الذي قدم إلى طرابلس من مصر عام ٤٨٨ هـ في بعض الفرسان ، فدخلوا مدينة طرابلس ، وكان أهلها على خلاف مع الوالى فأدخلوهم وطردها الوالى ، وعينوا مكانه شاهملك .

قد ثار تميم بن المعز بن باديس عند سماعه هذا النبأ ، فأرسل الجند وحاصر مدينة طرابلس ، ثم احتلها وأسر شاهملك ، وعاد تميم بعد ذلك إلى المهديّة . ويروى عن تميم أنه كان شجاعاً ذكياً محبباً للنفوس ، وله فضائل كثيرة . وتوفى عام ٥٠١ هـ .

* * *

وبوفاة تميم ، انقضت أسرة بنى خزرون^(١) فاستقل أهالى طرابلس بأنفسهم ورفضوا دفع الجباية للوالى الجديد محمد بن خزرون بن خليفة ، وانحل نظام الحكم والإدارة ، فشككت كل قبيلة (حكومة) مستقلة وعينت رئيساً لها . إلا أن القبائل لم تستطع أن تتفق فيما بينها على كثير من الأمور ، فقامت الحرب بينها وهلك فيها عدد كبير من سكان طرابلس . وقد زاد الطين بلة حدوث مجاعة في البلاد بسبب هلاك الزرع والحروب . فاختلت أحوالها ، وهجرها سكانها .

وفي هذه الأثناء ، كان الصقليون (وملكهم روجر الثانى) ينتظرون الفرصة الملائمة لفرز طرابلس ، فلم يجدوا أنسب من هذه الفرصة ، وأرسلوا عام ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) أسطولاً بقيادة الأميرال جورج ميكائيل^(٢) الذى حاصر المدينة مدة ثلاثة أيام ، ثم انتهز فرصة اقتتال السكان حول انتخاب أحد الرؤساء ، فتمكن من وضع السلام على أسوار المدينة ، وتسليمها جنوده ، فاحتلوا المدينة بعد قتال قصير ، واحتفظ الأميرال الصقلى ببعض أعيانها رهينة عنده .

(١) وهى المرونة أيضاً فى التاريخ باسم الأسرة « الصنهاجية » وهم من البربر .

(٢) وهو المعروف أيضاً باسم « جورج الأنطاكي » .

ثم أعلن الصقليون مصالحة المسلمين ، ودعاهم الأميرال للعودة إلى المدينة ، على أن يترك لهم حرية انتخاب الوالى والقاضى . فعاد جزء كبير منهم ، وانتخبوا يحيى بن مبروك والياً عليهم ، كما انتخبوا أبا الحجاج يوسف قاضياً للمدينة . وعند ذلك أطلق الأميرال الصقلى سراح الأعيان المعتقلين . فلما هدأت الأحوال ، واستأنف السكان حياتهم العادية ، أبحر من طرابلس تاركا فيها حامية دفاعية صغيرة .

وقد ظلت طرابلس مدة ١٢ سنة تحت حراسة هذه الحامية الصقلية الصغيرة ، حتى استطاع أحد أمراء الموحدين واسمه محمد المؤمن بن على ^(١) (عام ٥٥٣هـ - ١١٥٨م) أن يؤلب أهالى تونس على الإفرنج الذين كان قد امتد سلطانهم حتى شمل جزءاً كبيراً من الشمال الأفريقى غرب طرابلس . فزحف على هذه المدينة واحتل فى طريقه البلاد الساحلية .

ولما بلغ محمد المؤمن أبواب مدينة طرابلس ، وجد فى استقباله الوالى و بعض الأعيان ، فعلم منهم أن سكان المدينة قد انقضوا فى الليلة السابقة على الصقليين وذبجهم عن آخرهم . وبعد أن ثبت محمد المؤمن يحيى بن مبروك على ولاية طرابلس ، اتخذ طريقة عائداً إلى مقر ملكه .

كان يحيى بن مبروك رجلاً نزيهاً ذكياً ، وقد استطاع أن يدير الدفة بحكمة وشجاعة حتى كسب ثقة الجميع . فلما تولى ملك الموحدين ابن زيد بن محمد المؤمن ، استأذنه فى الذهاب إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج ، وكانت قد تقدمت به السن ، فتوفى وهو فى مكة .

وبوفاة يحيى ، عادت طرابلس إلى أحضان البؤس والفوضى من جديد ، إذ انصرف

(١) وهو ابن المهدي بن محمد بن ثومرت الذى ادعى انه المهدي المنتظر ، وأسس دولة

الموحدين فى المغرب . وهم يعرفون أيضاً فى التاريخ باسم « الحفصيين »

الموحدون إلى قضاء مصالحهم الشخصية على حساب السكان ، وأهملوا الجيش . فثارت بعض القبائل وعلى رأسها بني هلال ، وظلوا يقاتلون الموحدين حتى أضعفوا سلطانهم وبددوا شمل مملكتهم . وفي هذه الظروف أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي ، الذي كان قد أنشأ الدولة الأيوبية في مصر بعد وفاة آخر خلفاء الفاطميين أبو محمد العاضد لدين الله (عام ٥٦٦هـ - ١١٧٠م) مملوكه شرف الدين قراقوش لاحتلال إفريقية . فسار قراقوش يتلف وينهب كل ما في طريقه ، وانضمت إليه القبائل النائرة ، حتى وصل مدينة طرابلس عام ٥٦٨هـ (١١٧٢م) ، فحاصرها ثم أخذها عنوة . وقد سهل احتلالها إخضاع سائر الأقاليم والمدن الأفريقية ، فاحتل تونس والجزائر ومدناً أخرى عديدة في بلاد المغرب . فلما تم له ذلك ، بعث برسول إلى الخليفة العباسي في بغداد ، ليحصل منه على لقب الإمارة .

فلما رفض الخليفة العباسي أن ينعم على قراقوش بهذا اللقب ، شجع ذلك ملك الموحدين يعقوب أبو يوسف الحفصي على محاربة قراقوش وإخراجه من شمال أفريقيا ، فسار إليه على رأس جيش من عشرين ألف مقاتل ، حتى بلغ تونس . وكانت خطة قراقوش تقضي بالانتظار وعدم محاربته الآن ، فأمر الأهلين بتسهيل مرور الموحدين ، بل باستقبالهم بمظاهر الفرح والترحيب . فلما توغل الموحدون في البلاد انقض عليهم قراقوش برجاله ، ومزقهم شر ممزق إلا أن يعقوب جمع فلول جيشه ، وانقض بدوره على قابس حيث توجد معظم قوات قراقوش ، حتى تمكن من المدينة وغنم كل ما فيها ، بما في ذلك نساء قراقوش وأطفاله . فلما رأى الجزائريون ما حل برئيسهم وجيشه ، خضعوا ليعقوب واستكانوا له ، فلم يجد قراقوش بداً من مفاوضة عدوه على إلقاء السلاح والعودة إلى تونس ، مقابل إطلاق سراح نسائه وأطفاله .

وبعد أن تم ليعقوب الاستيلاء على طرابلس وضواحيها ، قفل راجعاً إلى فاس

عام ٣٨٦ هـ (١١٩٠ م) ، بينما انسحب قراقوش إلى تونس حسب الاتفاق. ولكن لم يمض وقت طويل حتى كان جنود قراقوش قد بدأوا يعودون إليه ويتجمعون حوله ، فأغراه ذلك على استئناف الحرب ، وخرج قراقوش فاكسح قابس ، ومنها سار إلى طرابلس فاحتلها أيضاً . وعلى مسيرة ساعة ونصف ساعة إلى الغرب من هذه المدينة ، أقام لنفسه قصراً من الحجر والآجر ، أطلق عليه اسمه ^(١) .

وبعد أن أتم تنظيم جيشه ، استأنف قراقوش الحرب ضد الموحدين ، ولكنهم تمكنوا من التغلب عليه في هذه المرة أيضاً بمساعدة يحيى بن غانية شقيق علي بن غانية الذي كان قد جاء من ميورقة (وهي جزيرة واقعة إلى الشرق من إسبانيا) ليجرب حظّه هو الآخر بالفتح والملك . فاحتل الموحدون طرابلس للمرة الثالثة عام ١٢٠٢ م ، بعد مقاومة عنيفة أبدتها قوات قراقوش بقيادة أحد رجاله المدعو يعقوب ^(٢) .

وفي سنة ١٠٦ هـ (١٢٠٤ م) قدم أبو يوسف يعقوب خليفة الموحدين إلى طرابلس حيث احتفل السكان بتنصيبه أميراً عليهم . وهو بدوره عين يحيى بن غانية والياً على طرابلس وقابس مكافأة له على خدماته في قتال قراقوش .

إلا أن قراقوش لم ييأس بعد ضياع طرابلس من يده ، فذهب إلى فزان في الجنوب وأخذ في محاربة القبائل ، وغنم منها غنائم كثيرة . فخرج إليه يحيى بن غانية

(١) لم تبق من هذا القصر سوى أطلال مندثرة . وتعرف المنطقة التي أقام بها قراقوش قصره اليوم بمنطقة « قرقارش » ، وقد أقام الايطاليون أثناء الاحتلال حصناً في هذه المنطقة ، على بعد ٩ كيلو مترات من المدينة ، وتقيم فيه اليوم قوات بريطانية . كما أنه تقع فيها « حمامات قرقارش » المعدنية المشهورة .

(٢) يقول النائب في كتابه « المنهل العذب » أن قراقوش جاء من مصر فاستولى على فزان وزويلة ومنها سار إلى طرابلس بعد أن حالفه العرب وأمير جبل نفوسة من قبل الموحدين ، المدهو مسعود البلاط . وبعد احتلاله طرابلس ، خرج على بن غانية (وهو أحد أمراء المسلمين) من جزيرة ميورقة في أسطول لقتال الموحدين ، فاستولى على تونس ، ولما جاء قاصداً طرابلس ، اتفق معه قراقوش على أن يحكماها مشاركة . فقبل وانضمت إليهما العرب ، فتزوا مملكة الموحدين غزوات غير موفقة . ثم مات علي بن غانية في جهات الجزائر ، وتولى مكانه أخوه يحيى الذي اختلف مع قراقوش ، فقتله واسقط بالحكم .

فقاتله حتى غلبه وأخذه أسيراً هو وعائلته وأطفاله ، ثم قتلهم وأخذهم إلى طرابلس حيث علقهم على المشانق في الميدان العام^(١) وبذلك انتهى هذا التطاحن المميت بين العدوين اللدودين .

لم يحزن أحد من سكان طرابلس لموت قراقوش والتمثيل بجثته على هذا النحو البشع ، فقد كان حاكماً مستبداً ، ارتكب كثيراً من المظالم ، وتسبب في أحداث الخراب في جزء كبير من البلاد . وفي عهده ، وجدت القبائل فرصة للخروج على النظام ، فشاركته سياسته ، وأتلفت ما أبقي عليه حكمه السيئ ، حتى أصبح اسمه علماً على الظلم وسوء الحكم . واليوم ، يتندر الناس بحكايات قراقوش ، ولعل أكثرها مختلق أو مبالغ فيه . ولكنهما في جوهرهما لا تخرج كثيراً عن الحقيقة والواقع^(٢) .

إلا أن وفاة قراقوش لم تضع حداً لمتاعب السكان وآلامهم . فقد خلفه في شروبه وطغيانه يحيى بن غانية ، بل زاد عليه . وكأنه لم يجد بعد موت قراقوش من يقاتله ، فأخذ ينكل بالسكان التعساء ويقتلهم بلا حساب ، حتى أنقذهم منه الخليفة الناصر بن يعقوب ، وكان قد خلف أباه على ملك الموحدين . فلما دخل الناصر مدينة طرابلس ، أخذ يهدىء من روع الأهلين ، وأقام على المدينة والياً من خيرة رجاله وأتقاهم ، هو الشيخ أبو محمد بن أبي حفص .

أما يحيى بن غانية ، الذي فر من طرابلس قبل أن يدخلها الناصر ، فقد عاد إلى الظهور مرة أخرى في ضواحي المدينة ، ومعه بعض الجنود والعرب من قبائل بني هلال وبني سليم . فخرج إليه أبو محمد في جيش من الموحدين ، ونشبت بين الفريقين معركة طاحنة . وقد ظلت المعركة دائرة طول اليوم ، فلما جاء المساء ، كانت الهزيمة قد دبت في صفوف يحيى ، ونجا هو بنفسه جريماً إلى الصحراء . وقد جمع أبو محمد

Annales Tripolitaines — Féraud (١)

(٢) مما تجدر ملاحظته هنا أن الأيوبيين في مصر لم يرسلوا أية نهجيات حربية لمساعدة قراقوش ، كما أنهم لم يحاولوا استعادة شمال أفريقيا بعد وفاته .

في ذلك اليوم غنائم وفيرة ، ذهب بها إلى الناصر في المهديّة ، وقدم إليه استقالته .
ولكن الناصر أبي قبورها ، وأعادته إلى طرابلس ومعه بعض الهدايا لأعيان المدينة .

بقى أبو محمد ، إذن ، في ولايته على طرابلس . فأخذ ينظم أمورهما ، ويصلح
من شأنهما . إلا أن يحيى عاد إلى الظهور مرة أخرى ، وحوله بعض فلول جيشه . فلما
بلغت أنباء تجمعاتهم أبا يحيى ، خرج إليهم عام ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ م) ، فقابلهم عند جبل
نَفْسُوسه ، وهناك قاتلهم حتى أجهز عليهم بعد معركة دامت طول النهار وجزءاً من
المساء . وقد قتل في هذه المعركة عدد من زعماء القبائل ، وأحد أبناء يحيى ، أما يحيى
نفسه فقد استطاع الفرار هذه المرة أيضاً ، ولكنه توفي بعد ذلك طريداً في الصحراء .
وهكذا استتب الأمر نهائياً لأبي محمد .

وبعد وفاة الناصر ، تولى خلافة الموحدين مكانه ابنه يوسف المستنصر ، وكان
لا يزال حدثاً صغير السن . فعين شيوخ الموحدين أبا محمد قائداً عاماً لأفريقيا نظراً
لكنفاءته الحربية والإدارية ، فاستطاع كسب ثقة الجميع ، وظل محترماً مرهوب
الجانب إلى أن توفي عام ٦١٦ هـ (١٢٢١ م) .

وبعد وفاة أبو محمد ، تولى القيادة مكانه ابنه زيد عبد الرحمن . فقبض على
السلطة بيد من حديد . وأخذ سريعاً بعض الفتن التي أطلت برأسها هنا وهناك .
ولكنه اضطر للاستقالة بعد ثلاثة شهور من تعيينه ، بناء على أمر المستنصر ، الذي عين
مكانه على ولاية أفريقيا أبا العلا إدريس .

غزوة الجنويين :

وبعد وفاة المستنصر عام ١٢٢٦ م ، تتابع على عرش الموحدين ملوك شديدون ،
كما تتابع على طرابلس عدد من الولاة لم يكن من بينهم مصلح أو حازم ، حتى
اضطربت الأحوال وتفككت عرى الدولة ، فاستقل كل (شيخ) بحكم إحدى

المناطق ، وتفرق الشمال الأفريقي إلى دويلات صغيرة مبعثرة . وفي عام ٨٧٥٠ ، كان على ولاية طرابلس رجل يدعى ثابت بن محمد ثابت ، فاغتنم الفرصة واستقل هو الآخر بحكم المدينة ، ولكنه لم يحسن إدارتها . وفي هذا العام ، كان تجار الجنوبيين يترددون على المدينة ، فلما رأوا الحالة فيها فوضى أضربوا غزوها ، وفعلوا تمسكوا من احتلالها بعد قليل ، وهرب واليها الى بعض العربان فقتلوه ، أخذاً بالنار لقتله بعض رجالهم .

وكان على قابس ، في هذه الأثناء ، أمير يدعى أبو العباس أحمد بن مكي . فلما رأى ما حل بطرابلس وسكانها ، أخذ يفاوض الجنوبيين على فديتها ، فاشترطوا عليه خمسين ألف مثقال من الذهب . فدفعها أبو العباس وملك المدينة بعد جلاء الجنوبيين عنها ، وقام باصلاح ما تهدم من سورها ومنازلها ، ولم يزل واليا عليها حتى توفي عام ٧٦٦ هـ ، فتولى مكانه ابنه عبد الرحمن بن مكي ، وكان سىء السيرة . فلما قدم طرابلس أبو بكر بن محمد بن ثابت في أسطول من الاسكندرية (حيث كان قد فر أبوه بعد احتلال الجنوبيين للمدينة) ساعده السكان من العرب والبربر ، ومكنوه من احتلال طرابلس . وبقى أبو بكر واليا عليها حتى توفي عام ٧٩٢ هـ .

وقد تعاقب بعد ذلك على طرابلس عدد من الولاة تابعين اسميا لدولة الموحدين في تونس ، حتى جاء عام ٩١٦ هـ (١٥١٠ م) ، فكانت هذه السنة هي نهاية حكم العرب في طرابلس ، ونقطة التحول في تاريخ شمال أفريقيا بوجه عام .

حكم الاسبان في طرابلس :

في العام المذكور احتل الاسبان مدينة طرابلس وملكوها . وتروى لهذا الاحتلال قصة رواها المؤرخ « ابن غلبون » ونقلها عنه بعد ذلك أكثر المؤرخين . وتقول هذه القصة أن سفينتين تجاريتين قدمتا من اسبانيا ، وبعد أن ألفت مراسيها في الميناء ، خرج رجل من التجار فاشترى من الأسبان جميع بضائعهم ونقد لهم ثمنها ،

ثم استضافهم رجل آخر ، فصنع لهم طعاما فاخرا ، ولما مده أمامهم ، أخرج ياقوتة
ثمينة فدقها دقا ناعما ، ورشها على الطعام قائلا : « هذا بدل البهار » . فبهت الأسبان
لذلك . ولما فرغوا من تناول الطعام ، قدم لهم بطيخا ، فطلبوا سكيناً فلم توجد في
داره سكين ولا عند جاره ، إلى أن خرجوا إلى السوق فأتوا بسكين . فلما رجعوا
إلى بلادهم سألمهم مليكهم - فردناند الكاثوليكي - عما رأوه في طرابلس ، فقالوا له :
« ما رأينا بلداً أكثر مالا وأقل سلاحاً وأعجز أهلاً » وذكروا له الحكايتين (١) .
فصمم فردناند على غزو طرابلس طمعا بأموالها وكنوزها ، وجهاز لهذا الغرض أسطولا
جعل قيادته للأميرال بيير نافارو (Pierre Navarro)

بدأت غزوة الأسبان لهذه البلاد على عدة مراحل ، وكانت خطة الأسبان ترمي
لاحتلال موانئ بجاية ووهران ثم طرابلس . وهكذا سار أول أسطول إسباني بقيادة
« دى كوردوبا » فاحتل ميناء وهران ، وسار الأسطول الذي كان يقوده « بيير نافارو »
باتجاه مدينة بجاية ، فأنزل فيها جنوده بتاريخ ٥ يناير سنة ١٥١٠ م .

كان عدد قوات نافارو ١٥٠٠٠ رجلا ، ونظراً لضيق السكان وعدم توفر
الشروط الصحية ، سرعان ما انتشر بينهم الطاعون ، وكان يموت منهم أكثر من
مئة رجل يوميا . فقرر نافارو أن يسير على طرابلس بجزء من هذا الجيش ، وترك
مدينة « بجاية » في حراسة أحد قواده .

(١) علق الأستاذ عمر الباروني في كتابه « الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس »
على هذه الرواية بما يلي : -

« ولاشك أن هذه القصة ، كما قدمنا ، هي أقرب ما تكون إلى الخيال منها إلى الحقيقة ، وفي
سرد وقائعها ما يحمل على الأخذ بعدم صحتها ، ويكفي أن نعرف أنه كان بالمدينة سوق تباع فيها
السكاكين وأن هذه الآلة من مستلزمات الحياة المنزلية التي لا غنى لأحد عنها ، وكيف تأخذ بمطلق
هذه القصة وسحق الياقوت على الطعام ما يدل على عدم سيك حوادثها إلا إذا أخذنا به على أنه من
تصرفات العقول المخبولة ، ومهما يمكن من شيء ففي ذكر هذه القصة تصوير لما كانت عليه طرابلس
من رخاء وغنى دفع أهلها إلى حياة الكسل وإهمال العدة لأي طارئ خارجي ، وإن أخطأ المؤلف
في تصويرها بشكل منطقي مسبوك . وفي الوقت نفسه أسند المؤلف هذه الحملة للجنوبيين لا للإسبان ،
وفي هذا ما يشعرنا بضعف السند الذي نقل منه المؤرخون الثلاث : العياشي وابن غلبون والنائب »

وكانت طرابلس في هذه الأثناء ، كما وصفها المؤرخ (مارمول) في كتابه (أفريقيا) مزدهرة بالتجارة لقربها من تونس ونوميديا ، ولأنه لا توجد مدينة سواها على الساحل الأفريقي حتى الإسكندرية . وكان يتردد عليها التجار المالطيون والجنويون والبنادقة ، فوجدوها مليئة بالمساجد والسكيات والمستشفيات . وكانت شوارعها وميادينها أحسن نظاما من مدينة تونس . بل إن أكثرهم أكد أن طرابلس أكبر من تونس وأغنى ، فكانت مليئة بالمجوهرات والآلئ والبضائع . وكان بها حوالي ١٥٠ مصنعا لصناعة الحرير والمنسوجات الفاخرة ، كما كان بها عدد كبير من التجار والبقالين الذين كانت مخازنهم مكدسة بالبضائع على أنواعها . وكان على المدينة حاكم يدعى عبد الله بن شرف ، وهو أحد المحاربين القدماء . وفي زمانه احتل الأسبان طرابلس ، وقد وصف المؤرخ المذكور كيفية احتلال الأسبان للمدينة على الوجه الآتي :

« لما بلغ أسطول « نافارو » شواطئ طرابلس ، فتحت نيران مدافعه على المدينة . وكان ذلك عند الساعة التاسعة من صباح يوم الخميس ٢٥ يوليوسنة ١٥١٠ م . ومع أن بطاريات الساحل أجابت ببضع طلقات من مدافعها العتيقة ، إلا أن الأسبان استطاعوا إنزال ١١,٠٠٠ جندي إلى البر ، فدخلوا شوارع المدينة وبدأ القتال . فالتجأ والى طرابلس وأفراد عائلته إلى القصر ، بينما تجمع السكان في الجامع الكبير ، فيما عدا أقلية منهم استمرت تقاتل بشجاعة ، وعند المساء كان الأسبان قد أموا احتلال طرابلس ، ودخلوا الجامع وقتلوا فيه أكثر من ألفي رجل . ثم هاجموا القصر الذي احتوى فيه الوالي ، فأسروه هو وعائلته وبعض الزعماء .

« وقد بلغ مجموع قتلى المسلمين في ذلك اليوم ستة آلاف ، ألقيت جثثهم في البحر أو في أحواض المياه في الجوامع ، وبعضها أحرق . وبلغ مجموع الأسرى أكثر من خمسة عشر ألفا . أما الغنائم ، فلا تعد ولا تحصى . » ا. هـ .

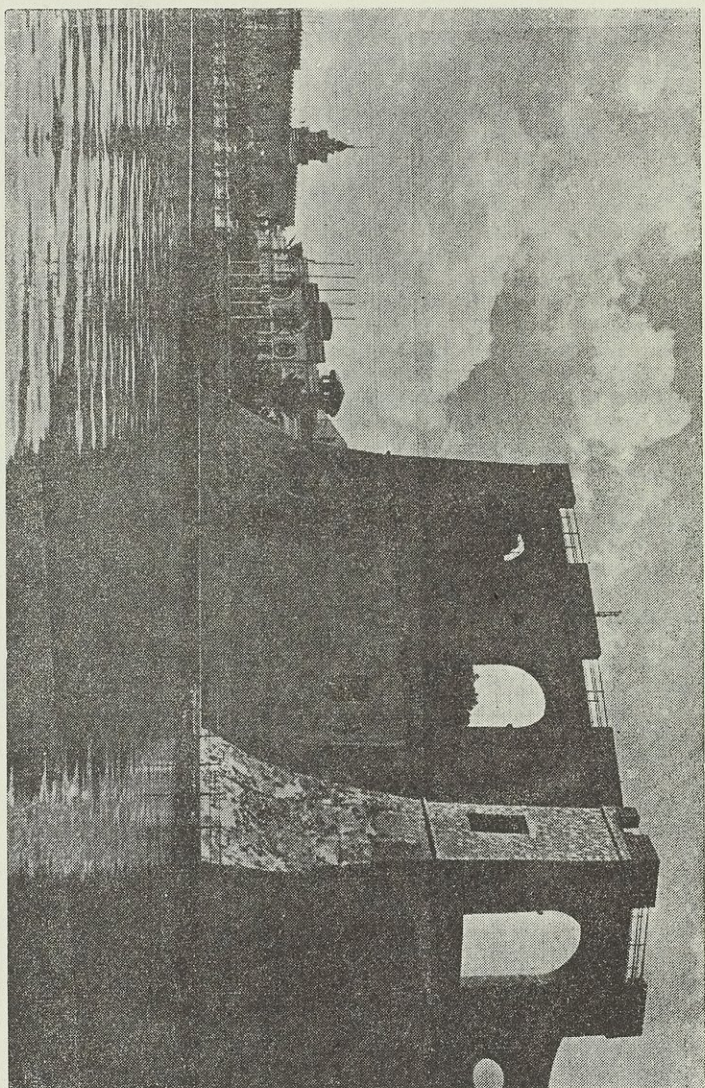
وقد جدد الأسبان سور المدينة بعد احتلالها ، كما جددوا بناء القلعة (السراى اليوم) . وقد اقتصر حكمهم على داخل المدينة ، أما الدواخل فقد استقل بحكمها الزعماء والمشايخ . وفى عهد ملكهم شارل كوينت (Charles-Quint) أعطيت طرابلس لفرسان القديس يوحنا المقدسى ، عام ١٥٣٠ م ، وكان العثمانيون قد أخذوا يهاجمون أساطيل الإفرنج فى البحر المتوسط ، ويهددون باجتياح البلقان وأوربا .

وقد شجعت انتصارات الأتراك سكان طرابلس على الاستنجد بالسلطان سليمان الأول لانتقاذ بلادهم من حكم الأسبان . فأرسلوا وفد منهم إلى القسطنطينية عام ٩٢٦ هـ ، قابل السلطان وشرح له الظروف القائمة فى شمال إفريقيا . فتأثر السلطان لكلامهم ، وعين مراد آغا لولاية ليبيا ، وأرسله فى أسطول لغزو طرابلس وانتاذاها من يد الأسبان . فلما بلغ الأتراك تاجوراء ، على بعد ١٦ كيلو متراً من طرابلس ، أنزلوا بها جنودهم وشرعوا فى مهاجمة طرابلس نفسها ، فوجدوها محصنة تحصيناً قوياً . فأرسل مراد آغا إلى السلطان سليم يطلب إمداده بقوات جديدة .

وفى هذه الأثناء ، أقام طابية صغيرة بين تاجوراء وطرابلس ، وأخذ ينظم أمور السكان ، كما أسس الجامع الكبير فى تاجوراء ، والمدرسة المعروفة باسمه ، وأوقف عليهما أوقافاً جمّة .

وفى سنة ٩٥٧ هـ ، غزا الجنويون مدينة المهديّة عاصمة تونس وهدموا أسوارها ، ثم استولوا على جزيرة جربة (وكانت آنذاك تابعة لليبيا) . فهال ذلك السلطان سليم واعتبره تحدياً له ، فأرسل لهم أسطولاً كبيراً بقيادة سنن باشا ودرغوت بك ، ففتكوا بالأفرنج ، وأسروا حاكم جربة وحرروا مدن المهديّة وبنزرت ووهران ، وحاصروا جزيرة مالطة .

وفى العام التالى ، جاءت أساطيل سنن باشا ودرغوت بك إلى طرابلس ، فانزلت الجنود قرب تاجوراء ، ثم رست سفنهم بمواجهة المدينة ، وكتب سنن باشا



طرابلس — منظر عام للسراى الحمراء (القلعة) من البحر

[تصوير أول]

إلى حاكمها المدعو دى فالبيه (De Vallier) يخيره بين التسليم والفناء . فلما جاء رد الحاكم برفض التسليم ، زحف سنان باشا بجنوده على المدينة من ناحية برج الشعاب ، بينما أخذ الأسطول التركى بقيادة درغوت بك يدق المدينة من البحر . وبتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٥٥١م الموافق ١١ شعبان سنة ٩٥٨هـ استسلم الأسبان ، فدخل الأتراك المدينة واحتلوها . وبذلك دخلت طرابلس فى حوزة العثمانيين .

الفصل الخامس

طرابلس في العهد العثماني

(١٥٥١ — ١٩١٢ م)

ترك سنان باشا مراد أغا على ولاية ليبيا تنفيذاً لأمر السلطان ، وأبحر بأسطوله عائداً إلى القسطنطينية ، ولكن ولايته لم تطل إذ توفي عام ٩٦٧ هـ — ١٥٦٠ م . خلفه قائد الأساطيل درغوت باشا ، وهو يعد من أشهر قادة الأساطيل البحرية في التاريخ ، وقد ائصف بالشجاعة الفائقة وحب المغامرة^(١) . وكان عهده عهد إنشاء وعمران ، فأنسعت المدينة ، وأنشأ فيها جامعاً باسمه ، وشيد القلاع والحصون لحماية البلاد ، كما شجع الفلاحة وزراعة البساتين ونشط التجارة ، فتدفقت الأموال إلى جيوب الناس . ولا يزال الطرابلسيون يذكرونه بالخير ويحلمونه حتى اليوم .

وقد غزا درغوت باشا بأساطيله السواحل الأوربية غزوات موفقة ، وكان يهود في كل مرة محملاً بالغنائم ، فينفقها على إصلاح المدينة ، ودفع رواتب الجند وما إلى ذلك . وفي عهده ضُمت القيروان وتونس إلى أملاك الدولة العثمانية ، بقاء على طلب أهل هذه البلاد .

وفي عام ٩٧١ هـ (١٥٦٤ م) خرج لحصار جزيرة مالطة وحرب الجنويين بالاشتراك مع أساطيل مصطفى باشا وبيالة باشا . وقد أتى في هذه المعارك بالمعجزات

(١) تحوط حياة درغوت اليوم حالة من البطولة الممزوجة ببعض الخرافة . ولقبه منزلة كبيرة عند العامة ، فيزورونه للترك ، كما يقدمون له النذور . وينحدر درغوت من أصل أناضولى ، ولعل هذا يفسر شجاعته المتناهية وصلابه في القتال مما خلد اسمه في التاريخ .

مما سجله له التاريخ حتى استشهد في إحدى المواقع ، فعادوا بجثته إلى طرابلس ودفن في جامعہ سنة ٩٧٢ هـ . وقد كرم السلطان العثماني مدينة طرابلس التي ضمت تربتها جسد درغوت ، بأن أهدى إليها إحدى شعرات الرسول (ص) ، وهي محفوظة إلى اليوم في جامعہ .

وكان درغوت يستعين في حروبه بفرقة من الجنود الأتراك عرفوا باسم الأنكشارية^(١) . فلما توفي درغوت بدأوا يتذمرون ، وقويت شوكتهم حتى سيطروا على الولاية وأفسدوا في البلاد ، بل كانوا يفرضون الولاية أحياناً على السلطان ، ويعزلونهم أو يقتلونهم . وظلت الحالة كذلك إلى أن تولى على طرابلس أحمد باشا القره مانلي^(٢) يوم الخميس ١٣ جمادى الآخرة سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) ، وكان من أعظم الولاية العثمانيين شجاعة واقتداراً ، وصفه المؤرخون بالعدل والإنصاف ولين العريكة . إلا أنه لم يمحض على اختياره أسبوع واحد حتى قدم خليل باشا الوالي الأسبق في أسطول من القسطنطينية ، ومعه فرمان سلطاني بإعادته إلى ولاية ليبيا ، فلما منعه أحمد باشا من النزول في المدينة ، توجه خليل باشا إلى زوارة ونزل فيها بجنوده ، وانضم إليه بعض العرب . فلما اتصل خبره بأحمد باشا سار لقتاله ، ونشبت بين الفريقين معارك هائلة انتهت بقتل خليل باشا وفرار جنوده . وبعد قليل جاء فرمان سلطاني بتقليد أحمد باشا القره مانلي ولاية ليبيا ، وبذلك استتب له الأمر ، وبدأ حكم الأسرة القره مانلية في هذه البلاد .

وفي سنة ١١٣٢ هـ ، عين أحمد باشا أخاه الحاج شعبان بك لولاية برقة ، كما أخذ عدة ثورات في أنحاء متفرقة من البلاد ، حتى دانت له جميع الأقاليم الليبية . فانصرف

(١) أصلهم من شعوب البول البلقانية وأوروبا الوسطى ، كان الأتراك يأخذونهم أطفالاً ويربونهم في المعسكرات والقصور تربية إسلامية ، ويدربونهم على الحندية والحرب . وقد اشتركوا في كثير من الفتوحات والمعارك ، وأبدوا فيها شجاعة فائقة .

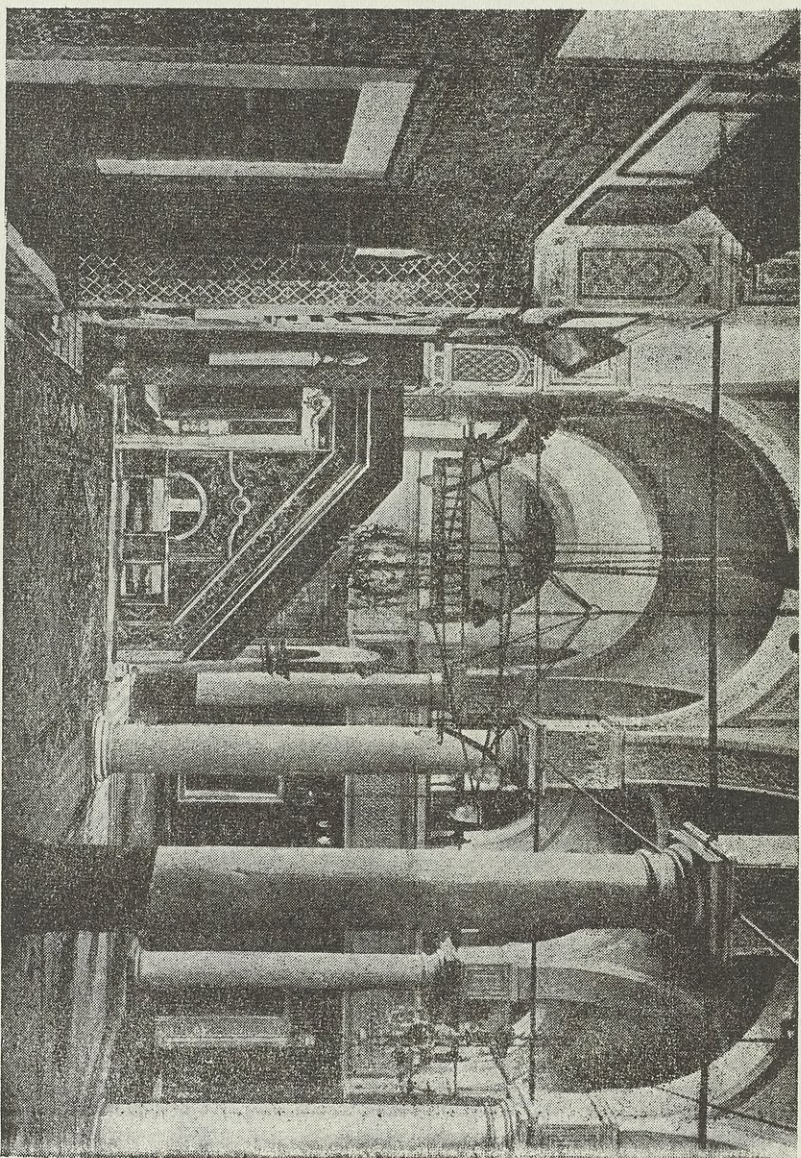
(٢) قدم جد الأسرة القره مانلية إلى طرابلس في عهد درغوت باشا . وقد تزوج من سيدة عربية من سكان طرابلس ، وظل أبناؤه في المدينة منذ ذلك التاريخ .

بعد ذلك إلى التعمير ، وأنشأ في مدينة طرابلس جامعاً عظيماً يحمل اسمه ، في مكان المسجد الذي بناه الفاتح عمرو بن العاص ، وألحق به مدرسة لنشر العلم وأوقف عليهما أوقافاً كثيرة . كما بنى البرج المعروف ببرج « المنديريك » الكائن في الجهة الغربية من ميناء طرابلس . واستمر أحمد باشا على ولاية طرابلس إلى أن توفي في السادس عشر من شوال عام ١١٥٨ هـ .

وقد تولى بعده ابنه محمد باشا القره مانلى بفرمان سلطاني . ولم تحدث في زمنه فتن داخلية . فوجه جهوده نحو تجديد الأساطيل البحرية وتقويتها ، فلما انتهى من ذلك أرسلها لقتال الأوربيين وغزو بلادهم ، فكانت تعود محملة بالغنائم الوفيرة . وفي سنة ١١٦٧ هـ توفي محمد باشا ، خلفه ابنه علي باشا ، الذي وجه جهوده هو الآخر نحو تقوية الأسطول وغزو السواحل الأوربية ومصادرة سفن الأفرنج حتى أتهموه بالقرصنة . وقد حاولت بعض الدول استرضاءه ، وعقدت معه معاهدات لضمان حرية مرور سفنها التجارية . وفي أواخر حكمه ، قلت الإيرادات وعجز عن دفع الرواتب ، فتتابع فرار الجنود ، وخلا الجو لقطاع الطرق والمجرمين ، وعمت الرشوة بين الموظفين . فاجتمع بعض الأعيان والأمراء واستقر رأيهم على أن يلتمسوا من السلطان عزل علي باشا . فلما سمع بذلك يوسف بك أصغر أولاد علي باشا ، قرر أن يستولى على الولاية خشية قدوم وال آخر من القسطنطينية . ولكي يخلو له الجو ، هجم ذات يوم على أخيه حسن بك وكان جالساً مع والدته ، فقتله وقطع يد والدته أثناء محاولتها اليأس للحمية ولدها الآخر . ويقال أن آثار الدم مازالت ظاهرة إلى اليوم في مكان الحادث ^(١) .

وفي سنة ١٢٠٧ هـ (١٧٩٣ م) قدم الشيخ خليفة بن عون إلى طرابلس في جموع من عربان الأقاليم ، وانضم إليه أهالي المنشية والساحل ، طالبين تولية يوسف بك وعزل علي باشا . فحاصروا المدينة مدة ثمانية وثلاثين يوماً . فانتهر أحد كبار

(١) في إحدى غرف القصر ، وهي جزء من المتحف ، وتقع في « السراي الحمراء » مقر الحكومة الاتحادية اليوم .



[نصير جناح]

منظر داخلي جامع أحمد باشا القره ماني - طرابلس

الموظفين الأتراك في الجزائر واسمه على باشا برغل هذه الفرصة، فذهب إلى القسطنطينية مطالبا بولاية ليبيا لنفسه، على أن لا يكلف الدولة مالا أو جنداً، حتى تمكن، بمساعدة أخ له هناك، من الحصول على فرمان سلطاني بتعيينه والياً على ليبيا، وعاد إلى طرابلس ومعه أسطول وبعض الجند، فاحتل المدينة بعد أن فر منها واليها الأسبق على باشا القره مانلى إلى تونس، حيث لحق به إبناه أحمد بك ويوسف بك.

إلا أن عهد برغل لم يطل في طرابلس، إذ تمكن القره مانليون من استعادة إمارتهم على طرابلس بمساعدة شقيق على باشا برغل نفسه، الذى كان والياً على تونس — وكانت بين الشقيقين عداوة — فلما استعادوا طرابلس سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٥ م)، اجتمع العلماء والأعيان وعينوا أحمد بك القره مانلى والياً على طرابلس، كما عاد إلى المدينة على باشا واليها الأسبق. وقد ظل أحمد بك على ولاية طرابلس مدة أربعة عشر شهراً فقط، إذ ثار عليه السكان سنة ١٢١٠ هـ بإيعاز من أخيه يوسف الذى كان لا يزال يهدد أحلامه بالولاية، ففر إلى مصراته، ومنها إلى مالطة.

وهكذا أفلح يوسف باشا أخيراً فى بلوغ ما كان يرمى إليه، وظل فى الولاية نحو خمس وأربعين سنة. وفى أوائل عهده، بلغت طرابلس زهرة مجدها إذ بنى ثلاث عشرة سفينة حربية غزاها سواحل إيطاليا وفرنسا وجزيرة مالطة، وأسر كثيراً من سفن الأوربيين، كما أنشأ حصوناً جديدة فى بعض المواقع من سور طرابلس، وعزز وسائل الدفاع عن المدينة. وفى سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م)، فرض يوسف باشا إتاقوة مالية على دولة السويد قدرها مائة ألف فرنك تدفع فوراً، ومبلغ ٨٠٠٠ فرنك تدفع سنوياً. فلما رفضت السويد دفع هذه المبالغ، أرسل يوسف باشا أساطيله لمهاجمتها، وغنم بعض سفنها، حتى اضطرت السويد أخيراً لأن تدفع غرامة قدرها ثمانون ألف فرنك، وإتاقوة سنوية قدرها ثمانية آلاف فرنك.

ونظراً للتهديد الواقع على السفن الأمريكية في المياه الطرابلسية ، بل في مياه البحر المتوسط كلها ، فقد طلب القنصل الأمريكي من يوسف باشا أن يعقد معه معاهدة على غرار المعاهدة السويدية . ولكن يوسف باشا طالبه بأتاوة جسيمة لم ترض أمريكا بدفعها . فهاجمت أربعة سفن حربية أمريكية مدينة طرابلس عام ١٢١٧ هـ (١٨٠٤ م) ، وقذقتها بنيران المدافع مدة عشرين يوماً^(١) . وقد فقد الأمريكيان في حصار مدينة طرابلس اثنين من سفنهم ، فاضطرت السفينتان الباقيتان إلى الانسحاب إلى جزيرة مالطة حيث اتصل قائدها بالوالى السابق أحمد بك القره مانلى ، وأغراه على الانضمام إليهم مقابل إعادته لولاية ليبيا . فلما اتفقوا على ذلك ، قدموا مدينة درنة في برقة ، حيث أنزل الأمريكيان جنودهم وبدأوا الزحف غرباً نحو طرابلس . وأخذ الأهالى يفتدون في هذه الأثناء على أحمد بك معلمين ولاءهم له . فخشى يوسف باشا مغبة ذلك ، وسارع إلى مصالحة الأمريكيان بواسطة القنصل الإنجليزي في طرابلس ، وانسحب أحمد بك إلى مصر حسب نصوص الاتفاق . وبعد هذه الهزيمة ، تنفس الأوربيون الصعداء ، فامتنعوا عن دفع الأتاوات ، بل إنهم أخذوا في مهاجمة مدينة طرابلس بأساطيلهم للانتقام مما حل بهم في السابق . وبالتدريج ، ضعف نفوذ أحمد باشا وقلت إراداته نظراً لانعدام المورد السابق من الأتاوات والفتنات البحرية مما اضطره إلى الاستدانة من بعض رعايا الدول الأجنبية خصوصاً إنجلترا وفرنسا ، كما فرض الضرائب الفاحشة على السكان لسداد هذا الدين وغير ذلك من النفقات — التي لم يكن بعضها في نظر الأهالى ضرورياً — فأخذ التذمر يعم الناس ، ثم ثارت بعض القبائل ، وعجز يوسف باشا عن كبح جماحها . وقد اضطر في أواخر سنى حكمه إلى بيع بعض سفنه الحربية ، وصهر مدافعها النحاسية وسكها نقوداً .

(١) كان رئيس الجمهورية الأمريكية في ذلك الوقت توماس جفرسون . وقد أمر الطرابلسيون إحدى السفن الأمريكية واسمها « فيلادلفيا » ، فلما دخلت الميناء السفينة الأمريكية « إنفريد » لانهادها ، انفجرت لسبب غير معروف حتى الآن ، وغرقت في الميناء .

وقد ازدادت الحالة سوءاً بعد ذلك ، حتى اضطر يوسف باشا إلى التنازل عن الولاية لابنه على بك . ولكن الأمر كان قد استفحل واشتدت ثورة الناس ، إلى أن أمر السلطان — بناء على طلب الشعب — بنزع الولاية من الأسرة القره مانلية وإعادة ليبيا ولاية عثمانية تحت الحكم المباشر ، وذلك في عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٥ م) .

ففي شهر مايو من تلك السنة ، أبحر أسطول تركي مؤلف من اثنين وعشرين قطعة بحرية قاصداً ميناء طرابلس . وعندما صعد على باشا القره مانلي إلى سفينة الأميرال لاستقبال مصطفى نجيب باشا ، ممثل السلطان ، أمر هذا باعتقاله على ظهر السفينة ، ونزل نجيب باشا ليعلمن خلع على باشا بأمر السلطان ، وتولية محمد رانس باشا . ولما وصل رانس باشا في شهر سبتمبر من السنة ذاتها ، كان أول عمل قام به هو إجلاء أفراد الأسرة القره مانلية إلى استانبول ، باستثناء يوسف بك القره مانلي وبعض أولاده .

وفي أواخر سنة ١٨٣٦ م ، عين الأميرال طاهر باشا لولاية ليبيا . وقد حدثت بعض الثورات في عهده ، فعزل في شهر أبريل من السنة التالية ، وعين مكانه حسن باشا . ولكنه لم يكن أسعد حظاً من سابقه ، فاستدعى إلى استامبول وعين على عسكر باشا مكانه ، فاستطاع أن يقضى على ثورة الجبل وبقى القبض على زعمائها .

وقد تتابع الولاة العثمانيون بعد ذلك على ليبيا^(١) ، وتمثلت حكمهم الثورات والقتل ، إلى أن جاء سامي باشا سنة ١٨٧٤ م ، فاستطاع أن يخضع البلاد لحكمه ، ونظم الضرائب ، وشجع الصناعات المحلية . وخلفه في الحكم مصطفى عاصم باشا ، الذي كان رجلاً فاضلاً حازماً ، يصر على الاتصال بالسكان لسماع شكائاتهم . وقد تجول لهذا الغرض في أنحاء البلاد ، وقطع دابر الرشوة ، كما إنه رفض أن يقبل هدية من الذهب قيمتها حوالي ١٦٠٠ جنيه استرليني ، قدمها له أهالي غدامس .

(١) أنظر الملحق رقم ٦ في آخر الكتاب .

وفي سنة ١٨٧٩ ، عين أحمد عزت باشا لولاية ليبيا ، فاستطاع أن يكسبب الأهالي وتقديرهم . وأسس مدرسة الصناعات بطرابلس ، ومستشفى للغرباء ، وسوقاً في المدينة أسماه « سوق الحميدية » ، كما أصلح جزءاً من سور المدينة ، وأمر ببناء منارة على ميناء طرابلس .

وكانت أطول مدة قضاها وال عثمانى في طرابلس هي فترة ولاية أحمد راسم باشا ، إذ دامت أكثر من خمسة عشر عاماً . وفي أثناء هذه المدة ، أسس راسم باشا المدرسة الحربية في باب البحر ، وجلب الماء إلى مدينة طرابلس بالأنابيب ، وأمر بزراعة الآلاف من شجر التوت لتربية دودة القز لاستخراج الحرير وصنعه ، وغير ذلك من الإصلاحات الكثيرة .

وفي عهد نامق باشا (١٨٩٨ — ١٨٩٩) أسست مدرسة الفنون والصناعات بطرابلس ، وملت أنابيب جديدة لتغذية المدينة بمياه الشرب . وبعد نامق باشا عين هاشم باشا ، وتلاه بعد شهور قليلة حافظ باشا ، وجاء بعده حسن باشا (سنة ١٩٠٣) والفريق رجب باشا (سنة ١٩٠٦) ، وفي عهده استتب الأمن وأنشئ سوق المشير والمدرسة العليا وعدد من المدارس الابتدائية . فلما عين وزيراً للحرية في استانبول ترك بكير بك نائباً عنه ، ولم يكن محبوباً من الأهالي ، فعين أحمد فوزى باشا (سنة ١٩٠٩) . وفي آخر السنة نفسها عين إبراهيم باشا ، وفي عهده ساءت الأحوال بين الدولة العلية وإيطاليا . وفي سنة ١٩١١ ، سافر إبراهيم باشا إلى استانبول لمحادثة ذوى الشأن هناك ، وخلف مكانه أحمد راسم باشا . وفي عهده استولت إيطاليا على هذه البلاد ، في زمن السلطان محمد رشاد .

وقد حاولت إيطاليا ، قبل احتلالها هذه البلاد ، أن تخلق ذريعة لمحاربة تركيا . وحاولت التحرش بالأتراك عدة مرات ، كما أرسلت أساطيلها إلى السواحل الطرابلسية للاستكشاف وإثارة الشعور . وفي نفس الوقت ، اتخذ الإيطاليون خطة التسرب

تدريجياً إلى طرابلس أثناء سنوات العهد العثماني الأخيرة ، (ولاية رجب باشا) ،
عن طريق إنشاء بعض المؤسسات التجارية والثقافية ، ومحاولة كسب ثقة السكان
واستمالتهم إلى جانبهم . فأنشأوا « بانكودى روما » ، وألحقوا به قسماً لشراء الآنية
المسكورة بثمان يكاد يعدل ثمنها وهي جديدة . وأنشأوا البناء الضخم القائم في شارع
هايتي ، وهو الذى تشغله الكلية الفنية اليوم ، وكان عند إنشائه مقراً لحركة تجارية
في الظاهر ، وللجاسوسية الإيطالية في الخفاء . وكانت بداخل هذا البناء طاحونة
ميكانيكية لطحن الدقيق والسميد للأهلين بأسعار زهيدة جداً ، كما كانت تبيعهم
الدقيق الفاخر المستورد من إيطاليا بأثمان رخيصة . وأنشأوا كذلك داراً للسينما على
شاطئ البحر ، وبعض المؤسسات الأخرى . وكلها تهدف ، كما قلنا ، لاستمالة
السكان وبث الدعاية الإيطالية ، وقبل كل شيء ، لكي تكون عيوناً لقلم الاستخبارات
الإيطالي والجاسوسية الإيطالية .

و بتاريخ ٧ سبتمبر سنة ١٩١١ ، كان صبر إيطاليا قد نفذ ، فكشفت عن
وجهها القناع ووجهت إنذاراً إلى حقي باشا الصدر الأعظم في استانبول تطلب فيه
تسليم ليبيا ، وقد سارع حتى باشا إلى تلبية هذا الطلب ، وأمر جنوده بالانسحاب
من طرابلس والعودة إلى استانبول دون قتال . وبينما أخذ الأتراك يتجمعون عند
قرقارش تمهيداً لانسحابهم ، دخلت ميناء طرابلس باخرة ترفع العلم الألماني واسمها
« درنه » . فلما علم السكان أن هذه الباخرة تنقل سلاحاً ، استولوا عليها ووزعوا
حوائطها على القرى والقبائل المختلفة . وبعد ذلك اجتمع الشيوخ والزعماء ، وأخذوا
في إرسال البرقيات إلى استانبول ، وفيها يبدون استعدادهم للقتال . فلما تراكم سيل
البرقيات على الباب العالي ، سقطت وزارة حقي باشا وقامت وزارة سعيد باشا الذى
أعلن الحرب على إيطاليا بتاريخ ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ .

وقد شكل الطرابلسيون خطاً للدفاع على طول الساحل ، وكان معهم عدد قليل

من الجنود الأتراك لا يزيد على ثلاثة آلاف . كما أقيمت خطوط دفاعية أخرى في طرابلس والخمس وزوارة . وبتاريخ ٣ أكتوبر سنة ١٩١١ ، وصلت البوارج الحربية الإيطالية ميناء طرابلس وأخذت تقذف المدينة بقنابلها . ثم أنزل الإيطاليون جنودهم في المدينة وكان عددهم حوالى المائة وعشرين ألفاً مجهزين بأحدث الأسلحة . وفي هذه الأثناء كان الطرابلسيون قد أتموا تنظيم صفوفهم وجمعوا ما وصلت إليه أيديهم من الأسلحة . فلما خرج الإيطاليون محاولين التقدم ، التحموا مع المجاهدين في معركة يشيب لهولها الولدان . وكان ذلك في يوم الإثنين ٢٣ أكتوبر سنة ١٩١١ ، في محلة الهانى من أرض المنشية . وقد قتل في هذه المعركة ، التى مازال بعض الطرابلسيين يذكرونها إلى اليوم ، عدة آلاف من الإيطاليين ، واضطربت صفوفهم ، فاضطروا للتقهقر والمجاهدون فى أثرهم حتى كادوا يدخلون المدينة ذاتها . وقد فقد الإيطاليون أعصابهم بعد هذه المعركة ، وأفرغوا غضبهم على سكان مدينة طرابلس ، فأخذوا يقتلون الشيوخ والأطفال بدون وعى ، واستشهد فى تلك الأيام خلق كثير .

وبتاريخ ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١١ ، التحم الإيطاليون مرة أخرى بالمجاهدين العرب فى معركة أشد من الأولى ، وقد تمكن الإيطاليون بعدها من استرجاع « الهانى » ، واحتلوا سيدى المصرى ^(١) ، وما جاورها من الأراضى . واستمرت المعارك بعد ذلك والعرب ثابتون يقاثلون بعزم ونفوس متقدة بالغيرة على الوطن والدين ، إلى أن عقدت تركيا معاهدة « أوشى » مع إيطاليا بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ ، وبموجبها سلمت ألبانيا إلى إيطاليا رسمياً .

وبإعلان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، استؤنف القتال مرة أخرى بين إيطاليا وتركيا ، فاتصل الأتراك بالليبيين وانفقوا معهم على محاربة إيطاليا ،

(١) سيدى المصرى إحدى ضواحي مدينة طرابلس ، وتبعد كيلومتراً واحداً عن سور المدينة . وتقوم فيها اليوم كلية المعلمين وبعض حقول التجارب الزراعية .

وأمدوهم بالأسلحة والذخائر بواسطة الغواصات الألمانية ، كما جاء بعض الضباط الأتراك
لقيادة الحركة ومعهم المال اللازم . فأنشأ الطرابلسيون حكومة وطنية عام ١٩١٤
في مصراته برئاسة رمضان السويحلي ، وعين الأتراك الأمير عثمان فؤاد حفيد السلطان
مراد أميراً على البلاد ، كما تولى أحد الضباط الأتراك ، واسمه إسحق باشا ، القيادة
العامة للجيش الطرابلسي . فأخذوا يشنون على الإيطاليين حرب العصابات ، وتقهقر
الإيطاليون إلى داخل مدينة طرابلس حيث اعتصموا طيلة مدة الحرب . فلما أعلنت
الهدنة عام ١٩١٨ ، كانت الحرب قد انجالت عن هزيمة تركيا وحلفائها ، وهكذا بقيت
ليبيا في أيدي إيطاليا . ولكن الأهليين لم ييأسوا ، واستمروا في جهادهم بشجاعة رغم
الظروف القاسية المحيطة بهم ، مما أکسبهم إعجاب العالم كله . ولم يتم إخضاع ليبيا
نهائياً لحكم الطليان إلا عام ١٩٣٢ ، فأخذوا يفتكون بالعرب ، وينتقمون منهم
أيما انتقام .

الحالة الاجتماعية والمالية والعمرانية

في العهد العثماني

الحياة الاجتماعية ووصف حالة المدينة :

لا تختلف الحياة الاجتماعية في طرابلس اليوم كثيراً عما كانت عليه في العصر العثماني ، فلم تكن عادات السكان أو معتقداتهم أو نظمهم الاجتماعية أو ملابسهم تختلف عما هي عليه اليوم ^(١) .

وإذا قلنا العهد العثماني ، فإنما نعني بذلك الفترة التي بدأت عام ١٨٣٥ ، عندما جعلت طرابلس ولاية عثمانية تابعة لاستانبول رأساً ، وهي الفترة التي أجريت خلالها معظم الإصلاحات والتنظيمات الإدارية الحديثة في هذه البلاد .

وقد قُدِّر عدد سكان مدينة طرابلس عام ١٩٠٨ بحوالى ٣٢٠٠٠ نفس ، منهم ٢١٠٠٠ مسلم والباقيون من جنسيات متفرقة . وقد صدر أول قانون عثماني لتنظيم شئون البلديات وضبط سجلات المواليد والوفيات عام ١٨٧٢ ، وفي العام التالي أُنشئت بلدية طرابلس وقُسمت المدينة إلى ٢٢ محلة لكل منها « مختار » هو حلقة الاتصال بين السكان والإدارة . وقد عهد للمجلس البلدي — وعدد أعضائه عشرة ينتخبون من بين السكان بطريقة الاقتراع المباشر — بالإشراف التام على شئون الصحة ومراقبة الأسواق ونظافة المدينة وإطفائيات الحريق وإنارة الشوارع ومراقبة الملاهي والحللات العامة .

وقد نشطت حركة الملاهي والمقاهي في مدينة طرابلس في أواخر ذلك العهد ،

(١) انظر الفصل الثاني من القسم الثاني من هذا الكتاب .

حتى أنه كانت في المدينة سنة ١٩١١ داران لعرض الصور المتحركة (السينما) وثلاثة فنادق ، واثنان وسبعون مقهى ، وتسعون حالة لبيع الخمر .

وكان بها من المستشفيات ثلاثة : واحد أنشأته الحكومة ، ويضم ٢٥٠ سريراً . والثاني أنشأته البلدية وبه خمسون سريراً . والثالث أنشأته الإرسالية الإنجليزية وبه عشرة أسرّة . أما الأطباء فكان أكثرهم من الأتراك ، والبعض الآخر من اليونانيين .

وقد جلب العثمانيون مياه الشرب النقية إلى مدينة طرابلس من عيون أبو مليانة وعين زارة في أنابيب خاصة .

أما الشوارع ، فكان أكثرها نظيفاً معبداً ، وكانت تضاء بمصابيح البترول ، فيما عدا بعض الحارات والأزقة التي ظلت على حالها ، وخصوصاً في الأحياء التي كان يسكنها اليهود .

التقسيمات الإدارية :

أما من الناحية الإدارية ، فقد أقام الأتراك بإجماع آراء الكتاب حكماً تنظيمياً منظماً ثابت الأركان . وكانت ليبيا مقسمة إدارياً ، حتى عام ١٨٤٣ ، إلى ثلاث مقاطعات وهي : طرابلس ، ومصراته ، وبنغازي . ثم أعيد تقسيمها عام ١٨٤٣ إلى قسمين فقط هما ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي . وكانت هذه الأخيرة تابعة لأستانبول رأساً فيما عدا الشؤون العسكرية ، والجمارك ، والقضاء ، فكانت تخضع فيها للوالي في طرابلس .

وفي سنة ١٨٦٩ ، أنشئت في ليبيا المحاكم المدنية والجزائية ، وكانت درجاتها كما يلي : (١) محكمة الصلح (٢) المحكمة الابتدائية (٣) محكمة الجنايات (٤) محكمة الاستئناف (٥) محكمة التمييز (ومركز هذه الأخيرة في أستانبول) .

وكان جميع القضاة من الأتراك في أول الأمر ، ثم أخذ الليينيون يشغلون بعض هذه المناصب بالتدريج . وإلى جانب هذه المحاكم ، كانت تقوم المحاكم الشرعية للفصل في القضايا والمنازعات الشرعية والأحوال الشخصية للمسلمين . وكان على رأس هذه المحاكم « قاضي قضاة » معين من استانبول . كما كان للولاية مفتي يعين من استانبول أيضاً . وقد فتح الأتراك لأبناء البلاد أبواب المناصب الإدارية والحكومية الهامة ، فكان منهم مديرو النواحي ، ومديرو المال ، والقائمقامون ، والمتصرفون ، وضباط البوليس والجنود . كما كان من بينهم نواب في مجلس المبعوثان (النواب) العثماني باستانبول .

الشئون المالية والاقتصادية :

كان الأجانب معفون من ضرائب معينة ، كما كانت سفنهم معفاة من دفع رسوم الموانئ .

وبالرغم من أن ثلث رواتب الجيش كان يرسل من استانبول ، إلا أن الإيرادات المحلية لم تغط أبواب المصروفات قط إلا مرتين فقط ، وذلك في عامي ١٨٩٤ و ١٩٠٣ م .

وكانت إيرادات الولاية تتألف من حصيلة عدد من الضرائب أهمها :
ضريبة الويركو — وتشتمل على : (١) الضريبة الشخصية على السكان ومقدارها ٤٠ قرشاً عن كل ذكر بالغ . (٢) ضريبة الحيوانات ، ومقدارها ٤٠ قرشاً عن كل جمل ، و ٢٠ قرشاً على كل بقرة أو ثور ، و ٤ قروش على كل رأس غنم ، وقرشان على كل رأس من الماعز . (٣) ضريبة الأشجار ، ومقدارها قرشان ونصف

على كل شجرة زيتون أو نخلة . بينما كانت باقي الأشجار ممتدة من دفع هذه الضريبة .

ضريبة العشر على الحبوب — وكانت تجبي عيناً من المحصول بمقدار العشر .

ضريبة العقار — وكانت تجبي بمعدل ١٠ ٪ من قيمة الدخل ، إلى جانب

• ٪ أخرى من أصل الضريبة تؤخذ حصيلتها للانفاق على التعليم .

ضريبة الدخل — وكانت تجبي من التجار وأصحاب الحرف والصناعات بمعدل

• ٪ على صافي الدخل .

ضريبة الجمارك — وكانت تؤخذ على كافة البضائع المستوردة بمعدل ٨ ٪ ،

وعلى البضائع المصدرة بواقع ١ ٪ .

وكانت هنالك ، غير هذه الضرائب أنواع أخرى ولكنها أقل أهمية منها ،

كضريبة المواني (لغير الأجانب) وبديل الخدمة العسكرية (لغير المسلمين) ،

وضريبة الدخان ، وضريبة تسجيل بيع العقارات والأموال غير المنقولة ، وغيرها .

وقد أنشئ في طرابلس عام ١٩١٠ بنك للتسليف الزراعي ، بأموال تركية ،

كما أنشئ صندوق يدعى « صندوق الإحتياج » لمساعدة التجار وإصدار القروض

العامة والشخصية .

قانون الملكية :

صدر أول قانون عثماني ينظم ملكية الأراضي والعقار بتاريخ ٢١ ابريل عام

١٨٥٨ م ، وتشكلت على أثر ذلك دائرة لتسجيل الأراضي في ولاية طرابلس ،

فكانت تصدر « كواشين طابو » لأصحاب الأملاك ، تبين اسم صاحب العقار وحدوده

وأوصافه . وقد أنشئت إلى جانب هذه الدائرة محكمة خاصة للفصل في المنازعات بين

الأهالى حول الملكية ، كما حصرت الأراضى والأملاك الحكومية ، ورصدت فى سجلات خاصة .

الصناعة والتجارة والزراعة :

شجع الأتراك صناعة النسيج فى طرابلس وكان عدد الأنوال المستعملة عام ١٩١١م كما يلى :

١٧٠٠ نولا لنسيج القطن

٣٥٠ نولا لنسيج الصوف

١٥٠ نولا لنسيج الحرير

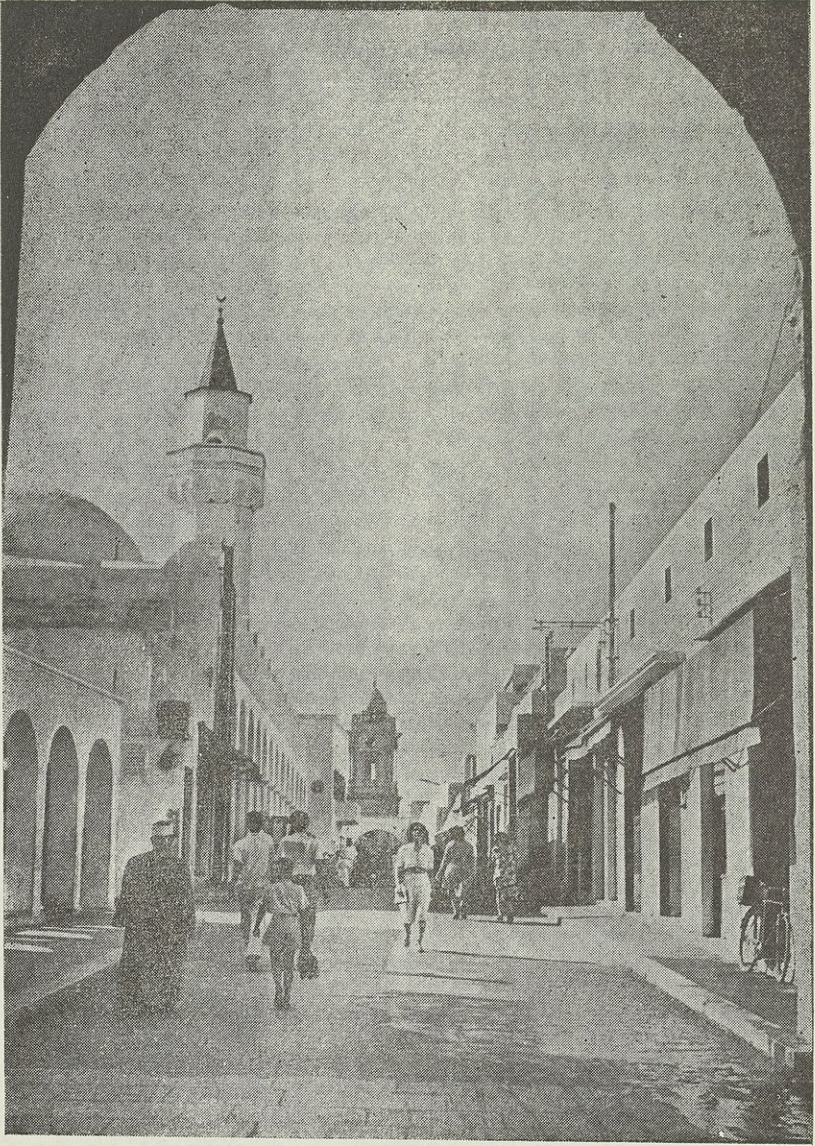
وذلك إلى جانب عدد آخر من الأنوال فى بعض المدن الطرابلسية الأخرى ، مثل مصراتة وغيرها .

وأشهر أسواق المدينة فى ذلك العصر هى : سوق الترك ، وسوق الرباع ، وهى أسواق مسقوفة من النوع (الحميدى) وقد اشتهرت بتجارة المنسوجات والملابس « والحوالى » بنوع خاص .

ومن الصناعات التى ازدهرت فى ذلك العهد أيضاً : صناعة السجاد والبسط والحصر ، وصناعة الخزف ، وصناعة صيد الأسفنج ، وغيرها .

وقد اشتهرت طرابلس فى العهد العثمانى بتجارة نبات الحلفا الذى كان يصدر إلى بريطانيا لاستخدامه فى صناعة الورق . وكان يباع القنطار منه بسبعة عشر قرشاً تركيا^(١) . وقد بلغ معدل ما كان يصدر منه فى العام حوالى ثلاثون ألف طن .

(١) تشتري إنجلترا طن الحلفا اليوم بخمسة وثلاثين جنياً . والحلفا نبات برى لا ينجت إلا فى طرابلس الغرب وبعض جهات تونس .



سوق المشير — طرابلس

[تصوير جنّاح]

أما التجارة، فقد عُرفت طرابلس منذ القدم بأهميتها التجارية لموقعها الهام على البحر المتوسط، في مواجهة الموانئ التجارية الهامة في ذلك العصر، وعلى رأس طريق القوافل المؤدى إلى البحر من الدواخل الأفريقية . وكانت نيجيريا أهم البلاد التي ارتادها الطرابلسيون وأنشأوا معها علاقات تجارية ، وبلى ذلك السودان . فكانت القوافل تذهب محملة بالبضائع القطفية والصوفية ومناديل الحرير والشاي والسكر والبن والورق والزجاج والمرايا ، وتعود محملة بالعاج وريش النعام والجلود والبخور والسنامكي وبعض المنسوجات السودانية . فتباع هذه البضائع في الأسواق الطرابلسية ، أو تشحن إلى الخارج وخصوصا إنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد أثرى كثير من الطرابلسيين من تجارة القوافل هذه ، فانتعشت حالة البلاد ، وكثر استجلاب العبيد من أواسط أفريقية حتى أصبح لكل عائلة متوسطة عبد أو عبدة أو أكثر . وظلت الحالة كذلك إلى أن احتلت فرنسا وإنجلترا المناطق الأفريقية المذكورة ، فتحولت التجارة عن طرابلس ، وأصبحت البضائع الأفريقية تشحن بالبواخر رأساً إلى الموانئ الأوربية ^(١) .

ومن الناحية الزراعية ، فقد نشط الأتراك زراعة الأراضي وغرس البساتين وقدموا القروض الزراعية لهذا الغرض ، وأقاموا حدائق للتجارب الزراعية في سيدي المصرى ، عرفت باسم « سوانى راسم باشا » ^(٢) . وهم أول من أدخل زراعة شجر التوت إلى طرابلس لتربية دودة الحرير .

التعليم والصحافة والطباعة :

أنشأ العثمانيون عام ١٨٩٩ م مدرسة الصنائع ، وكانت تعرف باسم « مكتب الفنون والصنائع » ، ويديرها ضابط برتبة يوزباشى ، لتعليم أبناء الأيتام وبناتهم

(١) أنظر الملحق رقم ٨ في آخر الكتاب .

(٢) سوانى جمع سانية، وهو البستان الصغير .

الحرف والصناعات اليدوية ، وجعلوا لها أوقافاً كثيرة . وكان يعطى الطالب عند تخرجه كمية من النقود وبعض الأدوات ليبدأ حياة مستقلة جديدة . وفي بعض الأحيان ، كان يعطى الطالب أيضاً حانوتاً كامل العدة ، ويزوج من إحدى بنات الأيتام اللواتي تضمنهن المدرسة .

وقد أنشأ العثمانيون أيضاً مكتب « الرشيدية » في طرابلس لتخريج الضباط العسكريين . وبعد تخرجهم كانوا يرسلون إلى استانبول لإتمام تحصيلهم في الكلية العسكرية هناك . كما أنشأوا المكتب السلطاني للتعليم العالي ، ومدرسة الزراعة بسيدى المهري ومدرسة المعلمين العليا بطرابلس .

وكان في ولاية طرابلس قبيل الاحتلال الإيطالي ١٦٦ مدرسة ابتدائية لتثقيف النشء ، وكانت تعرف باسم « رشدية مكتبي » ، وبعض هذه المدارس كانت تنفق عليها إدارة الأوقاف .

وقد شجع الأتراك الصحافة ، فكانت تصدر في مدينة طرابلس ثمانية جرائد أسبوعية ، منها واحدة فقط كانت تصدر باللغة التركية ، إلى جانب مجلة علمية أدبية شهرية كان يحررها ويصدرها باللغة العربية محمد داود بك ، أحد كبار موظفي مكتب الوالى .

وكانت في البلاد مطبعتان كبيرتان ، الأولى مطبعة مدرسة الصنائع ، والثانية مطبعة الحكومة ، وقد أنشئت عام ١٢٧٧هـ ، وفيها كانت تطبع مجلة الفنون المذكورة .

الإنشاء والعمران :

شيد العثمانيون كثيراً من المساجد والقصور والمباني الحديثة والقلاع ، وأنشأوا الطرق والأسواق ، وبعضها لا يزال يحمل أسماء ولانهم حتى اليوم . (مثل سوق

المشير وغيره) . ولا يزال برج الساعة المشهور قائماً في البلدة القديمة ، ينطق بعناية العثمانيين بالإنشاء والتعمير . ويعود إنشاء أحياء ميزران وأبي الخير وشارع الزاوية والمزينة في طرابلس إلى ذلك العهد .

وقد مدّ الأتراك لأول مرة في طرابلس الغرب خطوط البرق ، فوصلت بين أجزاء البلاد حتى مرزق في أقصى الجنوب ، كما أنشأوا المواصلات البريدية بين المدن والقرى الريفية^(١) .

الجاليات الأجنبية :

في مطلع القرن العشرين ، كانت توجد في طرابلس الغرب الجاليات الأجنبية التالية :

(١) الجالية المالطية — وكان عدد أفرادها حوالى ثلاثة آلاف شخص ، يتعاطون أعمالاً تجارية مختلفة .

(٢) الجالية الإيطالية — وكان عدد أفرادها حوالى ألف ، أكثرهم يقيم في مدينة طرابلس ذاتها ، ويشغلون بالتجارة والتصدير والاستيراد .

(٣) الجالية الفرنسية — وكان عدد أفرادها حوالى الثمانمائة ، وبعضهم من أصل يهودى أو تونسى ، وكان أكثرهم يشتغل بتجارة المنسوجات .

وكان غير هؤلاء ، عدد من الأسبان (حوالى ١٠٠ شخص) ، واليونانيين (حوالى ١٢٠ شخصاً) ، وهذا بخلاف اليهود الذين كان عددهم حوالى السبعة آلاف ، أكثرهم يقيم في مدينة طرابلس .

(١) قام بعد خط البرق بين سرت ومرزق عمر بك المنتصر (جد رئيس الوزراء الحالى) أثناء وجوده قائماً بمدينة سرت ، وقد كافأته الحكومة الثمانية على ذلك برتبة الباشوية .

الفصل السادس

الاستعمار الإيطالي

في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٢٢ ، زحف بنيتو موسوليني ورجال حزبه الفاشيستي^(١) على روما بقصد احتلالها وإسقاط الحكومة القائمة بالقوة ، فتم له ولرجاله ما أرادوا ، وكلفه الملك فكتور عمانويل الثالث بتشكيل الوزارة ، فشكّلها وظل في هذا المنصب يحكم البلاد حكماً دكتاتورياً طول حياته .

وبعد عامين من هذا التاريخ ، أي في سنة ١٩٢٤ ، بدأ الفاشيست يوجهون اهتمامهم نحو احتلال ليبيا واستعمارها بصورة جدية شاملة . وقد استمر القتال بينهم وبين المجاهدين العرب حتى عام ١٩٣٠ ، حين احتلوا مَرْزَق في الجنوب ، وتمكن الجنرال « جرازاني » من إخضاع برقة بعد إعدام الشهيد الخالد الذكر عمر المختار ، الذي رثاه أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيدة خالدة مطلعها هذا البيت :

نصبوا رفاتك في الرمال لواء يستنهض الوادي صباح مساء

فلما تم للإيطاليين إخضاع هذه البلاد لحكمهم ، وانطفأت فيها آخر شعلة من الحروب الوطنية ، أخذوا يرتبون استثمارها واستعمارها لفائدتهم . فصادروا أراضي العرب أو أجبروهم على التنازل عنها مقابل قيم اسمية ، وأعطوها لشركات إيطالية شكّلت لغرض تقسيمها وإدارتها وتوزيعها على الفلاحين الإيطاليين . وفي زمن

(١) « فاشيست » كلمة إيطالية مشتقة من كلمة « Fascio » ومعناها الحزمة أو الربطة دلالة على الوحدة والقوة .

« بالبو » عام ١٩٣٤ ، أنشئ نظام (الأنقى)^(١) وهدف هذه المؤسسة استثمار (الشاطئ الرابع) كما كان الفاشيست يسمون هذه البلاد ، وجلبوا عدداً كبيراً من الفلاحين الإيطاليين المعروفين بإخلاصهم للنظام الفاشيستي ، كما فتحت أبواب الهجرة إلى هذه البلاد أمام الإيطاليين من جميع الطبقات ، فوفدت إليها طوائف التجار وأصحاب الحرف والعمال — حتى الجمالون ومساحو الأحذية ! وحتى عام ١٩٣٦ ، كان الإيطاليون قد أنشأوا عدة مستعمرات زراعية أهمها : أوليفيتي ، والعزيزية ، وكريسبي (قرب مصراته) . وفي هذه الأثناء أتم الفاشيست وضع مشروع الخمس سنوات لاستعمار ليبيا ، فجاءت وفود جديدة من الفلاحين الإيطاليين^(٢) ، وأنشأوا مستعمرات جودا وغاريبالدي ونعيمة وغيرها .

وكان الفلاح الإيطالي عند قدومه إلى هذه البلاد ، يجد في انتظاره أرضاً ممهدة معدة للزراعة ، وبيتاً كامل الأثاث والفرش ، واسطبلات بحيواناته وخيله ، ومؤونه من الطعام تكفيه لمدة شهرين . وقد أنشأت « الأنقى » في كل مستعمرة مدرسة لأولاد المهاجرين ، وكنيسة ، وعيادة طبية كاملة الأدوات ، ومكتباً للبريد والتلغراف ، وبيتاً للضيافة ، ونقطة بوليس ، بالإضافة إلى المكاتب الحكومية الأخرى . كما حفرت الآبار لتغذية هذه المستعمرات بالمياه ، ووصلت بين المستعمرات والمدن الرئيسية ، خصوصاً طرابلس ، بالطرق المعبدة بالأسفلت .

وفي مستعمرة الأنقى ، كانت تدفع المزارعين أجور تكفل لهم معيشتهم خلال العامين الأولين ، على أن يسلّموا كل منتجاتهم الزراعية إلى الشركة . وفي السنوات التالية ، تتحمل « الأنقى » نفقات التنمية والصيانة ، وتقتسم المنتجات الزراعية مناصفة مع الفلاح ، فتقيد قيمة المحصول المسلم لحساب المزارع . وابتداء من العام السادس ، يصبح المزارع صاحب التصرف في الأرض وتصبح له حرية بيع المحصول

(١) Ente Per La Colonizzazione Della Libya

ومعناها بالعربية : المؤسسة الاستعمارية الليبية .

(٢) قدم إلى طرابلس في سنة ١٩٣٨ وحينها عشرون ألف إيطالي !

في السوق الحرة ، بينما تقيد عليه أثمان البذور والأدوات والمصاريف الأخرى . وفي السنوات الثلاث الأولى من هذه المرحلة - أي السادسة والسابعة والثامنة - لا تقيد على المزارع سوى فوائد قيمة الأرض والحيوانات بواقع ٢ بالمائة . وابتداء من العام التاسع ، يبدأ المزارع بسداد ديونه . على أن يتم ذلك خلال ٢٧ عاما . وبمجرد أن يسدد المزارع ثلث قيمة الأرض تصبح ملكاً خالصاً له .

أما في أراضي الأنس Istituto Nazionale Della Previdenza Sociale أي المؤسسة الوطنية للتأمين الاجتماعي ، وهي صنو الأنثى ، فكان المزارعون يمتلكون الأرض بمجرد استلامها ، ولكن لا يسمح لهم ببيع محاصيلهم الزراعية إلا بواسطة المؤسسة ، التي تقوم بإصلاح أراضيهم ، وتقيد قيمة المحاصيل المسلمة لحسابهم . وإلى جانب هاتين المؤسستين ، كانت هنالك مؤسسة ثالثة تعرف باسم « الآتى » - أي شركة التبغ الإيطالية - وهذه كانت تقرض المزارعين رؤوس الأموال لاستثمارها في زراعة الطباقي . ومع أنهم كانوا ملزمين بزراعة التبغ كحصول رئيسي ، غير أنه كان بإمكانهم أن يزرعوا بعض الخضروات والحبوب اللازمة لتغذيتهم في بعض أجزاء الأرض^(١).

وقد بلغت تكاليف الإنشاءات الزراعية في ليبيا كلها في العهد الإيطالي ٧٢٨.٠٠٠.٠٠٠ ليرة إيطالية ، أي حوالي ٢٣ مليون جنيه إسترليني . وفيما يلي بيان أسماء المستعمرات المختلفة ، ومساحة كل منها كما كانت سنة ١٩٤٨ :

(١) وضعت إهارة هذه المؤسسات بعد الاحتلال البريطاني عام ١٩٤٣ تحت إشراف مجلس أعضاؤه من البريطانيين والإيطاليين . وفي عام ١٩٤٥ أصبحت المستعمرات جزءاً من مصلحة الزراعة ، وخاضعة لإشراف مدير الزراعة لولاية طرابلس .

المساحة المزروعة غابات (هكتار)	المساحة المستثمرة		مجموع المساحة المقدمة من الحكومة (هكتار)	أسماء المستعمرات (القرى)
	عدد القطع	هكتار		
				الأنثى :
٢٠	١٠٠	١٣٠٠	٢٢٨٨	جودا
٥٠	٣٧٠	٣٧٠٠	٩١٤٠	كريسبي
١٠	٣١٤	٩٤٢٠	١٩٨٦٩	غار بيالدي
٥٠	١٦٨	٨٤٠٠	١٤٠٨٥	بريفلييري
١٥٠	٢٧	٨١٠	١٢٣٥	فندق بن غشير
٥٠	٤٩	١٤٧٠	١٦٧٥	أوليفتي
٢٠	٣٠	١٢٠٠	٥٥٦٩	العززية
٥	١٢٥	٥٠٠	٧١٥	المعمورة
—	—	—	٥٠٠	نعيمة
٣٥٥	١,١٨٣	٢٦,٧٠٠	٥١,٠٥٨	المجموع
				الإناث :
—	٧٢	١٢٨٢	١٣٩٥	أوليفتي
٥	١٩	٣٣٩	٣٥٤	حششان
٤١٢	١٦٧	٤١٦٥	٦١٢١	بيانكي
١٠٥	١٨٩	٤٧٢٥	٥٢٠٧	جورداني
٤١	١٤٨	٣٧٥٨	٤٨٤٣	ميكا
٤٠٠	٦٥	١٦٢٥	٢٢٠٠	كاستل فردى
—	٦٦	٢٥٦٠	٢٩٧٣	كوراديني
—	١٥٠	٦٦٨٤	٨٢٨٢	ماركوني
—	١٨٠	١٠,٩٥٧	١٤,٧٥٥	ترهونة
٩٦٣	١,٠٥٦	٣٦,٠٩٥	٤٦,٢٢٨	المجموع

(١) مجموع مساحة المستعمرات المقدمة بامتياز من الحكومة الإيطالية : ١٢٧,٠٠٠ هكتار

(٢) مجموع المساحة المزروعة غابات : ٣,٠٥٠ هكتار

الإدارة والحالة العامة :

استهدف الفاشيست تحويل هذه البلاد إلى أرض إيطالية صميمة ، وطرد سكانها العرب إلى داخل الصحراء . وقد ظهرت هذه السياسة بوضوح بعد احتلال الحبشة عام ١٩٣٥ وإعلان الإمبراطور به الإيطالية . وفي سنة ١٩٣٧ ، جاء موسوليني لزيارة طرابلس ، وفي هذه الأثناء أهدت له الحكومة باسم العرب ، سيفاً ثميناً محلي بالجواهر النادرة ، وجعلوا اسمه « سيف الإسلام » !

وفي سنة ١٩٣٨ ، أجبرت الحكومة الإيطالية العرب على التجنس بالجنسية الإيطالية ، فلقبت هذه الحركة مقاومة من رجال الدين ورجال الفكر ، ولم يقبل على التجنس سوى الموظفين وأقلية من الناس عن اضطرار . غير أن منح الجنسية الإيطالية للعرب لم يفسدهم في شيء ، إذ ظلت السلطات الفاشيستية على اضطهادها لهم وملاحقتهم . واضطرت الحكومة بعد ذلك — إزاء تيار المعارضة الشديد — إلى التراخي في تنفيذ قانون الجنسية الجائر .

إلا أن السلطات الإيطالية أخذت تشدد الذكير على العرب في نواح أخرى ، وتعمدت إذلالهم وقهر كبريائهم . فحرمت عليهم الجلوس في المقاهي الإيطالية ، أو أى مكان آخر يرتاده إيطاليون ، وأمرتهم بأن يحشوا كل إيطالى يمرون به بالتحية الفاشيستية (رفع اليد)^(١) ، ومنعتهم — بقدر الإمكان — من إرسال أولادهم إلى المدارس الثانوية ، واضطهدت اللغة العربية ، وجعلت أسماء الشوارع والميادين كلها أسماء إيطالية ، بل إنهم حرموا على العرب الركوب في تاكسى أو عربة حنطور إذا كان السائق إيطالياً !

(١) كان هذا الأمر سارياً بصفة خاصة في القرى والدواخل ، ثم ألغى بعد ذلك لما تبين للإدارة الإيطالية سخفه .

هكذا كانت إيطاليا تحكم هذه البلاد ! وهذه هي السياسة التي كان الفاشيست يريدون أن يكسبوا بها العرب والمسلمين !

* * *

كانت القوانين التي تنفذها إيطاليا في هذه البلاد هي القوانين الإيطالية ، واللغة الوحيدة التي كانوا يعترفون بها سواء في المعاملات الرسمية أو في المحادثات الفردية هي اللغة الإيطالية . وكأن الإيطاليين لم يكفهم ذلك ، فتدخلوا في عقائد الناس وشعائهم ، ومنعومهم من مزاولة طقوسهم الدينية ، بل أنهم تدخلوا في تصرفاتهم الشخصية فمنعومهم من شرب الشاي في المحلات العامة إلا في ساعات القيلولة ، بحجة أن شرب الشاي يورث الكسل !

أما الوظائف العامة ، فكانت كلها في أيدي الإيطاليين ، ولم يكن منها في يد العرب إلا النذر القليل — وأكثره من الوظائف التافهة — فيما عدا أقلية نادرة تمتعت ببعض الامتيازات في ذلك العهد . وكانت نتيجة هذه السياسة الخرقاء التي سارت عليها إيطاليا أن خلیفت البلاد عند خروجها منها عام ١٩٤٣ في (حالة فراغ) ، مما استلزم استعانة الإدارة البريطانية بعدد من الموظفين العرب المستقدمين من بلدان الشرق الأوسط^(١) . ولكي يقتلوا كل نشاط سياسي أو فكري أو أية محاولة للتكتل ،

(١) وصف حضرة السيد المحترم محمد الساقلي وزير المعارف بالحكومة الليبية هذه الحالة في كلمة ألقاها أمام ميكروفون محطة الاذاعة لمنظمة البونيسكو بحرقها في باريس يوم ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٥٢ ، رداً على أسئلة وجهها له مدير قسم الاذاعة العربية ، بالعبارة الرائعة التالية :

« هلا مررت بساحل بحر جزر بعد مد ، وجف بعد دفع ، وانحسرت المياه فتركت على بساطه الرمل غناء ، وطعالب ، وحتالات مما تقذفه الأمواج الموجه من أحشاء البحر . أو هل ساوقت وادياً بجرت مياهه بعد أن اندفع فيه سيل عرم ، فاض على مغطائه ، فغاب على طول امتداده في كل التواء أثرا ، وفي كل منعرج هناة ، وعند كل منعطف جلود صخر ، أو جذع شجرة ، أو أغصانا ، أو جثة حيوانات هامة ؟ وهل تصورت هذا المنظر الرهيب المحزن أمام عينيك ؟ !
هكذا خلفت الحرب الأخيرة معظم أقاليم المملكة الليبية بعد انقشاع غمة الحرب الأخيرة عنها عام ١٩٤٢ : ركاما فوق ركام ، وحطاما يعلوه حطام ، من السيارات ، والمصفحات ، والجرارات ، =

حرّم الإيطاليون على العرب تأسيس النوادي ، أو إقامة الاجتماعات ، وحرّموا عليهم إنشاء المطابع وتأسيس الصحف والتأليف إلا بما فيه مصلحتهم . وقطعوا الاتصال بين ليبيا وسائر البلاد العربية خصوصاً مصر ، فمنعوا وصول الجرائد والمجلات المصرية ، حتى عاشت البلاد في شبه عزلة عن العالم ، فيما عدا إيطاليا . وبالإضافة إلى ماتقدم ، بثت السلطات الإيطالية الجواسيس في كل مكان ، وبالغت في الاعتقال وتشريد الأبرياء ، حتى انهم كانوا يحيلون في بعض الأحيان قرى بأكملها إلى معتقلات ويضعون حولها الأسلاك الشائكة ، مما اضطر كثير من العرب إلى الفرار والالتجاء إلى البلاد العربية المجاورة .

ولأول مرة في تاريخ هذه البلاد ، سمحت السلطات الإيطالية للبغايا بمزاولة عملهن ، وحددت لإقامتهن أحياء خاصة . وكلهن كن من جنسيات أوروبية مختلفة .^(١)

التعليم :

لعل أبلغ دليل على اضطهاد الإيطاليين للعرب وحرمانهم من التعليم ، إنه كانت في عام ١٩٣٦ ثلاث مدارس لليهود ، و ٥٦ للعرب (ليس بينهما مدرسة ثانوية واحدة) ،

والدبابات ، والطائرات ، والمدافع ، ومختلف أنواع العتاد الحربى متناثرة ، مبعثرة هنا وهناك ، في الصحراوات ، والسفوح ، والروابي ، والهضاب ، والأودية ، والجبال ، بل في المزارع والقرى . وحتى شوارع المدن نفسها حطمتها الحرب ، ودكتها القارات الجوية للتلاخقة ، فلم تبق منها إلا خراباً يندبه المز ويباباً تبكيه النعمة ، وأطلالا لمباني ومنشآت أنهار بعضها فوق بعض على أن هذه المشاهد الحزينة التي تركت طابعها القاتل على كل مرفق من مرافق الحياة . لم تكن من عزم الشعب الليبي أو تفت في عضده . خصوصاً وقد حصلت البلاد أثناء محنة الحرب ، باسم الحلفاء الذين انضمت لجانبهم وحارب شبابها وشيخها جنباً لجنب في صفوفهم ، تحت قيادة عامل البلاد لإدريس الأول محبوب ، على وعد أكيد بالتخلص من النير الأجنبي » ٥٠٤ هـ

(١) قيل لى إن بعض البغايا كن يزاولن هذه الحرفة البغيضة في أواخر العهد العثماني بصفة سرية . وإن عمل الإيطاليين اقتصر على « تنظيم » هذا العمل واخضاع البغايا للكشف الطبى الدورى محافظة على الصحة العامة .

٤٤٠ للإيطاليين ، وبلغ مجموع عدد طلبتها ٥٣٦٩ من العرب ، و ٨٨٥٠ من الإيطاليين !!
وفي عام ١٩٣٩ ، بلغ مجموع عدد الطلبة الإيطاليين ١٣٠٠٠ طالباً أى بزيادة ٣١٩١
طالباً ، بينما بلغ مجموع عدد الطلبة العرب ٦٠٠٠ ، أى بزيادة ٦٣١ طالباً فقط !
وبينما كانت المدارس الإيطالية مجهزة بأحسن الأثاث ، وفي كل مدرسة جهاز
للراديو و بيانو وآلة سينما ، كانت المدارس العربية خالية من هذه الأشياء . أما الكتب
فكانت كلها مصبوغة بالصبغة الفاشيستيّة ، حتى علوم الحساب والصرف والنحو
كانت تدرس بهذه الروح . أما علوم التاريخ والجغرافيا ، فقد كانت مقصورة على
ما يخص إيطاليا ومستعمراتها فقط !

ولم يكن في العهد الإيطالي مدير مدرسة عربي واحد ، وحتى الأساتذة كانوا
خاضعين لأشراف ومراقبة زملائهم الإيطاليين . أما لغة التدريس فكانت الإيطالية ،
إذ كان استعمال اللغة العربية كلغة تدريس ^(١) محظوراً في كافة المدارس الليبية !
وبالإضافة الى كل ذلك ، فقد كان على جميع الطالبات والطلبة الإيطاليين بين
سن ٦ و ٢١ أن يكونوا أعضاء في إحدى منظمات الشباب الفاشيستي ، حسب
النظام التالي :

من سن ٦ الى ٨ سنوات — في منظمة أبناء أو بنات الذئبة .
من سن ٨ الى ١٣ سنة — الأولاد : في منظمة باليلا (نسبة الى أحد الأولاد
الإيطاليين الذي تحدى النمساويين عام ١٧٤٦) .
من سن ٨ الى ١٤ سنة — البنات : في منظمة بيكولي إيتالياني (أى الفتيات
الإيطاليات الصغيرات) .

(١) فيما عدا المدرسة الإسلامية العليا التي كانت تدرس فيها العلوم باللغة العربية . وقد أنشئت
هذه المدرسة سنة ١٩٣٥ ، وأفتت أبوابها عام ١٩٤٢ . وكان يرأس مجلس إدارتها السيد
محمود المتصرف رئيس الوزراء الحالي . ويتولى عمادتها سماحة محمد أبو الإسعاد العالم ، مفتي الديار
الليبية . وقد أسست هذه المدرسة لإدارة الأوقاف الإسلامية ، وكانت تسير في مناهجها ، فيما عدا
اللغة العربية العربية والدين ، على غرار المدارس الإيطالية .

من سن ١٣ إلى ١٨ سنة — الأولاد: في منظمة الأفانجارديستي (الطلّاع) .
من سن ١٤ إلى ١٨ سنة — البنات : في منظمة جوفاني إيتالياني (أى الشابات
الإيطاليات) .

من سن ١٨ إلى ٢١ سنة — للجنسين : في منظمة جوفاني فاشيستي (أى شباب
الفاشيست) .

وقد ألغيت جميع مؤسسات الكشف ، وحل محلها نظام الـ (G.I.L)^(١) وكانت
هذه المؤسسة تشرف على تدريب الأولاد والفتيات تدريباً عسكرياً ، وأقامت المخيمات
الصيفية ، والرحلات .

ولسكى لا تجمع السلطات الفاشيستية بين العرب والإيطاليين في منظمة واحدة
أنشأت عام ١٩٣٥ مؤسسة الـ (G.A.L) على غرار الـ (G.I.L)^(٢) خاصة
بالطلبة العرب ، وحثمت على جميع الطلاب أن يكونوا أعضاء فيها . وكانت تقدم لهم
الملابس الرسمية للفاشيست مجاناً كنوع من الإغراء . وفي سنة ١٩٣٦ ، أرسلت
السلطات الإيطالية ١٥٠٠ طالب عربى لقضاء ستة أسابيع في إيطاليا ضيوفاً على
الحكومة الإيطالية ، كمحاولة لتشريبهم الروح الفاشيستية ، وإطلاعهم على
« عظمة » إيطاليا . .

وقد امتدت يد الفاشيست كذلك إلى مدرسة الفنون والصنائع ، فقصروا
التعليم فيها على مبادئ القراءة والكتابة باللغة الإيطالية ، وأغوا تعليم بعض الحرف
والصناعات المفيدة ، كما بيعت بعض الآلات والمطبعة ، بقيم زهيدة إلى أفراد إيطاليين!
الزراعة :

لقد أتى الإيطاليون بأساليب جديدة فنية في الزراعة ، إلا أن النظام الذى

(١) Gioventu' Italiana del Littorio

(٢) Gioventu' Araba del Littorio

أدخلوه من حيث إنشاء المستعمرات الزراعية « لم يستطع حتى الآن البقاء بدون مساعدة خارجية ، وعلى ذلك فهو قابل للانحلال . وثمة حاجة لعدد من الدراسات الفنية والاقتصادية حتى يمكن تقديم التوصيات المحددة بشأن مستقبله » .^(١)

وقد أكثر الإيطاليون من زراعة الخضروات والزيتون ، واللوز ، والكروم ، وشجر الخروع ، كما أدخلوا زراعة القول السوداني (الكاكاوية) ونجحت زراعته في بعض المناطق .

وقد بذل الإيطاليون جهوداً كبيرة لوقف خطر تحركات الكشبان الرملية على الأراضي الزراعية ، فأنشأوا فيها الغابات ، وحتى عام ١٩٤٠ كانوا قد أتموا تحريش ٢٠٠ هكتار من هذه الكشبان الرملية .

ال عمران والانشاءات العامة :

يقتضينا الانصاف أن نسجل للعهد الإيطالي هذه النهضة العظيمة في البناء والتعمير . فقد أقاموا آلافاً من المنازل الحديثة ، وشقوا الطرق ، وعبدوا الشوارع ، وأنشأوا الميادين الفسيحة ، والحدائق العامة الجميلة ، وأقاموا التماثيل الكثيرة ، حتى أضحت مدينة طرابلس وبعض المدن الليبية الأخرى تفاخر مدن العالم بجمالها وحسن تنسيقها ونظامها . إلا أن الإيطاليين — بطبيعة الحال — لم يقصدوا بهذه الإصلاحات الجبارة خير العرب وفائدتهم ، بل أرادوا تحويل هذه البلاد إلى بلاد إيطالية محتة ، وجعلها لائقة بسكانهم .

ولعل أهم ما قام به الإيطاليون في هذه البلاد ، هو إنشاء الطريق البري المعبد بين طرابلس وبنغازي . ويبلغ طول هذا الطريق ١٠٢٩ كيلومتراً ، وقد بدىء

(١) تقرير المستر جون لندبرج ، كبير اقتصاديي بعثة الأمم المتحدة للمساعدة الفنية في ليبيا (١٩٥١) .

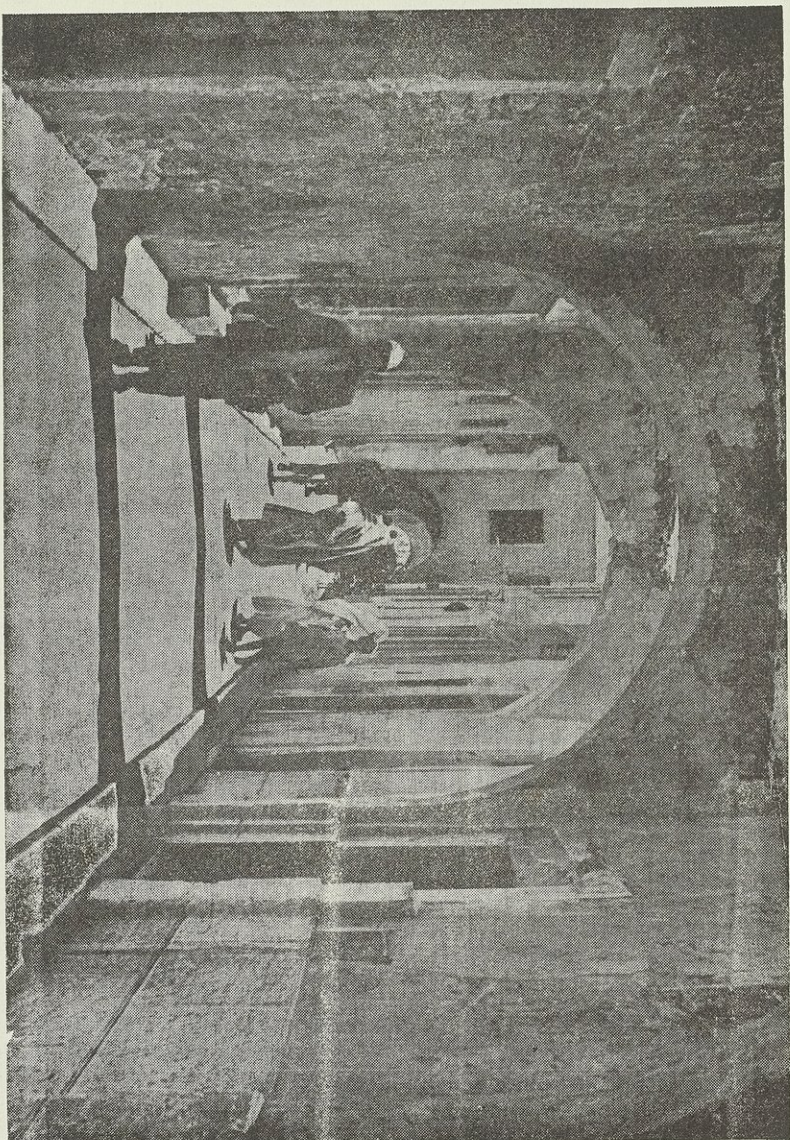
بإنشائه سنة ١٩٣٦ ، وأنشئوا منه بعد عام واحد . وبلغت نفقائه ٧٨,٠٠٠,٠٠٠ ليرة إيطالية ، أى ما يعادل ١,١٨٣,٠٠٠ جنيهًا . ويعتبر إنشاء هذا الطريق نصراً هندسياً كبيراً ، نظراً للصعوبات الكثيرة التى اكتنفت تنفيذ هذا المشروع .

ومن المنشآت التى أقامها الإيطاليون فى مدينة طرابلس أيضاً ، فندق الودّان ، وهو يضارع أحسن الفنادق العالمية ، وفندق المهارى ، وفندق الجراند هوتيل ، ودار البلدية ، والكاتدرائية الكبرى ، والمستشفى الحكومى ، وعدد من دور السينما والمقاهى والمباني العامة ، وشارع الكورنيش الجميل على البحر ، كما أضافوا إلى المدينة أحياء جديدة منها مدينة الحدائق ، وضاحية الهضبة الخضراء ، وغيرها .

وفى عهد الإيطاليين أيضاً أنشئت شركة لتزويد المدينة بالتيار الكهربائى ، والغاز ، ومدّت أنابيب المياه إلى البيوت . كما أنشئت شبكة المجارى العامة ، وأضيئت الشوارع والطرق والميادين بالثريات الكهربائية ، حتى أصبحت طرابلس مدينة عصرية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى .

الصناعة والتجارة والمال :

انحصرت الصناعة العربية فى هذا العهد بصناعة بعض أنواع المنسوجات والأردية الوطنية ، وبعض الصناعات الخفيفة الأخرى . وقد وفد على البلاد بعض أصحاب الحرف من الإيطاليين ، فأدخلوا إلى طرابلس صناعات جديدة كخراطة المعادن وصبها وصيانة السيارات والآلات ، وأنشئ عدد من المصانع الصغيرة أو (الورش) لصناعة الأحذية ودبغ الجلود وصناعة المكرونة وتقطير الكحول وصناعة البيرة والخمور والصابون . وقد أنشأ الإيطاليون مصنعاً كبيراً فى مدينة طرابلس لصنع لقائف التبغ (السجائر) من الطبايق المزروع محلياً . ولا يزال هذا المصنع قائماً بعمله ، ويزود البلاد بأكثر من ٩٠ ٪ من استهلاكها من الدخان . كما أنشئ مصنع لحفظ سمك التونة فى العلب ، وكان ولا يزال يصدر إنتاجه إلى إيطاليا .



طرابلس — منظر في المدينة القديمة

أما المعاملات التجارية ، فكانت أكثرها مع إيطاليا ، وكانت طرابلس تصدر إليها بعض المنتجات الزراعية والحيوانية ، والسجائر ، وعلب التونة ، وتستورد منها الفاكهة ، والأغذية المحفوظة ، والسيارات والآلات ، والمنسوجات والملبوسات ، وقطع الأثاث ، ومختلف أنواع المصنوعات الإيطالية .

وكانت المعاملات المالية — كالمعاملات التجارية — كلها بأيدي بنوك ومؤسسات إيطالية . فقد أنشئ إلى جانب بنكودى روما — الذى تأسس زمن العثمانيين — عدد آخر من البنوك وبيوت المال الإيطالية . ولم تسمح السلطات الإيطالية لأى بنك أجنبي بمباشرة العمل في هذه البلاد . وكانت خطوط الملاحة البحرية والجوية المنتظمة تصل ما بين طرابلس وإيطاليا .

أما النقود ، فكانت هى نفس النقود الإيطالية المستعملة في إيطاليا . ولم يسك الإيطاليون عملة خاصة بهذه البلاد .

الحرب العالمية الثانية

عندما نشبت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ ، كان بضعة آلاف من الليبيين يقيمون كلاجئين في مصر والأقطار العربية المجاورة . وفي شهر أكتوبر من نفس العام ، عقد المقيمون في مصر اجتماعاً في مدينة الإسكندرية ، وأرسلوا البرقيات إلى رئيس الوزارة المصرية والسفير البريطاني في القاهرة ، متضمنة ثلاث قرارات وهى :

(١) تأكيد اعتراف البرقاويين بأمارة السيد إدريس المهدي السفوسى (الملك إدريس الأول الآن) عليهم .

(٢) مفاداة الطرابلسيين بالسيد إدريس المهدي السفوسى أميراً على طرابلس الغرب .

(٣) تفويض السيد إدريس المهدي السنوسي ، باعتباره أميراً على ليبيا ،
بالتحدث باسم الليبيين كافة وتمثيلهم في جميع شئونهم .

وعلى أثر هذه القرارات ، اتصل السيد إدريس السنوسي بالسلطات الحربية
البريطانية ، وعرض عليها مساعدة الليبيين في حالة دخول إيطاليا الحرب إلى جانب
ألمانيا . وبعد أسبوع ، عقد الليبيون في مصر اجتماعاً آخر ، واتخذوا فيه قراراً بأن
تصبح ليبيا دولة مستقلة تحت حكم السيد إدريس السنوسي ، في حالة تحريرها من
النير الإيطالي .

وبعد إعلان إيطاليا الحرب على إنجلترا وفرنسا بتاريخ ١٠ يناير ١٩٤٠ ، عقد
الزعماء الليبيون اجتماعاً آخر في القاهرة ، تقرر فيه إنشاء جيش ليبي للاشتراك مع
الإنجليز في تحرير ليبيا . وعلى الأثر بدأت حركة التطوع في الجيش الليبي الجديد ،
الذي سمي (بالجيش العربي الليبي)^(١) ، وقام الإنجليز بتدريبه وإعداده للقتال . وفي
عام ١٩٤٢ ، كانت قوة هذا الجيش قد بلغت خمس فرق ، كاملة التدريب والعتاد .

وفي هذه الأثناء ، أخذ الإيطاليون يستعدون لغزو مصر ، وكان يقودهم المارشال
« جرازاني » بعد مقتل « بالبو » في حادثة طائرة ، فاستولوا على سيدي براني
بتاريخ ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٠ ، ولكنهم توقفوا هناك لايتقدمون خطوة مدة ثلاثة
أشهر ، رغم تفوقهم على الإنجليز في العدد والعتاد الحربي . فاغتنم الإنجليز هذه الفرصة
وأخذت أساطيلهم وطائراتهم في مهاجمة القوات والسفن الإيطالية . وبتاريخ
٩ ديسمبر ١٩٤٠ ، بدأ المارشال ويفل هجومه الساحق ، فبعد في وقت قصير شمل
الجيش الإيطالي ، وأخذ منهم أكثر من ثمانية آلاف أسير . واستمر تقدم الإنجليز
بعد هذه المعركة حتى استولوا على السلوم والبردية وطبرق ، وبلغوا العقيلة يوم
٣٠ إبريل ١٩٤١ . فتقهقرت جيوش الإيطاليين إلى طرابلس ، والإنجليز يحدّون

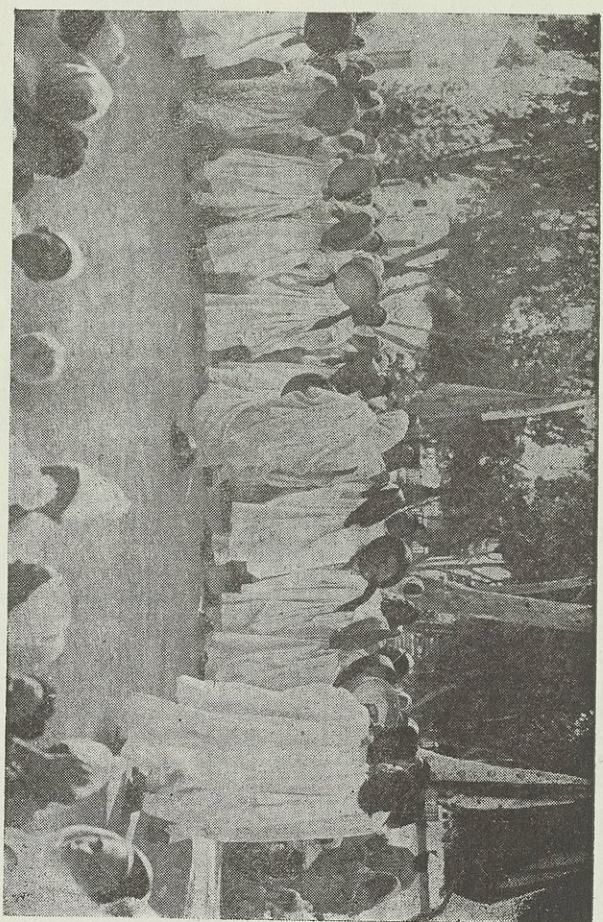
(١) وكان يعرف أيضاً باسم الجيش السنوسي .

فى أثرهم مما اضطر المانيا الى التدخل خشية انهيار حليفها إيطاليا . فأرسلت قوات المانية مدربة تدريباً خاصاً على حرب الصحراء ، ومجهزة تجهيزاً كاملاً بالأسلحة الفتاكة والدبابات الثقيلة والمدافع ، بقيادة القائد الألماني المشهور « رومل » الملقب بشعوب الصحراء . فاستطاع هذا القائد العظيم بعقريته الحربية - التي شهد له بها أعداؤه - أن يسترد برقة كلها من الانجليز فى مايو سنة ١٩٤١ ، فيما عدا مدينة طبرق . إلا أن الانجليز ، بقيادة الجنرال كاننجهام ، كروا على رومل فى نوفمبر من نفس العام ، واضطروه للتقهقر حتى العقيلة .

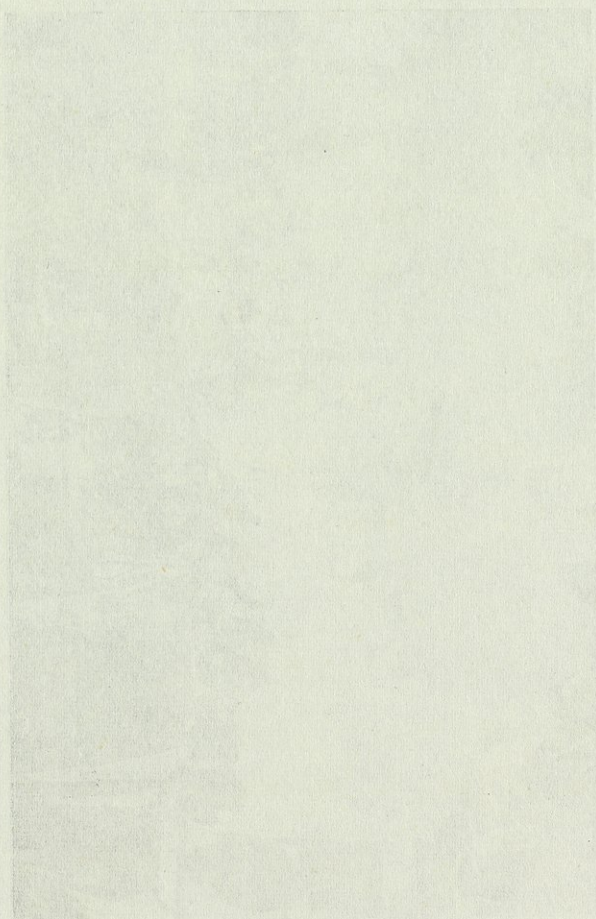
وهناك استطاع الثبات حتى العشرين من مايو عام ١٩٤٢ . فلما وصلتته امدادات جديدة عاود الهجوم على الانجليز ، واستطاع فى وقت قصير أن يكتسح برقة ، وسقط طبرق بيده هذه المرة ، واستمر فى زحفه نحو الحدود المصرية ، فاجتازها ، واحتل مرسى مطروح يوم ٢٨ يونيه ١٩٤٢ ، ثم تقدم حتى بلغ منطقة العلمين المشهورة ، على بعد ٧٥ كيلو متراً من الاسكندرية ، فمنح رومل رتبة المارشالية ، واستعد موسوليني لدخول مصر على حصانه الأبيض ، ورسم خطة الاحتفال بدخوله القاهرة قائماً ، بل إنه حدد مقر قيادته فى فندق شبرد بالذات ، إلا أن رومل توقف عن الزحف ، وأخذ يعيد تنظيم قواته ، ثم طار إلى برلين حيث قابل هتلر وشرح له الحالة فى العلمين . طالباً إمداده بقوات وأسلحة جديدة .

وفى هذه الأثناء ، تولى قيادة الجيش الانجليزى الثامن الجنرال مونتجمرى ، فلما أتم تحضير قواته ، فاجأ الألمان بهجوم عنيف يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٤٢ ، ونشبت معركة العلمين الفاصلة التى حددت مستقبل هذه البلاد - وربما الحرب كلها - وظلت المعركة دائرة بقسوة وعنف شديدين ، حتى جاء يوم ٣ نوفمبر ١٩٤٢ ، فانهزم جيش رومل ، ووقع فى الأسر آلاف الجنود ، وعدد من الضباط العظام منهم الجنرال فون توما - يد رومل اليمنى - وقدردت خسائر قوات المحور فى هذه المعركة بسبعين ألف رجل ، وأكثر من ٥٠٠ دبابة و ١٠٠٠ مدفع و ٢٠٠ طائرة .

وقد ظل تقهقر الألمان والإيطاليين مستمراً بعد هذه المعركة ، حتى دخل الإنجليز مدينة طرابلس خلافاً لـ يوم السبت الثالث والعشرين من يناير سنة ١٩٤٣ . وبذلك طويت صفحة إيطاليا نهائياً في هذه البلاد ، بعد أن حكموها إثنين وثلاثين عاماً ، وبرزت شمس عهد جديد .



الاحتفال بالمولد النبوي الشريف (زليطن)



Handwritten text, possibly a signature or date, oriented vertically.

الفصل السابع

الإدارة البريطانية

لقد أبلى الليبيون الذين اشتركوا في هذه المعارك بلاءً حسناً ، وأبدوا من ضروب الشجاعة وقوة الاحتمال ما سجله لهم وزير الخارجية البريطانية في تصريحه بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٤٢ الذى شكر فيه السيد ادريس السنوسى (الملك إدريس الأول) وأتباعه لمساهماتهم فى المجهودات الحربية ، وختمه بقوله « ان حكومة جلالة الملك مصممة على أن لا تعود برقة إلى حكم الإيطاليين بعد انتهاء هذه الحرب ». فكان هذا التصريح من الأسباب التى دعت الحكومة الإيطالية إلى سحب جميع موظفيها وأفراد الجالية الإيطالية فى برقة عند انسحاب الجيش الإيطالى من هناك ، حتى لم يبق منهم أحد ^(١) .

أما فى طرابلس ، فقد كانت الحالة تختلف بعض الشيء . إذ بالرغم من أن أكثر موظفى وزارة المستعمرات الإيطالية كانوا قد انسحبوا مع الجيش الإيطالى ، كما أن آخرين قد عزلوا بعد الاحتلال البريطانى نظراً لميولهم الفاشيستية المتطرفة ، غير أن عدداً كبيراً من الموظفين الإيطاليين بقوا فى طرابلس ، كما بقى فيها أكثر من ثلثى عدد الجالية الإيطالية .

أما فزان ، فقد احتلها الفرنسيون نظراً لمجاورتها لمستعمراتهم الإفريقية ، ولم يبق فيها أحد من الإيطاليين .

(١) وقد تمسك البرقاويون كذلك بوجوب خروج الإيطاليين من بلادهم ، لما قالوه على أيديهم زمن الاحتلال الإيطالى .

وعلى أثر زوال الحكم الإيطالي ، أنشأ الإنجليز إدارات مدنية منفصلة في شكل من ولايتي برقة وطرابلس ، كما تولى الفرنسيون الإشراف على الإدارة في فزان ، وعين لرئاسة المصالح والدوائر المختلفة ضباط من الإنجليز ، كما عين عدد منهم في الوظائف القضائية والإدارية الأخرى . وكان أولئك الموظفون يستمدون سلطاتهم التشريعية والقضائية والإدارية من القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط ، ويرأسهم البريجادير بلاكللي الذي كان يلقب « برئيس الإدارة العسكرية في طرابلس الغرب » ، وهو بدوره مسئول ، عن طريق قسم الشؤون الإدارية بالقيادة العامة ، أمام القائد العام للقوات البريطانية . وقد ظل البريجادير بلاكللي في وظيفته تلك حتى عام ١٩٥١ ، عندما سلمت الإدارة نهائيا إلى الحكومة الوطنية المعينة من الملك إدريس بعد إعلان الإستقلال ، وكان يعاونه في هذه المهمة مستشارون في الشؤون القضائية والمالية والزراعية وغيرهم من الإخصائيين البريطانيين .

وقد قسم البريطانيون طرابلس الغرب ، من الناحية الإدارية ، إلى ثلاثة مقاطعات ، وهى : طرابلس والمقاطعة الغربية ، والمقاطعة الشرقية ، والمقاطعة الوسطى ، ومركز كل منها في مدن طرابلس ومصراتة وغريان على التوالي . وكان يرأس كلًا من هذه المقاطعات ضابط برتبة لفتنانت كولونيل ، ويساعده سكرتيرون من العرب وأحيانا من الإيطاليين عند وجود أقليات إيطالية كبيرة . وكان يتبع أولئك السكرتيرين موظفون إداريون ، يسمون مديرون .

وكانت هذه المقاطعات مقسمة ، بالتالى ، إلى ٢١ قضاء أو متصرفية ، حسب النظام الإيطالي السابق وبمحدودها السابقة ، وعلى رأس كل متصرفية ضابط برتبة ماجور أو كابتن ، يعاونه جهاز إدارى مكون من أمين صندوق وكاتب ومترجم وموظف صحة . وكان يرأس قوة البوليس في المتصرفيات ضابط بريطانى برتبة مفتش وهو بدوره مسئول أمام مدير بوليس المقاطعة ، كما وضعت البلديات تحت إشراف ضباط بريطانيين ، وוכל إليها الإشراف على الشؤون الصحية والنظافة والأسواق المحلية والمساكن والمنافع العامة وموارد المياه وتسجيل والمواليد والوفيات ، وغير ذلك .

فيما يلي التقسيمات الإدارية والبلدية لولاية طرابلس الغرب :

المقاطعة	مقر الرئاسة	مقر المتصرفية	البلديات
طرابلس والمقاطعة الغربية	طرابلس	طرابلس سوق الجمعة الزاوية صبراتة زواردة	طرابلس سوق الجمعة تاجوراء العزيرية الزاوية بيانكي صبراتة زواردة
الشرقية	مصراته	مصراته ترهونة بنى وليد الخمس زليطن سرت	كريسي مصراته غاربيالدى ترهونه بنى وليد الخمس القصببات زليطن سرت
الوسطى	غريان	غريان مزدا نالوت يفرن	غريان مزدا نالوت يفرن

وكان موظفو الإدارة البريطانية من القوميات التالية :

- (١) رجال الجيش .
- (٢) الموظفين المدنيين الإيطاليين .
- (٣) موظفين معينين محليا (عرب وإيطاليين) .
- (٤) موظفين مستوردين من الخارج .

وقد بلغ عدد أولئك الموظفين بحسب الجنسيات المذكورة خلال السنوات ١٩٤٣ إلى ١٩٤٧ كما يلي :

الفئة	يناير ١٩٤٣	يناير ١٩٤٤	يناير ١٩٤٥	يناير ١٩٤٦	يناير ١٩٤٧
رجال الجيش	١٢٩	١٦٤	١٢٩	١٣١	١١٢
	١٨١	١٩٩	١٢٢	١١٥	٩٤
موظفون مدنيون	٧٨٥	٦٨٨	٧٨٣	٧٥٨	٥١١
من الإدارة الإيطالية	١٤٠٢	٨٧٣	٩٩٤	٩٧٠	٦٦٥
موظفون مستوردون	—	٩٣	١١٣	١٢٥	١٤٧
موظفون معينون محلياً	—	—	٧٨٨	٩٣٧	١١٢٠

وقد استقدم الإنجليز عدداً من المترجمين إلى اللغة الإنجليزية من بلاد الشرق الأوسط ، نظراً لعدم توفرهم في هذه البلاد .

الشؤون المالية والاقتصادية :

كانت الحالة المالية والاقتصادية ، في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، شبيهة بما كانت عليه في أكثر البلدان الأخرى ، فقد حدث تضخم مالي كبير نتيجة لنفقات الجيوش الأجنبية ، وحاجة هذه القوات للأيدى العاملة الكثيرة .

غير أن الحرب لم تشوه جمال المدينة ولم تترك فيها أضراراً بالغة ، فقد جرت أكثر المعارك في برقة والصحراء ، وفيما عدا بعض الغارات الجوية أو البحرية من أساطيل الحلفاء ، فإن المدينة لم تتعرض لهجوم مدمر كما تعرضت بنغازي وبعض المدن الليبية الأخرى . وبذا لم تواجه الإدارة الإنجليزية بعد الاحتلال مشكلة إعادة

تعمير طرابلس ، كما إن العدد الأكبر من المزارعين الإيطاليين بقوا في مزارعهم ، كما بقي في المدن عدد كبير من أصحاب الحرف والعمال والتجار .

وقد وضع الأنجليز البنوك وبيوت المال الإيطالية تحت الحراسة ، وأوقفوا نشاطها ، فتأسس على الأثر بنك بركليز ، كما افتتحت بعض الشركات الأنجليزية فروعاً لها في طرابلس وأخذت تزاوّل نشاطها المالى والتجارى .

كانت إيطاليا تسمى هذه البلاد « الشاطئ الرابع » ، فجاءها كما تقدم عدد كبير من الإيطاليين ، وجلبوا رؤوس الأموال التى استثمروها في هذه البلاد . وكان فيها أيضاً عدد كبير من الجنود والموظفين والسواح ، مما ساعد على انتعاش الحالة الاقتصادية ورفاهية بعض السكان . وقد استمر هذا الحال أثناء الحرب وبعدها ، إلى أن انكشفت النفقات الحربية الضخمة عام ١٩٤٤ ، فازداد العوز ، وكثر عدد العاطلين . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد توقفت التجارة الخارجية ، لأن إيطاليا كانت تحتكر الاستيراد من هذه البلاد ، فاضطر البريطانيون لإيجاد أسواق جديدة للمنتجات المحلية ، منها مالطة وتونس ومصر والمملكة المتحدة .

أما النقود ، فقد أعلنت الإدارة البريطانية ، عقب الاحتلال ، أن الجنيه الحربى الأنجليزى والليرة الإيطالية كلاهما عملة رسمية معترف بها بسعر ٤٨٠ ليرة إيطالية للجنيه . ثم ألغى البريطانيون الليرة الإيطالية . وأنشأوا عوضاً عنها الليرة العسكرية أو « المال » Military Authority Lira بمعدل ٤٨٠ « مال » للجنيه الأسترلينى . وبلغ مجموع المبالغ المحولة عندئذ من الليرة الإيطالية إلى المال ما قيمته ٤٣١٨,٠٠٠ جنيه أسترلينى .^(١)

(١) ظل « المال » عملة التداول في طرابلس حتى يوم ٣٠ مارس ١٩٥٢ ، عند ما حل مكانه الجنيه اللبى بسعر ٤٨٠ مال للجنيه الواحد .

وقد احتفظ الإنجليز بنظام الضرائب والإيرادات الذي كان معمولاً به أيام الإيطاليين . وكانت أهم مصادر الإيرادات الضرائب المباشرة ، وأرباح احتكارات التبغ والملح التي تشرف عليها الحكومة . وتشتمل الضرائب المباشرة على ضريبة الدخل ، وضريبة العشر على المحصول الزراعي ، والضرائب الزراعية الأخرى . وكانت ضريبة الدخل كما هي اليوم ، تجبى بواقع ١٥ ٪ من أرباح التاجر ، و ٨ ٪ من راتب الموظف ، و ٤ ٪ من رواتب العمال اليدويين . وقد بلغ إيراد هذه الضريبة لعام ١٩٤٦ / ١٩٤٧ ١٢٥,٠٠٠ جنيه استرليني ، وبلغت إيرادات الجمارك في المدة ذاتها ٧٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني .

وفيما يلي بيان عن حركة ميناء طرابلس في زمن الإدارة البريطانية (يونيو سنة ١٩٤٤ إلى ديسمبر سنة ١٩٤٩) :

السنة	عدد البواخر	الحمولة الصافي بالطن	عدد المراكب الشراعية	الحمولة بالطن صافي	الحمولة الواردة بالطن	الحمولة الصادرة بالطن	المجموع بالطن
١٩٤٤	١٢٠	١٩٤,١٠٩	٩	٦٠٩	٨٤,٤٥٠	٦١,٧٨٧	١٤٦,٢٣٧
سنة أشهر							
١٩٤٥	١٤٨	٢١٤,٢٢١	١٤	١,٢٤٨	١٨٣,٤٢٩	٣٨,٩٤٠	٢٢٢,٣٦٩
١٩٤٦	١٢٩	٢١٨,٣٠١	٢٥	١,٣٠٦	١٠١,٨٦٩	٤٨,٤٣٨	١٥٠,٣٠٧
١٩٤٧	١٥١	٢٢٨,٥١٧	٢٨	١,٥٠٨	٢٥٢,٨٩٧	٤٧,٩٨١	٣٠٠,٨٧٨
١٩٤٨	١٦٨	٢٣٠,٠٠٨	٢٦	١,٣٩٨	٢٢٨,١١٩	٥١,١١٨	٢٧٩,٢٣٧
١٩٤٩	١٥٩	٢١٩,٩٨٠	٣٥	١,٦٠٥	٢٥٠,١٩٢	٤٩,١٨٩	٢٩٩,٣٨١

وبالرغم من الصعوبات الاقتصادية المختلفة ، فقد استطاعت ولاية طرابلس الغرب أن توازن ميزانيتها نظراً لجودة المحصول الزراعي في سنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ . ولم تقدم الحكومة البريطانية سوى مساعدة مالية ضئيلة .

وفيما يلي بيان بالنفقات والإيرادات خلال الفترة من سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٦

بالجنيهات الإسترلينية :

النفقات العامة الفعلية	٤٤/١٩٤٣	٤٥/١٩٤٤	٤٦/١٩٤٥	٤٧/١٩٤٦
الأبواب العادية	٩١٤٣٣٣	١٠١٣٥٢٩٠	١٠٣٥٤٨٤٤	١٠٥٧٣٩١٠
فوق العادة				
(للمشروعات الزراعية				
والتجارية والمنافع				
العامة)	١٠٧٩١١١٥	٣٠٤١٤٥٢١	٣٠٧٠٣٨٨٥	٢٠٩٠٠٠٠
	٢٠٧٠٥٤٤٨	٣٠٥٤٩٨١١	٣٠٥٨٧٢٩	٣٠٦٦٣٩١٠

الإيرادات العامة

الأبواب العادية	٥٨٥٦٩٥	١٠١٧٦٩١	٩٦٠٢٩٥	١٠٥٨٦٥٠
الضرائب غير العادية	١٠٧٤٣٢٧٥	٢٠٥٣٩٧٦٨	٢٠٧٦٨٠٥	٢٠٧٢٣٩٧٠
	٢٠٣٢٨٩٧٠	٣٠٥٥٧٤٥٩	٣٠٣٧١٠٠	٣٠٧٨٢٦٢٠

العجز المدفوع من

الخزينة البريطانية	٣٧٦٤٧٨	—	٢١٦٢٩	—
القائض	—	٧٦٤٨	—	١١٨٧١٠

الأسعار :

لتكوين فكرة عن أسعار الجملة في إقليم طرابلس أثناء سنوات الإدارة البريطانية،
نورد فيما يلي بياناً قياسيًّا بأسعار بعض السلع الرئيسية من سنة ١٩٤٦ إلى سنة ١٩٥٠،
على أساس أنها كانت في سنة ١٩٤٦ تساوى مئة : —

السلع	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠
زيت الزيتون	١٠٠	١١٠	١٢٦	١٠٠	٦٣
الشعير	١٠٠	٢٣٧	١٩٧	١٤٦	٧٨
القمح	١٠٠	١٠٠	١٦٩	٩٠	٨٢
اللحم الطازج	١٠٠	٩٨	١٠١	١٠٥	١٠٩
البيض	١٠٠	١٥٠	١٩٥	١٨٠	١١٠
الصوف المحلى الخام	١٠٠	١٠٧	١١٤	١٧١	٢٢٨
جلود الغنم	١٠٠	١١٦	١٣٩	١٥٠	١٨٣
التمر الطازج	١٠٠	٩٥	٩٤	٩٢	٩٢

التعليم:

أصاب المدارس تلف كبير من جراء الحرب ، إذ جُعل أكثرها معسكرات لإقامة الجنود ، فأتلفوا محتوياتها ، ونهب بعض أئانها ، وهكذا واجهت الادارة البريطانية مشكلة إصلاح هذه المدارس واعدادها لاستئناف الدراسة واستقبال الطلاب .

وقد تمكنت الادارة البريطانية في أواخر سنة ١٩٤٣ من افتتاح ١٠٣ مدارس ، بلغ مجموع عدد طلبتها ١٠٣٣٧ ، كما أنشئت مدرسة سان جورج البريطانية في هذا العام أيضاً ، وكان عدد طلبتها حوالى الأربعمائة . وقد زاد عدد المدارس بالتدريج حتى أصبح ١٧٣ مدرسة في سنة ١٩٤٧ ، وبلغ مجموع عدد طلبتها ٢١٣٩١ ، منهم ٢٢٤٢ من العرب ، والباقيون من الإيطاليين والقوميات الأخرى . وبالإضافة إلى عدد الطلبة العرب المسجلين في مدارس الحكومة ، كان يوجد في ذلك العام أيضاً ١٦١٨٠ طالباً عربياً يتلقون بعض الدروس الابتدائية في المدارس القرآنية (السكتاتيب) . ومن بين الصعوبات التي صادقتها إدارة المعارف في ذلك العهد ، هي مشكلة

الحصول على أساتذة مدرّبين من العرب . فاضطرت الحكومة لاستعارة إثنين من مفتشي المعارف بحكومة فلسطين لوضع برنامج مريع في علم التربية ، وإعداد المواضيع التي تدرس في ذلك البرنامج .

وفي سنة ١٩٤٤ ، أنشئت « دورة » لتخريج عدد من الأساتذة العرب في طرابلس بلغ عدد المتحقّقين بها ٧٦ طالبا ، وقد تكرّرت هذه الدورات بعد ذلك ، فالتحق في دورة العام التالي ٤٥ طالبا ، وزاد هذا العدد في سنة ١٩٤٦ حتى أصبح ١٢٩ طالبا . وقد استقدمت دائرة المعارف ، غير هؤلاء ، ١٦ مدرّسا من مصر في سنة ١٩٤٥ ، وبعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، استقدمت الإدارة البريطانية عدداً من المدرّسين الفلسطينيين العرب .

وقد أنشأت الإدارة البريطانية كذلك ، عدداً من المدارس لتعليم البنات ، بلغ مجموعها في سنة ١٩٤٨ أربعة عشر مدرسة ، وبلغ عدد طالباتها ١٤٥٩ فتاة . وفي سنة ١٩٤٧ ، شكلت الإدارة البريطانية لجنة عربية من كبار رجالات المدينة ، لاستشارتها في شئون التعليم .

ومنذ أقفلت المدرسة الإسلامية أبوابها عام ١٩٤٠ ، لم تكن في البلاد مدرسة ثانوية عربية واحدة . وقد افتتحت أول مدرسة ثانوية في عهد الإدارة البريطانية في شهر أكتوبر سنة ١٩٤٦ ، واستحضروا مديراً لها من السودان . وكان عدد الطلبة في السنة الأولى ٨١ طالبا ، وفي أكتوبر سنة ١٩٤٧ زاد عددهم إلى ١٧٠ طالبا . وفي ذلك العام ، افتتح أيضاً عدد من هذه الفصول الثانوية في أنحاء متفرقة من الولاية ، وبلغ عدد الطلاب المسجلين في هذه الفصول ٥٦ طالبا . وفي العام التالي أنشئت كلية المعلمين في سيدى المصرى لتخريج الأساتذة ، وكان أكثر المدرّسين فيها من الفلسطينيين الذين لهم خبرة سابقة في التعليم ^(١) .

(١) ولا يزالون .

وفي سنة ١٩٥١ ، افتتحت الكلية الفنية بمساعدة وكالة الأمم المتحدة ، لتعليم الطلبة شتى المهن ، بالإضافة إلى الثقافة العامة .

أما مدرسة الفنون والصناعات ، فقد احتلها البريطانيون وحولوها إلى معسكر الجنودهم ، وكان قد استلم إدارتها من الإيطاليين عند انسحابهم من طرابلس الحاج مصطفى ميزران ، فأبقاه الانجليز مديراً لهذه المدرسة ، وسمحوا لسبعة وسبعين طالباً بالبقاء فيها والاستمرار في الدراسة . وبالتدريج ، أخذت المدرسة تعود إلى حالتها الطبيعية الأولى ، فأعيدت إليها بعض الصناعات ، كطلي الأواني الخزفية ، وصناعة البلاط ، والألومنيوم ، وبعض الصناعات الجلدية ، والنقش والخياطة . ثم استلم إدارتها الأستاذ عمر محمد الباروني ، فبذل مجهودات كبيرة ، وتقدمت المدرسة في عهده تقدماً ملموساً ، حتى عادت سيرتها الأولى في أوائل العهد الإيطالي .

الخدمات الطبية :

كان في ولاية طرابلس الغرب عند الاحتلال البريطاني مستشفيان كبيران ، الأول في مدينة طرابلس ، ويحتوي على ١٢٠٠ سرير ، والآخر في مصراته ويحتوي على ١٥٠ سريراً . وكان هنالك أيضاً مستشفى كبير للسل ، يحتوي على ٥٠٠ سرير ، أقامه الإيطاليون في ضاحية « الهضبة الخضراء » للعناية بمرضى هذا الداء الويل . وبالإضافة إلى هذه ، كانت هناك مستشفيات صغيرة متفرقة ، ومستشفى للأمراض العقلية . وكان أكثر نزلاء هذا المستشفى من الإيطاليين الذين كانوا يأتون بهم من إيطاليا للعلاج .

وكان في الولاية أيضاً ٢٥ عيادة من الدرجة الأولى ، و٣٥ عيادة من الدرجة الثانية . كما كان لبلدية طرابلس عيادة خارجية خاصة ، وصيدلية . وقد أبقى الانجليز على هذه المؤسسات ، فيما عدا مستشفى السل الذي حولوه إلى مستشفى عسكري بريطاني . ولا يزال كذلك حتى الآن .

وفي سنة ١٩٤٥ ، افتتح مستشفى عربي إسلامي في الزاوية ، بني من تبرعات السكان ، ويحتوي على مائة سرير ، وقد استطاع هذا المستشفى أن يوازن بين دخله ونفقاته . وتتولى الحكومة الاشراف على إدارته الآن .

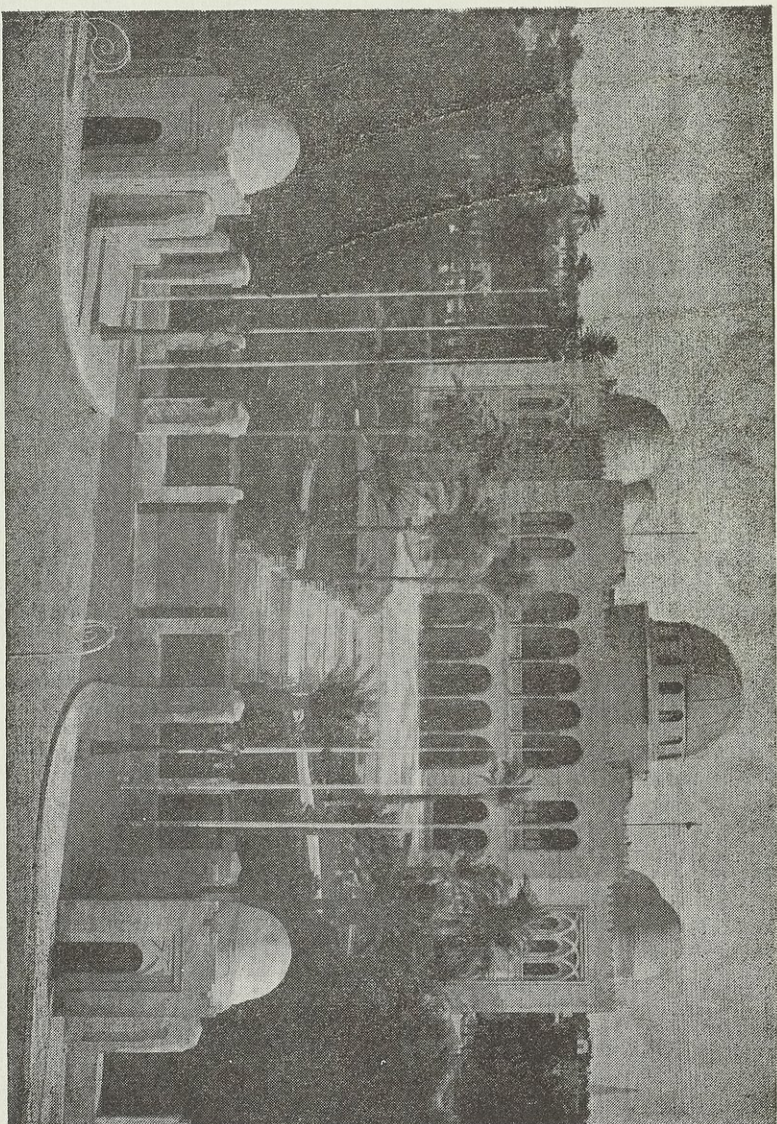
وعند دخول الانجليز هذه البلاد ، لم يكن فيها طبيب أسنان واحد ، إذ كانت الحكومة الايطالية قد استدعتهم جميعا إلى إيطاليا أثناء الحرب . وفي سنة ١٩٤٦ ، افتتح قسم لطب الأسنان في المستشفى الحكومي بمدينة طرابلس .

وكانت ميزانية الخدمات الصحية والطبية في عهد الادارة البريطانية تتراوح بين ١١٥٠٠٠ ج . استرليني ، و ١٢٥٠٠٠ ج . استرليني في العام ، أو ما يعادل ٨ ٪ من مجموع النفقات العادية في الميزانية .

ونظراً لعدم وجود أطباء أو ممرضين من العرب في البلاد ، فقد استجلبت الادارة البريطانية عدداً من الأطباء الانجليز والايطاليين من الخارج .

الحركات الوطنية والاستقلالية

ارتبطت بريطانيا بتصريح وزير خارجيتها عام ١٩٤٢ بعدم السماح بأعادة برقة إلى إيطاليا . وقد استبشر السكان بهذا التصريح وعدوا من بريطانيا بالاستقلال حالما يتم تحرير ليبيا من يد الايطاليين . غير أنه مضت عدة سنوات ولم يظهر أى اتجاه يدل على عزم بريطانيا تنفيذ وعدها ومنح البلاد الليبية استقلالها ، فنشطت الحركات الوطنية ، وأخذت تتشكل النوادي التي كانت نواة الأحزاب السياسية الوطنية فيما بعد . وكان أول ناد افتتح في طرابلس هو « النادي الأدبي » ورئيسه السيد احمد الفقيه حسن ، ثم أنشئ « نادى العمال » ورئيسه السيد الصادق بن زراع ، ونادى « النهضة » ورئيسه السيد محمود الخوجة ، ونادى « الشباب » ورئيسه السيد محمد الكريو . ثم شكل « الحزب الوطنى » ، وسكرتيره السيد الصادق بن زراع ، ثم « الجبهة الوطنية المتحدة » ، ورئيسها السيد سالم المنتصر ، ثم « الكتلة الوطنية الحرة » ورئيسها السيد على الفقيه حسن ، ثم « حزب الأحرار » ، ورئيسه السيد الصادق بن زراع ، ثم « حزب العمال » ورئيسه السيد بشير بن حمزة ، ثم « حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى » ورئيسه السيد على رجب ، ثم « حزب الاستقلال » ورئيسه السيد سالم المنتصر . وكانت هذه الأحزاب كلها متفقة على أهداف ثلاثة ، هى : الوحدة والاستقلال والانضمام إلى الجامعة العربية ، وقد زاد « حزب الأحرار » على هذه الأهداف بناداً رابعاً ، وهو المناداة بالأمير ادريس السنوسى ملكاً على جميع ليبيا . وفى هذه الأثناء ، عاد إلى طرابلس عدد من كبار المهاجرين الطرابلسيين فى الخارج ، وشكّل حزب « المؤتمر الوطنى » من بعض الأحزاب القائمة . وعلى الأثر ، قدم الزعماء مذكرة إلى الدول الأربعة السكبار (أمريكا ، وروسيا وبريطانيا وفرنسا) باسم الأمة الليبية ، يطالبونها بتنفيذ وعدها بأعطاء ليبيا حريتها واستقلالها .



قصر الخلد الفاضل — طرابلس

[تصوير جناح]

وكان من نتائج هذا الوعي القومي والتيار الوطني الجارف أن نشأت في طرابلس عدة جرائد وطنية ، نذكر من بينها جريدة « الشعلة » لصاحبها السيد احمد زارم ، وجريدة « المرصاد » لصاحبها السيد محمد قنابة ، وجريدة « الليبي » لصاحبها السيد على الديب ، و « لواء الحرية » لصاحبها السيد على رجب . وقد احتجبت كل هذه الصحف ، ثم عادت « الليبي » إلى الظهور بعد الاستقلال واحتجبت مرة أخرى ، وقد عادت إلى الظهور حديثاً جريدة « اللواء » الأسبوعية .

ولما وجدت الأمة أن مطالبها لاتلقى آذاناً صاغية من الحلفاء ، قامت في طرابلس وبرقة عدة مظاهرات صاخبة ، بلغت ذروتها يوم ٤ فبراير . ففي ذلك اليوم خرجت مظاهرة كبرى ، وقد تصادف نزول عدد من الجنود الاسرائيليين التابعين للجيش البريطاني إلى المدينة ، وأخذوا ينشدون الأناشيد اليهودية ، فثار الناس لهذا التحدى ووقعت على الأثر حوادث مؤسفة نتج عنها قتل عدد من اليهود واحراق بعض مخازنهم . فقبض البوليس على عدد من المتظاهرين وسجن من سجن وبرىء من برىء . وفي سنة ١٩٤٧ ، اجتمع وكلاء وزراء خارجية الدول الأربع في باريس لبحث مصير المستعمرات الإيطالية السابقة ومن بينها ليبيا ، وقرروا إرسال لجنة تحقيق إلى هذه البلاد . وفي يوم ٨ مارس سنة ١٩٤٨ ، وصلت هذه اللجنة إلى مدينة طرابلس وقامت بزيارة برقة ، وفزان ، وطرابلس الغرب ، واتصلت بالسكان وممثلي الأحزاب والقادة . وفي شهر يوليو من نفس العام ، قدمت اللجنة تقريرها إلى مجلس وكلاء وزراء الخارجية للدول الأربع ، ولكن هؤلاء فشلوا في الوصول إلى إتفاق بينهم في هذا الشأن ، فقرروا إحالة الموضوع إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة^(١) لتفصل فيه ، وتحددت جلسة ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٨ للنظر في الاقتراحات المقدمة من الدول المختلفة .

وفي هذه الأثناء ، كانت تدور مفاوضات سرية بين المستر بيغن وزير الخارجية

(١) بموجب أحكام الفقرة ٣ من الملحق رقم ١ لمعاهدة الصلح المعقودة مع إيطاليا سنة ١٩٤٧ .

البريطانية ، والكونت سفورزا وزير الخارجية الإيطالية ، صدر على أثرها مشروع ييفن — سفورزا ، وهو يقضى بإعطاء حق الوصاية على طرابلس الغرب إلى إيطاليا بينما تظل برقة إمارة مستقلة تحت الوصاية البريطانية ، وتبقى فزان تحت الوصاية الفرنسية . وقد لاقى هذا المشروع معارضة شديدة من جميع طبقات السكان ، وقامت مظاهرات كبيرة في جميع المدن الليبية (ويقال أن مظاهرات مدينة طرابلس وحدها سار فيها أكثر من أربعين ألف شخص أو حوالى نصف سكانها العرب) . غير أن هذه المظاهرات كانت منظمة تنظيماً دقيقاً بحيث لم ينتج عنها أى اضطراب أو إخلال بالأمن — ولكنها عبرت في نفس الوقت ، بما لا يقبل الشك ، عن تصميم الليبيين على رفض هذا المشروع ، واستعدادهم للتضحية في سبيل منع تنفيذه .

وعندما اقترب موعد اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، أرسل الشعب الليبي وفداً لحضور هذه الاجتماعات والدفاع عن وجهة النظر الليبية أمام الجمعية العمومية . فلما رفضت الجمعية في اجتماعها يوم ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ مشروع ييفن سفورزا بعد مجهودات كبيرة من الوفد الليبي ووفود الدول العربية والإسلامية — عمت البلاد موجة من الفرح الشديد ، وخرج الناس في مظاهرات كبيرة للتعبير عن ابتهاجهم بهذا القرار . وقد تحول الفرح إلى شعور طاغ بالسعادة عندما اتخذت الجمعية العمومية للأمم المتحدة يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٨ بتأييد الولايات المتحدة ، قراراً تاريخياً بأن « تصبح ليبيا المكونة من ولايات طرابلس الغرب وبرقة وفزان دولة مستقلة ذات سيادة ، على أن يصبح هذا الاستقلال نافذاً في أقرب وقت بحيث لا يتأخر ذلك بحال من الأحوال عن أول يناير سنة ١٩٥٢ » .

وعلى أثر صدور هذا القرار التاريخي الحكيم ، خرج الناس في مظاهرات سلمية للتعبير عن ابتهاجهم وامتنانهم ؛ واستمرت المظاهرات مدة أيام . وفي هذه الأثناء ، كانت برقيات التهنئة تنهال على سمو الأمير وقادة البلد من كل ناحية وصوب وأخذ الناس يتطلعون بشغف إلى ذلك اليوم الذي يتسلمون فيه مقاليد أمورهم من دولتي الحكم : بريطانيا وفرنسا ، وتصبح فيه بلادهم دولة عربية مستقلة ذات سيادة.

الفصل الثامن

ميلاد دولة

تضمن قرار الجمعية للأمم المتحدة بأن تصبح ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة في ميعاد أقصاه أول يناير سنة ١٩٥٢ ، التوصية بتعيين مندوب للأمم المتحدة في ليبيا ، يساعده مجلس مكون من عشرة أعضاء . تسميهم حكوماتهم وهي : مصر ، والباكستان ، وإيطاليا ، وبريطانيا العظمى ، وفرنسا ، ومندوب عن كل من الولايات الثلاث ، ومندوب عن الأقليات يعينه مندوب الأمم المتحدة بعد استشارة السلطات الإدارية ، والمجلس الليبي ، والزعماء البارزين ، وعضلى الأحزاب ، والهيئات السياسية في البلاد . وقد وكلت إلى هذا المجلس مهمة تحضير ليبيا للاستقلال ، وتشكيل اللجنة التأسيسية لوضع الدستور ، وتقرير نوع الحكم ، وأخيراً تسليم السلطات للحكومة الوطنية عند إعلان الاستقلال . وقد عينت الجمعية العمومية مندوباً لها المستر أدريان بلت^(١) (Adrian Pelt) ، الذى استلم مهام منصبه رسمياً يوم ١ يناير سنة ١٩٥٠ ، ووصل مقر وظيفته الجديدة فى مدينة طرابلس يوم ١٨ يناير من السنة ذاتها .

وقد بدأ المستر بلت استشاراته ومباحثاته مع المختصين حال وصوله إلى طرابلس كما قابل سمو الأمير محمد إدريس السنوسى (الملك إدريس الأول) وعددًا كبيراً من الزعماء والقادة ورجال الفكر في مختلف أقاليم البلاد الليبية . وبعد أن انتهى من هذه الاتصالات التمهيدية ، غادر المستر بلت ليبيا لمباحثة الحكومات التى يعنىها الأمر ، وكان قد كون فكرة واضحة عما يريد السكان ، ووصل فى أبحاثه إلى النقيضتين الأساسيتين التاليتين :

(١) الهولاندى .

الأولى — أن جميع الليبيين على اختلاف طبقاتهم يريدون أن يصبح السيد محمد إدريس المهدي السنوسي (أمير برقة حينئذ) ملكا على ليبيا كلها .

الثانية — ضرورة إنشاء نظام حكم اتحادى يشمل الولايات الثلاث ، لكونه النظام الوحيد الذى يلائم الأحوال السائدة فى البلاد .

وحالما بدأ المندوب والمجلس أعمالهم ، وجدوا أنفسهم أمام مشكلة هامة ، وهى طريقة تشكيل الجمعية الوطنية المنصوص عليها فى الفقرة الثالثة من قرار هيئة الأمم المتحدة . ولهذا الغرض ، قام المندوب بمشاورات استغرقت الشهور الثلاثة الأولى التالية لوصوله إلى طرابلس . وعندما فرغ منها قدم تقريره إلى المجلس بتاريخ ٤ مايو سنة ١٩٥٠ وقد ضمن المستر بلت هذا التقرير رأيه بأن تشكل لجنة تحضيرية تتألف من خمسة مندوبين عن كل ولاية ، على أن يترك اختيار ممثل ولاية طرابلس وبرقة إلى الجمعيات المحلية المنتخبة ، وتختار مندوبى ولاية فزان الجمعية التى انتخبت رئيس الإقليم وعينت الممثلين الفزانين فى مجلس الأمم المتحدة لليبيا . وكان على هذه اللجنة التحضيرية أن توصى بالطريقة التى تراها ملائمة لانتخاب الجمعية الوطنية وتكوينها ، وأن تضع مسودة لمشروع الدستور لعرضه على الجمعية الوطنية عند تشكيلها فى خريف سنة ١٩٥٠ ، لبحثه والموافقة عليه .

وكان أكثر أعضاء المجلس فى جانب الانتخابات ، غير أن مندوب الباكستان رأى أنه لا يمكن إجراء انتخابات حرة فى طرابلس الغرب ، مادامت الهيئته التشريعية والمجلس الإدارى واقعين تحت رقابة رئيس الإدارة البريطانى ، وأضاف بأن طرابلس الغرب لها تاريخ طويل قديم ، وفيها عدد من الأحزاب السياسية ، ولذا فقد اقترح اختيار المندوبين الطرابلسيين بعد استشارة زعماء هذه الأحزاب .

وقد رأى المجلس بعد ذلك أن يؤجل إصدار قراره بهذا الخصوص إلى ما بعد انتهاء زيارة الأعضاء للأقاليم الليبية والتعرف على وجهات النظر المختلفة بأنفسهم .

وبعد عودة أعضاء المجلس من رحلتهم إلى برقة وفزان ، استأنفوا بتاريخ ١٢ يونية سنة ١٩٥٠ بحث توصيات المندوب . وقد عارض مندوب طرابلس في إجراء الانتخابات لأنها قد تؤدي في تلك الظروف إلى حدوث اضطرابات في البلاد ، خصوصاً وأن قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة لم يحدد الطريقة التي يجب أن تتشكل بموجبها الجمعية الوطنية الليبية .

وقد أيد مندوبو مصر والباكستان رأى مندوب طرابلس ، وانتقدوا خطة المستر بلت للأسباب المذكورة وغيرها . وفي أثناء المناقشة ، أعلن المندوب خضوعه لوجهة نظر الزعماء الليبيين وأعضاء المجلس الذين شاركهم رأيهم في معارضة إجراء الانتخابات ، محملاً إياهم مسؤولية نتائج هذا القرار .

وفي اجتماعه بتاريخ ١٤ يونية سنة ١٩٥٠ ، رفض مجلس الأمم المتحدة لليبيا مشروع المندوب والمشروع المعدل له المقدم من مندوب الولايات المتحدة الأمريكية ، وأقر الاقتراح المقدم من مندوب الباكستان ، بتوصية مندوب الأمم المتحدة باتخاذ الإجراءات التالية :

(١) أن يطلب من سمو الأمير محمد إدريس المهدى السنوسى تقديم أسماء سبعة ممثلين عن برقة .

(٢) أن يستشار الزعماء السياسيون في طرابلس الغرب في اقتراح أسماء سبعة من الرجال البارزين في الأقليم للانضمام إلى زملائهم ممثلي برقة .

(٣) أن يطلب من رئيس الإدارة في فزان تسمية ممثلين عن فزان ، على أن يتم ذلك في وقت كاف بحيث يمكن لمندوبي الأقاليم الثلاثة أن يعقدوا أول اجتماع لهم كجمعية تأسيسية في مدينة طرابلس في تاريخ أقصاه أول يوليو سنة ١٩٥٠ ، للأغراض المذكورة في الفقرة الثالثة من قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة .

وتنفيذاً لفصيحة المجلس ، بدأ مندوب الأمم المتحدة اتصالاته في نفس اليوم .

وبعد أن تم اختيار مندوبي برقة وفزان ، أعلن المندوب أنه قد اختار في النهاية سبعة مندوبين عن طرابلس الغرب بعد الرجوع إلى القائمة التي قدمتها الأحزاب السياسية ، وأخذ في الاعتبار كفاءة المرشحين الشخصية .

وفي النهاية ، قرر المجلس بأكثرية ستة أصوات ضد صوت واحد وامتناع أربعة عن التصويت ، الموافقة على قائمة مندوبي طرابلس كما عدلت أثناء المناقشة .

لجنة الواحد والعشرين :

وفي يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٠ ، تشكلت لجنة الواحد والعشرين من سبعة أعضاء عن كل إقليم من الأقاليم الثلاثة . وعقدت هذه اللجنة أول اجتماعاتها في يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٠ ، وآخرها في يوم ٣٠ أكتوبر من نفس السنة . وفي هذه الفترة ، عقدت اللجنة ٢٢ اجتماعاً ، ووافقت على القرارات التالية :

(١) تتألف الجمعية الوطنية التأسيسية من ستمين عضواً .

(٢) تمثل الأقاليم الثلاثة في الجمعية الوطنية على قدم المساواة ، بعشرين ممثلاً عن كل إقليم .

(٣) يكون التمثيل في الجمعية الوطنية بطريق الاختيار ، على أن يراعى فيه بخصوص إقليم طرابلس وجود ممثلين عن الأحزاب العربية الوطنية ، ومن المحايدين ، ومن رجال الفكر والوطنية ، بطريقة عادلة .

(٤) يناط أمر اختيار ممثلي برقة بسمو أميرها المعظم السيد محمد إدريس السنوسي ، وأمر اختيار ممثلي فزان بسعادة أحمد (بك) سيف النصر . وأما فيما يختص بممثلي إقليم طرابلس ، فيناط بسماحة السيد أبو الأسعد العالم مفتي الديار الليبية ، على أن يقوم بعد الاتصالات والاستشارات اللازمة ، بأعداد قائمة المرشحين وعرضها

على لجنة الواحد والعشرين ، في مدة لا تتجاوز السادس والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

(٥) لا يجوز للأقليات غير الوطنية أن تشترك أو تمثل في الجمعية الوطنية ، وهذا مع وجود النية الصادقة والشعور العام بوجود تأمين كافة الحقوق المدنية والدينية والاجتماعية لجميع الأقليات والأجانب في دستور ليبيا المقبل .

(٦) تعقد الجمعية الوطنية أول اجتماع لها في مدينة طرابلس يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، ولها أن تعقد جلسات أيضا في أى مكان آخر .

* * *

ويتبين مما سبق ذكره ، أن لجنة الواحد والعشرين ، المشكلة بموجب اقتراح مندوب الباكستان الذى وافق عليه مجلس الأمم المتحدة لليبيا ، قد نجحت في أداء الغرض الذى شكلت من أجله ، وأصبحت حجر الزاوية الذى بنى عليه تطور ليبيا الدستورى فيما بعد .

وبتاريخ ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٠ ، قدم المستر بلت أثناء حضوره الجلسة السادسة للجمعية العمومية للأمم المتحدة في ليك سكسس ، للنظر في تقريره السنوى الأول عن المسألة الليبية ، تقريراً إضافياً يشمل على نص القرارات التى اتخذتها لجنة الواحد والعشرين بتاريخ ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

وبعد مناقشة هذين التقريرين ، وأخذها في الاعتبار تشكيل لجنة الواحد والعشرين وقراراتها ، أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها التاريخى الثانى ، وذلك يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، وبموجبه تنصح الجمعية العمومية بما يلى : —

(١) قيام جمعية وطنية تأسيسية تمثل الشعب الليبي في أقرب وقت ممكن ، على أن لا يتأخر ذلك في أى حال من الأحوال عن أول يناير سنة ١٩٥١ .

(٢) أن تنشئ هذه الجمعية حكومة مؤقتة لليبيا في أقرب فرصة ممكنة ، على أن لا يتأخر ذلك عن أول أبريل سنة ١٩٥١ .

(٣) أن تقوم دولتا الادارة بنقل السلطات تدريجيا إلى الحكومة المؤقتة ، بحيث يتم تسليم هذه السلطات نهائيا إلى الحكومة الليبية المنتخبة انتخابا صحيحا في موعد أقصاه أول يناير سنة ١٩٥٢ .

وقد قدمت مصر أثناء بحث مشروع هذا القرار ، وقبل موافقة الجمعية عليه ، اقتراحا بمعدل الفقرة الأولى بحيث تقرأ : « قيام جمعية وطنية تأسيسية منتخبة الخ » بدلا من « قيام جمعية وطنية تأسيسية تمثل الشعب الليبي » . وكان القصد من هذا التعديل معارضة مبدأ المساواة بين الأقاليم في عدد أعضاء الجمعية الوطنية ، وأيضا معارضة طريقة الاختيار التي قررتها لجنة الواحد والعشرين . إلا أن هذا التعديل المصرى رفض بأكثرية الأصوات . وبذلك تشكلت الجمعية الوطنية التأسيسية بناء على قرار الجمعية العمومية المذكور ، والخطوة التي رسمتها لجنة الواحد والعشرين .

أعمال الجمعية الوطنية الليبية :

وعلى أثر تشكيل الجمعية الوطنية المؤلفة من ستين عضواً ، منهم عشرون عضواً من أقاليم ليبيا الثلاث ، اجتمعت لأول مرة في مدينة طرابلس بتاريخ ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، برئاسة أكبر أعضائها سناً ، سماحة مفتي الديار الليبية .

وفي جلستها الثانية المنعقدة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، قررت الجمعية الوطنية تأليف لجنة فرعية من اثني عشر عضواً لوضع لائحتها الداخلية . وكانت الأقاليم الليبية الثلاث ممثلة في هذه اللجنة الفرعية بالتساوي . وفي الثاني من ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، وافقت الجمعية الوطنية على مشروع اللائحة الداخلية الذي أعدته اللجنة الفرعية المذكورة ، وانتخبت الجمعية أعضاء مكتبها . وقد نصت اللائحة الداخلية ، من بين ما نصت عليه ، على أن تكون قرارات الجمعية الوطنية ، بأغلبية ثلثي الأعضاء

الحاضرين في الجلسة والمشاركين في التصويت . وقد أوصى مستشار المندوب القانوني الذي حضر جلسات اللجنة الفرعية بأن تتخذ القرارات بأغلبية مجردة ، غير أن هذه التوصية تغلبت عليها اعتبارات سياسية في اللجنة الفرعية ، وفي الجمعية الوطنية . وقد تقرر أيضاً أن يتكون العدد القانوني من ثلثي أعضاء الجمعية الوطنية .

وقد انتخب سماحة مفتي الديار الليبية رئيساً للجمعية الوطنية التأسيسية ، وجرى أيضاً انتخاب نائبين للرئيس ، أحدهما يمثل برقة ، والثاني يمثل فزان (١) .

وبعد الانتهاء من عمليات الانتخاب ، قررت الجمعية ، في الثاني من ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، أن تنظر أولاً في مسألة شكل الدولة الليبية المقبلة . واقترح أحد ممثلي فزان ، (السيد محمد عثمان وزير الصحة الحالي) أن يكون شكل الدولة اتحادياً . وقد أيد ذلك الاقتراح أعضاء آخرون ، وقال بعضهم أنه إذا كان من العسير في الظروف الحالية انشاء دولة موحدة ، فإن النظام الاتحادي إنما هو بمثابة « الخطوة الأولى » نحو ذلك الهدف في المستقبل القريب . واعترض أحد الأعضاء الطرابلسيين على ذلك الاقتراح ، مؤكداً أن انشاء دولة موحدة يتفق مع مصالح ليبيا ، وأن وجود تلك الولايات المستقلة اقتصادياً سيضعف الاقتصاد الليبي بوجه عام . وأيده في ذلك أحد زملائه الطرابلسيين ، ولكنهما لم يصرا على هذه النقطة عندما عارضها معظم أعضاء الجمعية الوطنية .

وعندئذ وافقت الجمعية الوطنية الليبية بالإجماع وسط هتاف أعضائها على اختيار الشكل الاتحادي للدولة الليبية .

ثم انتقلت الجمعية الوطنية بعد ذلك إلى مناقشة شكل الحكومة المقبلة ، وقررت ، بناء على اقتراح أحد الأعضاء الطرابلسيين ، أن تكون ليبيا دولة ملكية ، وأن يكون

(١) هما حضرتي السيدين عمر فائق شنيب (برقة) رئيس الديوان الملكي العاصر حالياً ، والشيخ المحترم أبو بكر بن أحمد ابوبكر (فزان) .

ملكها سمو الأمير محمد إدريس السنوسي وقد اتخذ هذا القرار بالإجماع وسط هتاف أعضاء الجمعية وتصفيقهم ، وقررت الجمعية أن تنقل هذا القرار إلى سموه ، وأن تخبره بأنها تعتبر ملكا ابتداء من ذلك التاريخ .

وفيما يلي نص هذا القرار التاريخي :

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم . فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .

نحن ممثلي شعب ليبيا من برقة وطرابلس وفزان ، المجتمعين في طرابلس الغرب في جمعية وطنية تأسيسية بإرادة الله .

والمزودين بالصلاحيات الكاملة المعترف بصحتها واستيفائها الشكل القانوني ، والعازمين على تأليف اتحاد بيننا وتكوين دولة اتحادية ديمقراطية مستقلة وذات سيادة ، نظام الحكم فيها ملكي دستوري .

نستهل عملنا بحمد الله وشكره على ما قد من علينا من نعمة في تحرير بلادنا واستقلالها .

واننا ، اعترافاً بإخلاص صاحب السمو محمد إدريس المهدي السنوسي أمير برقة المعظم وجهاده الطويل المثمر لخير ليبيا وشعبها ، وتحقيقاً لرغبة الشعب العامة ،

وإقراراً للبيعات الشرعية السابقة التي صدرت من ممثلي الشعب الشرعيين لسموه ، وحرصاً على سعادة بلادنا واتحادها تحت تاج ملك تجدد فيه الممثل الأعلى للصفات التي يتطلبها هذا المنصب السامي ،

فأننا

ننادي بسمو الأمير السيد محمد إدريس المهدي السنوسي أمير برقة المعظم ، ونبايعه ملكاً دستورياً للمملكة الليبية المتحدة ، ونرجو من جلالته أن يتفضل ويقبل ذلك .

وأخيراً

قررنا انتقال الجمعية الوطنية التأسيسية بكامل هيئتها إلى بنغازي لرفع هذا القرار التاريخي لجلالة الملك المعظم ، وتلقى قبول جلالته لهذه البيعة .
طرابلس الغرب ، في يوم السبت ٢٢ صفر الخير سنة ١٣٧٠ هجرية ، الموافق ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ .

* * *

ثم ناقشت الجمعية الوطنية بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٥٠ مسألة العلم الليبي ، ووافقت على أن يكون مؤلفاً من اللون الأحمر والأسود والأخضر ، يتوسطه نجم أبيض وهلال من اللون نفسه . وفي نفس اليوم شكلت « لجنة الدستور » من ستة أعضاء عن كل إقليم .

وبتاريخ ٧ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، قرأ رئيس الجمعية رسالة من سمو الأمير رداً على الدعوة التي وجهت إليه بقبول عرش المملكة الليبية المتحدة . وقد قبل الأمير الدعوة ، ولكنه فضل تأجيل إعلان قبولها إلى أن تنتهي الإجراءات السياسية والدستورية والإدارية التي تمكنه فعلاً من ممارسة سلطاته الملكية . فأصبح يعرف بالملك العتيد .

وبتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٥١ ، اتخذت الجمعية الوطنية قراراً التمس فيه من الملك العتيد أن يختار أعضاء الحكومتين المحليتين المؤقتتين في طرابلس وفزان ، وأن يطلب إلى الدولتين القائمتين بالإدارة أن تمكنهما من تسلم سلطاتهم وممارستها كإجراء مبدئي لتأسيس الدولة الليبية الاتحادية في التاريخ المحدد ، وفقاً لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة . فأعرب الملك العتيد عن موافقته على هذا الإجراء .

وكان أمر إنشاء حكومة وطنية في طرابلس على غرار الحكومة البرقاوية قد بحث في محادثات غير رسمية دارت بين المندوب والحكومة البريطانية في شهرى ديسمبر سنة ١٩٥٠ ويناير سنة ١٩٥١ . وبتاريخ ٥ مارس قُدم إلى المجلس الإدارى

لولاية طرابلس الاعلان الخاص بنقل السلطات بعد موافقة الحكومة البريطانية على محتوياته ، وأصبح رئيس الإدارة البريطانية يعرف منذ اليوم التالى باسم (المقيم البريطانى) . وفى يوم ٨ مارس ، أبلغ المقيم البريطانى مندوب الأمم المتحدة بأنه قد عين فى ذلك اليوم (مجلس وصاية) لطرابلس الغرب مؤلفا من خمسة أعضاء ، وقد زيد هذا العدد بعد ذلك إلى ست . وقد سلمت إلى هذا المجلس بعض سلطات الإدارة البريطانية السابقة ، ولكنها كانت أقل مما طالب به مندوب الأمم المتحدة ، فبعث بخطابين فى ١٠ و ١٨ أبريل على التوالى لكل من المقيم البريطانى فى طرابلس والمعتمد الفرنسى فى فزان ، أكد فيهما الآراء التى سبق أن أبداهما ، وطلب أن تقام فى المستقبل فرصة مراعاة تنفيذ آرائه مراعاة عملية دقيقة .

وفى الرابع والعشرين من مارس سنة ١٩٥١ ، قررت الجمعية الوطنية تأليف لجنة مكونة من ثلاثة أعضاء ، واحد عن كل إقليم ، برئاسة رئيس الجمعية ، المذهب إلى بنغازى ومباحثة الملك العتيد بشأن تأليف حكومة مؤقتة قبل أول أبريل (وهو آخر تاريخ حددته الجمعية العامة فى القرار السابق ذكره) .

وبتاريخ ٢٩ مارس اجتمعت الجمعية مرة أخرى ، وبحث تقرير اللجنة الثلاثية ثم اتخذت بالإجماع قراراً بتأليف حكومة اتحادية مؤقتة . وفيما يلى نص هذا القرار بعد الديباجة :-

تقرر الجمعية الوطنية ما هو آت :

(١) تأليف الحكومة الاتحادية المؤقتة اعتباراً من هذا اليوم ٢١ جمادى الثانية سنة ١٣٧٠ هـ ، الموافق ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ ، على أن يكون من صلاحياتها الأولى :-

(أ) الاتصال بمندوب الأمم المتحدة بشأن إعداد البرنامج المنصوص عليه فى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، بخصوص نقل السلطات اليها من الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة فى ليبيا .

(ب) تسلم السلطات من الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة في ليبيا تدريجياً بطريقة تضمن نقل جميع السلطات من أيدي الإدارتين الحاليتين قبل أول يناير سنة ١٩٥٢ ، طبقا لقرار الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة الصادر بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ ، على أن تكون ممارسة تلك السلطات وفقا لنصوص الدستور ، وبصورة خاصة فيما يتعلق بتوزيع السلطات بين الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية ، عند تقرير ذلك من قبل الجمعية الوطنية .

(٢) تعيين السادة المدرجة أسماؤهم أدناه ، بعد أن أخذت موافقتهم ، في مناصب الدولة على الصورة الآتية : —

السيد محمود المنتصر	— رئيساً للوزارة ووزيراً للعدل والمعارف
السيد علي الجربي	— وزيراً للخارجية والصحة
السيد عمر شنيب	— وزيراً للدفاع
السيد منصور قداره	— وزيراً للمالية
السيد إبراهيم بن شعبان	— وزيراً للمواصلات
السيد محمد عثمان	— وزير دولة

(٣) على سماحة رئيس الجمعية الوطنية تبليغ هذا القرار للجهات المختصة .
وقد عادت الجمعية الوطنية فاتخذت قراراً آخر بتاريخ ١٧ أبريل سنة ١٩٥١ ، عدلت بموجبه توزيع الوزارات ، بحيث أصبح وزير الخارجية مسؤولاً عن وزارة العدل ، ووزير الدولة السابق مسؤولاً عن وزارة الصحة . ولم تدخل تعديلات أخرى على مناصب الحكومة بعد ذلك .

وقد تقاطرت رسائل التهنئة بعد تأليف الحكومة الاتحادية المؤقتة من الملك العتيد ومن حكومات المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا ، ومن رئيس الجمعية العامة وسكرتير عام الأمم المتحدة ، ورئيس وزراء برقة . وقد عبر مندوب الأمم

المتحدة في ليبيا عن ارتياحه الخاص ، كما اقترح على رئيس الوزارة أن تشترك الحكومة المؤقتة في أعمال لجنة التنسيق الخاصة برسم خطة نقل السلطات ، من النواحي الإدارية والمالية .

إصدار الدستور الليبي :

أتمت لجنة الدستور عملها ، وأرسلت مشروع الدستور الجديد للمملكة الليبية إلى الجمعية الوطنية التأسيسية . وفي يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، بدأت الجمعية الوطنية بدراسة مواد الدستور تمهيداً لإصداره . وبتاريخ ١٧ سبتمبر ، أبلغ رئيس الجمعية الوطنية الجمعية بأنه تلقى رسالة من الملك العتيد يدعو فيها أعضاء الجمعية الوطنية إلى الاجتماع في بنغازي لمناقشة الدستور وإقراره . فقررت الجمعية الوطنية بالإجماع إرسال وفد إلى بنغازي لرفع نص مشروع الدستور إلى الملك العتيد ، وكلفت ذلك الوفد بإبلاغ الملك العتيد أن الجمعية الوطنية قررت بالإجماع أن تعقد جلساتها المقبلة في بنغازي لكي تبحث مشروع الدستور المعروض عليها وإقراره ، إذا وجدته ملائماً .

ووفقاً لهذا القرار ، انتقلت الجمعية الوطنية إلى بنغازي حيث عقدت جلسة علنية يوم السبت الموافق ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، وعقدت الجمعية آخر جلساتها يوم ٧ أكتوبر سنة ١٩٥١ . وفي هذه الجلسة ، صدر الدستور موقعاً عليه من رئيس الجمعية التأسيسية ونائبيه^(١) .

(١) تنص المادة (٥) من الدستور الليبي على أن الإسلام دين الدولة . ونصت المادة ٤٠ على أن السيادة للأمة والأمة مصدر السلطات . ونصت المادة (٦٠) على أن الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه وهم المسؤولون . ونصت المواد (١٤٣ - ١٥٨) على تشكيل محكمة اتحادية العليا للفصل في المنازعات الدستورية التي تنشأ بين الحكومة الاتحادية وولاية أو أكثر ، أو بين ولايتين أو أكثر . ونصت المادة (١٨٦) على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة . ونصت المادة (١٨٨) على أن للمملكة الليبية المنحدة عاصمتان هما طرابلس وبنغازي . ونصت المادة (٢٠٧) على أن يعين الملك جميع أعضاء مجلس الفيوخ الأول ، وتكون مدته أربع سنوات اعتباراً من تاريخ انعقاد مجلس الأمة الأول ، وذلك بالرغم من أحكام المادتين ٩٥ و٩٨ من الدستور .

إنشاء لجنة التنسيق وأعمالها :

أُنشئت « لجنة التنسيق » بموجب الفقرة (٣) من القرار رقم ٣٨٧ (٥) الذي يتضمن قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة في أن يشرع مندوب الأمم المتحدة حالا، مستعينا ومسترشداً بمشورة أعضاء مجلس الأمم المتحدة لليبيا ، في وضع برنامج بالتعاون مع الدولتين القامتين بأعمال الإدارة ، لنقل السلطات بطريقة تضمن نقل جميع السلطات التي تمارسها هاتان الدولتان الآن إلى الحكومة الليبية المؤلفة تأليفاً صحيحاً ، قبل أول يناير سنة ١٩٥٢ .

وقد اجتمعت لجنة التنسيق لأول مرة في مدينة طرابلس يوم ٨ فبراير سنة ١٩٥١ ، وكانت مؤلفة من ثمانية أعضاء وهم : المندوب ، وممثلا الدولتين القامتين بالإدارة في أقاليم ليبيا الثلاث ، والمستشار القانوني للدارتين البريطانيتين في ليبيا ، وممثلين من الإدارات الإقليمية الثلاث . وبعد أن تألفت الحكومة الليبية المؤقتة يوم ٢٩ مارس سنة ١٩٥١ ، مثلت هي الأخرى في لجنة التنسيق بواسطة رئيس الوزراء أو وزير المالية ، ثم استعانت هذه اللجنة بثلاثة من أعضاء الجمعية الوطنية ، كمستشارين .

وقد كان على هذه اللجنة أن تعالج مشاكل معقدة ، ناتجة عن توزيع السلطات بين الحكومات المحلية ودوائى الإدارة . ففي أول سبتمبر سنة ١٩٥١ ، كانت وظائف الحكم في أقاليم ليبيا الثلاث ، التي ظلت حتى ذلك التاريخ منفصلة ، تمارسها سلطات مختلفة ، لا يقل عددها عن ست . ففي برقة ، ومنذ أن صدر في ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٩ الإعلان رقم ١٨٧ الخاص بنقل السلطات في برقة ، خولت السلطات الإدارية والتنفيذية والتشريعية ، فيما يختص بالمسائل الداخلية ، للحكومة البرقاوية التي أُنشئت بمقتضى الدستور الذى أصدره سمو الأمير في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٩ . وقد احتفظت

المملكة المتحدة بالسلطات الأخرى بوصفها الدولة القائمة بأعمال الإدارة ، وكان يمارسها المعتمد البريطاني .

وفي إقليم طرابلس ، نقلت السلطات التنفيذية والتشريعية فيما يختص بالمسائل الداخلية إلى « مجلس الوصاية » بمقتضى الإعلان رقم ٢١٩ الصادر في ٥ مارس سنة ١٩٥١ بشأن نقل السلطات في إقليم طرابلس ، وهو الإعلان الذى أنشئ بمقتضاه ذلك المجلس . وقد احتفظت المملكة المتحدة بالسلطات الأخرى بوصفها الدولة القائمة بأعمال الإدارة ، وكان يمارسها المعتمد البريطاني .

وفي فزان ، جعل نظام الحكم الانتقالى الذى أنشئ بموجب القرار رقم (٣) الصادر في ١٢ فبراير سنة ١٩٥٠ (الذى حل محله القرار رقم ٥ الصادر في ٢٩ مارس سنة ١٩٥١) عدة موضوعات متعلقة بالسياسة الداخلية والإدارة الداخلية من إختصاص حكومة فزان المؤلفة برئاسة رئيس الأقليم . وقد احتفظت فرنسا بالسلطات الأخرى بوصفها الدولة القائمة بأعمال الإدارة ، وكان يمارسها المعتمد الفرنسى .

ولذا ، كانت الاختصاصات الواجب نقلها إلى الحكومة الاتحادية موزعة في بادئ الأمر على جميع هذه السلطات . ولهذا السبب ، كان يتعين ، فضلاً عن نقل السلطات من الدولتين القائمتين بأعمال الإدارة إلى الحكومة المؤقتة وفقاً للقرار رقم ٣٨٧ المذكور ، أن تنقل سلطات معينة من الحكومات الإقليمية إلى الحكومة الليبية المؤقتة . وكان يجب أن يتم ذلك قبل يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، أو في أى تاريخ سابق قد يقرر لإعلان استقلال ليبيا .

وقد بدئ في مباشرة نقل السلطات إلى الحكومة الليبية المؤقتة يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٥١ ، بعد أن تمت الموافقة على البرنامج المعد لذلك من قبل أعضاء لجنة التنسيق ، وفقاً للأحكام الدستورية المتعلقة باختصاص الحكومة الاتحادية ، وحكومات الولايات ، التى قررتها الجمعية الوطنية .

وفي ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، أصدر المعتمد البريطاني في طرابلس الغرب المنشور رقم (٢٢٠) الخاص بنقل السلطات (رقم ١) ، كما صدرت منشورات مماثلة في بنغازي وسبها ، بعد إجراء التعديلات اللازمة فيها .

أما المنشور رقم ٢٢٠ ، فقد خول حكومة ليبيا المؤقتة حق إصدار قانون وتنفيذه ، بشأن إيجاد عملة ليبية . ونص المنشور رقم ٢٢١ على أن الحكومة الليبية المؤقتة قد نقلت إليها سلطة عقد اتفاقات مالية مع الدولتين القامتين بالإدارة ، حتى يتسنى نقل سلطات أخرى ، واتخاذ أى إجراء تنفيذى أو تشريعى يكون لازماً لتنفيذ مثل هذه الاتفاقات .

وفي ١٣ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، أصدرت الحكومة المؤقتة قانون العملة . وفي هذه الأثناء ، قدمت لجنة التنسيق « توصيات » إلى الحكومة المؤقتة ، بشأن التنظيم الأولى للحكومة الليبية الاتحادية وميزانياتها العادية الأولى . وقد اشتملت هذه التوصيات على الأبواب التالية : —

الجزء الأول — التنظيم الإدارى والميزانية العادية للحكومة الليبية لعام ١٩٥٢ .

التوصية رقم ١ — الاقتصاد فى المصروفات .

التوصية رقم ٢ — عدد الوزارات والوزراء (أوصت اللجنة بأن يكون عدد الوزارات ثمانى ، وأن يتولى ستة وزراء هذه الوزارات الثمانى) .

التوصية رقم ٣ — توزيع الوزارات على الوزراء .

التوصية رقم ٤ — عدم عمل الوزراء الاتحاديين فى خدمة الولايات .

التوصية رقم ٥ — مرتبات الوزراء (أوصت اللجنة بأن يكون مرتب رئيس الوزراء ٢٠٠٠ ج استرلينى فى السنة ، وأن يكون مرتب الوزير ١٦٠٠ جنيفاً فى السنة ، بغض النظر عن عدد الوزارات التى يتولاها) .

التوصية رقم ٦ — السكرتيرون الخصوصيون للوزراء .

» » ٧ — بدل التمثيل للوزراء والاعتماد الحكومى للضيافة .

» » ٨ — بدل السفر للوزراء .

» » ٩ — سيارات رسمية للوزراء .

» » ١٠ — نفقات مكاتب الوزراء .

» » ١١ — استخدام أخصائيين للعمل فى الحكومة .

» » ١٢ — مرتبات الموظفين المدنيين .

» » ١٣ — مكتب رئيس الوزراء (أوصت اللجنة بأن يتكون المكتب

من مستشار للرئيس ، ومديراً للمكتب ، وسكرتارية لمجلس الوزراء ، وأربعة مصالح
هى : مكتب الشؤون البرلمانية ، ومكتب الموظفين ، ومكتب لشئون الإدارة الاتحادية ،
ومكتب للصحافة والأنباء) .

التوصية رقم ١٤ — وزارة المواصلات .

» » ١٥ — وزارة الدفاع .

» » ١٦ — وزارة المالية والاقتصاد (أوصت اللجنة بأن يكون هنالك

مستشار مالى واقتصادى للوزير ، كما أوصت بأن تكون لهذه الوزارة ثلاث مصالح
هى : مصلحة الخزينة الاتحادية ، ومصلحة العملة وشئون المصارف ، ومصلحة العمل
والأحوال الاجتماعية) .

التوصية رقم ١٧ — وزارة الخارجية (أوصت اللجنة بأن يكون للوزارة أربعة

أقسام وهى : القسم الدبلوماسى ، وقسم جوازات السفر والمهاجرة ، وقسم المراسيم
(البروتوكول) ، وقسم المحفوظات . كما أوصت بعدم تعيين ممثلين دبلوماسيين فى
الخارج فى الوقت الحاضر) .

التوصية رقم ١٨ — وزارة الصحة والمعارف .

» » ١٩ — وزارة العدل .

» » ٢٠ — المخصصات الملكية . (اقترحت اللجنة أن تبلغ المخصصات

الملكية ٧٥,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً) .

التوصية رقم ٢١ — تكاليف الحكومة الاتحادية ، والمبالغ التي ستساهم بها

الحكومة الاتحادية في ميزانيات الأقاليم .

(أوصت اللجنة بأن تتحمل الحكومات الإقليمية ، أى الولايات ، تكاليف

الحكومة الاتحادية بنسبة ٦٠ ٪ لطرابلس ، و ٣٠ ٪ لبرقة ، و ١٠ ٪ لقران) .

التوصية رقم ٢٢ — تقديرات ميزانية عام ١٩٥٢ .

الجزء الثانى — التنظيم الإدارى ، والميزانية العادية للحكومة الليبية المؤقتة عن

المدة الواقعة بين سبتمبر وديسمبر سنة ١٩٥١ .

التوصية رقم ٢٣ — تعيين مدير المستخدمين .

» » ٢٤ — إبتداء عمل مجلس الوزراء الإتحادى فى أول سبتمبر سنة ١٩٥١ .

» » ٢٥ — إنشاء الوزارات .

(أوصت اللجنة بأن يتم إنشاء كل من مكتب رئيس الوزراء ووزارات المالية

والمواصلات والصحة والمعارف والعدل فى أقرب وقت خلال شهر سبتمبر ، وتنظيم

الخارجية ابتداء من شهر أكتوبر ، حتى نستطيع أن تباشروا وظائفها فى شهر ديسمبر .

وأن لا يحل اليوم الأول من شهر ديسمبر إلا ويكون قد تم تنظيم وزارة الدفاع) .

التوصية رقم ٢٦ — استخدام الموظفين لمكتب رئيس الوزراء .

التوصيات من رقم ٢٧ إلى ٣٢ — توصيات استخدام الوزارات المختلفة .

التوصية رقم ٣٣ — ميزانية المدة المتبقية من عام ١٩٥١ .

» ٣٤ — وضع التقديرات .

» ٣٥ — تقدير المصروفات (قدرت اللجنة مجموع المصروفات عن

شهر سبتمبر إلى ديسمبر بمبلغ ٦٣٦٠٠ جنهما) .

التوصية رقم ٣٦ — النفقات التي يجب أن تتحملها إدارة الولايات .

وقد حضرت لجنة التنسيق كذلك ، مشاريع القوانين التالية :

١ — مشروع قانون الخدمة المدنية (وملحق به جدول درجات الموظفين

ورواتهم) .

٢ — مشروع قانون صندوق الإدخار .

٣ — مشروع صيغة عقد استخدام الأخصائيين في الحكومة الليبية .

نقل السلطات الأخيرة :

بدأت المفاوضات الخاصة بالاتفاقات المالية في شهر سبتمبر ، وانتهت في شهر ديسمبر . فعقد اتفاق مؤقت مع المملكة المتحدة في طرابلس الغرب في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وعقد اتفاق مؤقت آخر مع فرنسا بتاريخ ١٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وبموجب الاتفاق الأول تعهدت الحكومة البريطانية بتقديم تغطية مقدارها مئة بالمثل من الأسترليني للأصدار الأولى من العملة الليبية ، وفقاً لترتيبات مقبولة لدى الحكومتين ، كما تعهدت بريطانيا بأن تقدم مساعدة مالية للحكومة ليبيا بمبلغ يعادل في مقداره أى عجز في ميزانيات الحكومة الليبية وإدارات الولايات مجتمعة ، بشرط أن تطلب الحكومة الليبية مثل هذه المساعدة ، وأن تكون الميزانية قد وضعت بحكمة واقتصاد .

وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، أصدر المعتمد البريطاني فى إقليم طرابلس الإعلان رقم ٢٢٢ ، (نقل السلطات رقم ٣) لنقل مجموعة السلطات التالية للحكومة الليبية المؤقتة : -

- ١ - الأرصاد الجوية .
 - ٢ - البريد والتلغراف والاتصال اللاسلكى والإذاعة الاتحادية وغير ذلك من وسائل الاتصال .
 - ٣ - الطرق الاتحادية .
 - ٤ - إنشاء السكك الحديدية ومراقبتها .
 - ٥ - فرض الضرائب اللازمة لسدّ مصروفات الحكومة الاتحادية المؤقتة ، بعد التشاور مع الولايات .
 - ٦ - البنك الاتحادى .
 - ٧ - مالية الاتحاد والدين العام .
 - ٨ - الكامبيو والبورصات .
 - ٩ - العمل بعد التشاور مع الولايات على تشجيع الإنتاج الزراعى والصناعى والنشاط التجارى ، وضمان الحصول على المواد الغذائية اللازمة للبلاد .
 - ١٠ - نقل السلطات التشريعية التالية للحكومة الاتحادية، مع إعطاء السلطة التنفيذية المتعلقة بتنفيذ تلك المشروعات إلى إدارة الولاية فى طرابلس الغرب .
- (أ) نظام الشركات .
- (ب) ضريبة الدخل .
- (ج) الإحتكارات والإمتيازات .

(د) الثروات الموجودة في باطن الأرض والتعدين .

(هـ) نزع الملكية .

(و) شئون العمال والضمان الاجتماعي .

(ز) البنوك .

(ح) تنظيم الاستيراد والتصدير .

وقد صدر إعلان مماثل بنفس التاريخ في بنغازي بخصوص ولاية برقة ، وآخر في سبها بخصوص فزان .

وبهذه الأعلانات وما سبقها ، نقلت جميع السلطات تقريبا إلى الحكومة الليبية المؤقتة ، أو إدارات الأقاليم ، فيما عدا السلطات الخاصة بالشئون الخارجية والدفاع .
وبتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، صدر أمر ملكي ، عن قصر بكنجهم ، بإنهاء الإدارة البريطانية في اقليمي طرابلس الغرب و برقة ، هذا نصه :

أمر ملكي لسنة ١٩٥١ لإنهاء الإدارة البريطانية

في اقليمي طرابلس الغرب و برقة

صدر في قصر بكنجهم في ٤ ديسمبر ١٩٥١

بمحضر جلالة الملك وأعضاء المجلس الخاص

حيث أنه بناء على أمر المجلس المؤرخ ٤ مارس سنة ١٩٤٩ بعنوان أمر المجلس الخاص بصاحب الجلالة البريطانية الخاص ببرقة وطرابلس سنة ١٩٤٩ (إنهاء الإدارة) (وسيشار اليه فيما يلي « بالأمر الرئيسي ») قد نص على ممارسة سلطة جلالتهم في كل من اقليمي برقة وطرابلس بواسطة « والي » يعينه لذلك الغرض وزير خارجية جلالة الملك ويكون والي مستولا لديه .

وحيث أن الأمر الرئيسى قد صار تعديله فى تطبيقه على برقة بأمر من المجلس تاريخه ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٩ بعنوان أمر المجلس الخاص بصاحب الجلالة البريطانية الخاص ببرقة وطرابلس سنة ١٩٤٩ (تعديل) (إدارة) .

وحيث أن الأمر الرئيسى قد صار تعديله فى تطبيقه على طرابلس بأمر من المجلس تاريخه ٢٧ فبراير سنة ١٩٥١ بعنوان أمر المجلس الخاص بصاحب الجلالة ، الخاص ببرقة وطرابلس سنة ١٩٥١ (تعديل) (إدارة) ، وحيث أنه قد نص ضمن أشياء أخرى فى التعديلين الصادرين بأمر المجلس المذكورين أننا بتغيير لقب الواليين فى برقة وطرابلس على التوالى بلقب المعتمد البريطانى .

وحيث أن القرارين الصادرين من الجمعية العمومية للامم المتحدة بتاريخ ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ و ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ على التوالى قد نص فيهما بأن ليبيا المؤلفة من برقة وطرابلس وفزان ستصير دولة مستقلة ذات سيادة عند آتمام الاجراءات المعينة بالقرارين المذكورين لكي يصير استقلال ليبيا نافذا .

وحيث أن كافة تلك الاجراءات ستتم قريباً ، لذلك فإن جلالة الملك بممارسته لكافة السلطات فى هذا الشأن ، يسره أن يأمر بمقتضى هذا ، بعد مشورة مجلسه الخاص ، بما يأتى :

(١) يسعى هذا الأمر « أمر المجلس الخاص لصاحب الجلالة البريطانية الخاص ببرقة وطرابلس لسنة ١٩٥١ — إنهاء الإدارة » .

(٣) أن القرار التفسيرى لسنة ١٨٨٩ ينطبق على تفسير هذا الأمر ، كما ينطبق على تفسير قرار البرلمان .

إمضاء : ف . ج . فرناو

وفى الساعات المبكرة من صباح يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، نقل المعتمدان

البريطانيان والمقيم الفرنسي إلى الحكومة الليبية المؤقتة مجموعة السلطات الباقية ، حسب قرار لجنة التنسيق ، وبذلك تم نقل جميع السلطات إلى الحكومة الاتحادية .

إعلان الاستقلال :

بعد اتمام عملية نقل السلطات ، وصدر الأمر الملكي البريطاني بأنهاء سلطة جلالة ملك بريطانيا العظمى في إقليمى طرابلس وبرقة ، والأعلان الصادر في فزان بإلغاء جميع السلطات التي كانت لحكومة فرنسا في ذلك الأقليم ، أصبح السبيل ممهداً لإعلان إستقلال ليبيا بصفة رسمية . فقد خولت للحكومة الليبية المؤقتة السلطة التامة لممارسة جميع وظائف الحكم في ليبيا كلها ، بدون تحفظات من الدوليين القائمين بالأدارة سابقاً . وقد أقرت الجمعية الوطنية الدستور الذي أصبح سارى المفعول يوم إعلان الأستقلال نفسه . وبذلك أتمت الجمعية الوطنية مهمتها يوم الأستقلال ، وانفضت وفقاً لقراراتها . وبدأت الأستعدادات لأجراء الأنتخابات العامه الأولى لمجلس النواب . وكان قد انقضى على الحكومة المؤقتة تسعة أشهر منذ تأليفها ، وأمكن تدبير المال اللازم لمواجهة نفقات الحكومة الليبية .

وفي الساعة العاشرة والدقيقة الثلاثين من صباح يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، أعلن الملك إدريس الأول بصفة رسمية في قصر المنار العامر ، بحضور رئيس وزراء الحكومة المؤقتة ووزرائها ، ومندوب الأمم المتحدة في ليبيا ، وممثلين دبلوماسيين لدول أجنبية ، وأعيان من الأقاليم الثلاثة ، أن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة . وأعلن الملك في الوقت نفسه ، أن الدستور الذي أصدرته الجمعية الوطنية في ٧ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، قد أصبح سارى المفعول من ذلك اليوم ، وأنه سيحكم البلاد بطريقة دستورية حقة ، وفقاً لأحكام الدستور . وفيما يلي نص إعلان الأستقلال الذي أصدره الملك إدريس الأول في ذلك اليوم التاريخي المشهود :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى شعبنا الكريم :

يسرنا أن نعلن للأمة الليبية الكريمة أنه نتيجة الجهادنا ، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٩ ، قد تحقق بعون الله استقلال بلادنا العزيزة ، وإنا لنبتهل إلى المولى عز وجل ، بأخلص الشكر وأجمل الحمد على نعمائه ، ونوجه إلى الأمة الليبية أخلص التهاني بمناسبة هذا الحادث التاريخي السعيد . ونعلن رسمياً بأن ليبيا منذ اليوم أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، ونتخذ لنفسنا من الآن فصاعداً ، نزولاً على قرار الجمعية الوطنية الليبية الصادر في ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، لقب جلالة ملك المملكة الليبية المتحدة .

ونشعر أيضاً بأعظم الاغتياب لبداية العمل منذ الآن بدستور البلاد كما وضعته وأصدرته الجمعية الوطنية في ٦ من محرم سنة ١٣٧١ هجرية ، الموافق ٧ من أكتوبر سنة ١٩٥١ ميلادية . وأنه لمن أعز أمانينا كما نعرفون ، أن تحيا البلاد حياة دستورية صحيحة ، وسنمارس من اليوم سلطاتنا وفقاً لأحكام هذا الدستور .

ونحن نعاهد الله والوطن في هذه الفترة الخطيرة التي تحتازها البلاد أن نبذل كل جهدنا بما يعود بالمصلحة والرفاهية لشعبنا الكريم ، حتى تتحقق أهدافنا السامية ، وتنبوأ بلادنا العزيزة السكان اللائق بها بين الأمم الحرة . وعلينا جميعاً أن نحفظ بما قد اكتسبناه بثمن غال ، وأن ننقله بكل حرص وأمانة إلى أجيالنا القادمة ، وأننا في هذه الساعة المباركة ، نذكر أبطالنا ، ونستمطر شأيب الرحمة والرضوان على أرواح شهدائنا الأبرار ، ونحيي العلم المقدس رمز الجهاد والاتحاد وتراث الأجداد ، راجين أن يكون العهد الجديد الذي يبدأ اليوم ، عهد خير وسلام للبلاد ، ونطلب من الله أن يعيننا على ذلك ، ويمنحنا التوفيق والسداد ، إنه خير معين .

صدر بقصر المنار العامر في } ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٧١ هجرية .
} ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١

الرئيس

وعلى أثر الإعلان الملكي للاستقلال ، تفضل الملك المعظم باستقبال رئيس وزراء الحكومة الليبية المؤقتة ، السيد محمود المنتصر ، الذى قدم اليه استقالته من منصبه . فقبلها ، وكلفه بتأليف وزارة جديدة. وبعد ذلك ، قدم رئيس الوزراء إلى الملك قائمة بأسماء الوزراء الجدد ، والوزارات التى يتولونها . فصدرت مراسيم تأليف الوزارة الأولى فى عهد الاستقلال على الوجه التالى :^(١)

السيد محمود المنتصر	:	رئيس الوزراء ووزير الخارجية
السيد فتحى الكيخيا	:	نائب الرئيس ووزير العدل والمعارف
السيد منصور بن قداره	:	وزير المالية والاقتصاد
السيد على أسعد الجربى	:	وزير الدفاع
السيد ابراهيم بن شعبان	:	وزير المواصلات
السيد محمد بن عثمان	:	وزير الصحة

وفى اليوم نفسه ، أصدر الملك إدريس الأول مراسيم ملكية بتعيين ولاية للأقاليم الليبية الثلاثة ، على النحو التالى :

السيد محمد الساقزلى	:	ولاية برقة
السيد فاضل بن زكرى	:	ولاية طرابلس الغرب
السيد احمد سيف النصر	:	ولاية فزان

وفى اليوم نفسه أيضاً ، حولت حكومات الأقاليم الثلاثة إلى «ولايات» ، وأصبح يرأس المصالح المختلفة فيها موظفون كبار يعرفون « بالنظار » بدلا من « الوزراء » ، إذ أصبحت هذه التسمية الأخيرة مقصورة على أعضاء الوزارة الاتحادية . ولكل ولاية ، بمقتضى الدستور ، أن تضع قانونها الأساسى الخاص ، وتصدره فى خلال سنة

(١) عدلت الوزارة فيما بعد بتعيين السيد محمد الساقزلى وزيرا للمعارف ، وإلغاء لقب نائب رئيس الوزراء ، كما عين السيد حسين مازق واليا لبرقة .

واحدة من تاريخ صدور الدستور الليبي . كما جعلت لكل من الحكومة الاتحادية والولايات اختصاصات محددة ، فصلها الدستور في المواد ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ وفي مساء يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، استقبل رئيس الوزراء ووزير الخارجية على أثر عودته إلى مدينة طرابلس ، مندوب الأمم المتحدة في ليبيا ، والممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة ، ورجال السلكين الدبلوماسي والفنصلي ، وسلم رئيس الوزراء إلى المندوب رسالة تتضمن إشعاراً رسمياً بأن ليبيا أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، وطلب فيها إلى المندوب أن يبلغ رئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة إعلان استقلال ليبيا . وسلم الرئيس أيضاً إلى الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة ، طلبات ليبيا الخاصة بالاشتراك في عضوية كل من هيئة الأمم المتحدة ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، ومنظمة التربية والعلوم والثقافة ، ومنظمة الصحة العالمية ، كما وقع رئيس الوزراء ، بصفته وزيراً للخارجية ، والممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة ، اتفاقاً أساسياً وأربع اتفاقات إضافية ، خاصة بتقديم المساعدة الفنية لليبيا .

وقد احتفلت البلاد الليبية في ذلك اليوم احتفالاً يليق بهذه المناسبة التاريخية السعيدة ، وأعلن يوم ٢٤ ديسمبر عطلة رسمية .

الانتخابات النيابية :

وبعد صدور قانون الانتخابات ، الذي سبق أن أقرته الجمعية الوطنية التأسيسية وتحدد بموجبه يوم ١٩ فبراير للاقتراع العام ، أخذت الأحزاب والهيئات تستعد لخوض أول معركة نيابية في البلاد الليبية ، وقد جرت الانتخابات في جو صاحب ، وأسفرت في النهاية عن فوز جبهة الحكومة بأغلبية كبيرة .^(١)

(١) يتألف مجلس النواب من ٥٥ عضواً (على أساس نائب واحد عن كل عشرين الفا) . ويتألف مجلس الشيوخ من ٢٤ عضواً ، بالتساوي بين الولايات الثلاث ، وبين الملك نصف الأعضاء ، وتقوم مجالس الولايات التشريعية بانتخاب الباقين .

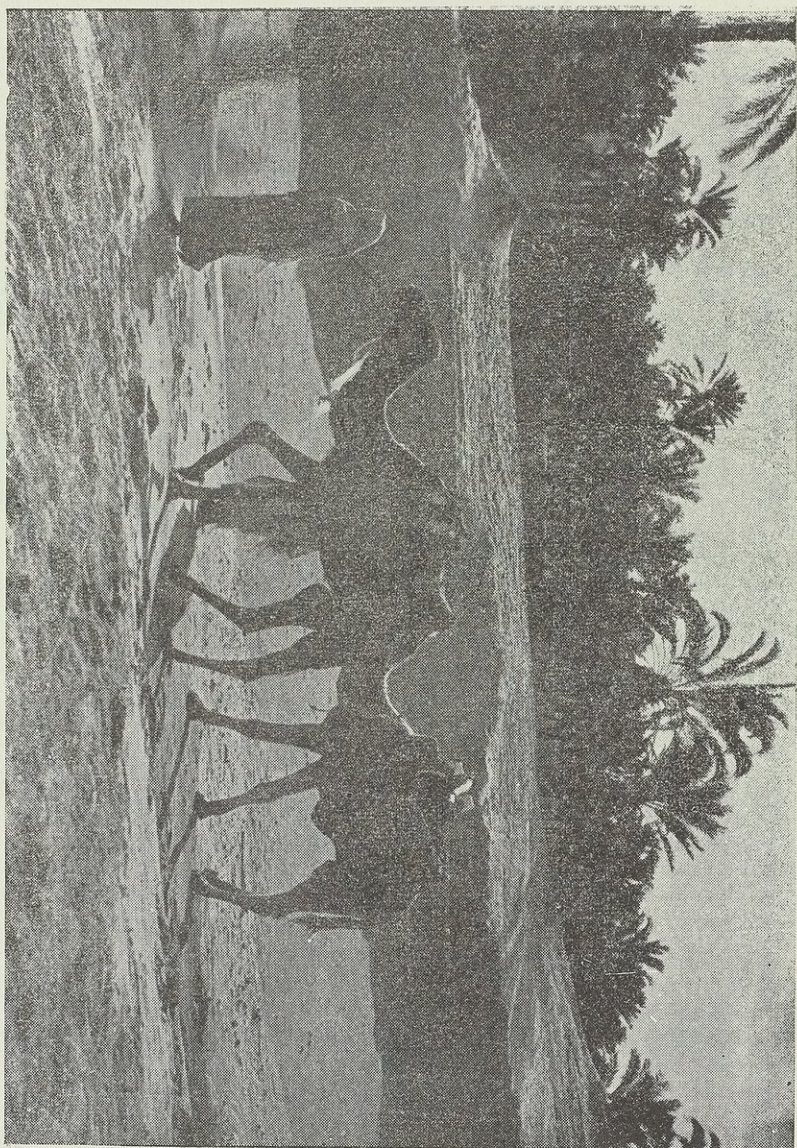
وفي يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٥٢ ، افتتح أول برلمان ليبي بحضور الملك إدريس الأول في مدينة بنغازي ، والقي السيد محمود المنتصر ، رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، أول خطاب عرش في عهد الاستقلال .

وهكذا ولدت الدولة الجديدة ، التي أصبحت تعرف بالدولة العربية الثامنة ، ونكملت جهود الشعب الليبي بذلك الختام السعيد .

القسم الثاني



الحاضرة



[نهرير جناح]

منظر في إحدى الواحات

الفصل الأول

الوصف الجغرافي ، السكان ، الأقليات الأجنبية

طرابلس الغرب هي كبرى الولايات الثلاث التي تتألف منها المملكة الليبية المتحدة من حيث عدد السكان ، وأصغرهن من حيث الاتساع . إذ لا تزيد مساحتها على ٢٥٠.٠٠٠ كيلو متر مربع ، بينما تبلغ مساحة فزان ٨٠٠.٠٠٠ كيلو متر مربع ، ومساحة برقة ٧٠٠.٠٠٠ كيلو متر مربع . وهي واقعة بين إقليم برقة شرقاً ، وتونس وصحراء الجزائر غرباً ، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وفزان جنوباً . وأكثر مساحتها صحارى رملية مجدبة ، ولا تزيد مساحة الأراضي الزراعية فيها على ٢ بالمئة من مساحتها الإجمالية .

ولو تجولنا بالطائرة فوق أراضي طرابلس الغرب ، لاستطعنا أن نرى سلسلة من الواحات المتقطعة على طول الساحل بين زوارة في الغرب ، ومصراته الواقعة عند الرأس الشمالى الغربى من خليج سرت . ويمتد وراء هذه السلسلة سهل مثلث الشكل تقريباً ، مساحته حوالى ١٨.٠٠٠ كيلو متراً مربعاً ، ويعرف بسهل الجفارة . وتحيط بهذا السهل سلسلة من الجبال الصخرية يطلق على مجموعها اسم « الجبل »^(١) ، وتشمل جبال نفوسة ، وغريان ، وترهونة ، ومصراته . وخلف هذه السلسلة الجبلية تبدأ منطقة الصحارى الواسعة المعروفة بالصحراء الحمراء .

أما منطقة الواحات ، فيبلغ طولها حوالى ٣٢٥ كيلو متراً ، ويقل عرضها في أغلب المواقع عن عشرة كيلو مترات . وهذه المنطقة هي أخصب مناطق الأقليم ،

(١) تمتد هذه السلسلة من فالوت على الحدود التونسية حتى القصبات ، على بعد ٣٢ كيلومتراً جنوب غربى مدينة الخمس . وبتراوح ارتفاعها بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ قدم .

ولذا كانت أغزرها سكاناً ، وفيها تقوم المدن الرئيسية ، التي أشهرها بحسب الترتيب من الشرق إلى الغرب : سرت ، مصراته ، زليطن ، الخمس ، تاجوراء ، سوق الجمعة ، طرابلس ، الزاوية ، صرمان ، صبراتة وزوارة .

ويبلغ طول الساحل الطرابلسي حوالى ٨٢٠ كيلومتراً ، وشواطئه فى الغالب صخرية ومياهه ضحلة ، ولذا كان لا يصلح ، باستثناء ميناء طرابلس ، إلا لرسو المراكب الساحلية الصغيرة .

ومما تجدر ملاحظته هنا ، موقع إقليم طرابلس بالنسبة إلى باقى الأقاليم الأخرى . فالطرف الشرقى من طرابلس الغرب منفصل عن الطرف الغربى للمنطقة البرقاوية بمساحة من الصحراء وشبه الصحراء طولها ٦٥٠ كيلومتراً ، وتعرف بـصحراء سرت . وتبعد زوارة (آخر مدينة فى طرابلس باتجاه الغرب) عن الحدود التونسية مسافة ٢٠٠ كيلومتر تقريباً . وتقع أقرب واحات فزان على مسافة ٤٥٠ كيلومتراً جنوبى مدينة طرابلس ، عبر نجد جاف متقطع .

من ذلك يقين للقارئ أن قصة الحياة فى طرابلس الغرب هى قصة الكفاح بين الإنسان والطبيعة ، فحيثما وجد الماء وجدت الحياة ، وحيثما شح الماء أو فقد ، فهناك الرمال الحارقة التى لا تترك للحياة فوقها إلا الأثر الضئيل .

التربة والأمطار :

تغطى مناطق الزراعة فى طرابلس الغرب طبقة من التربة الرملية الحمراء ، أو التربة الرملية المزوجة بالصلصال . وتختفى هذه الطبقة فى الجزء الغربى القاحل . وتتألف الأرض ، تحت هذه الطبقة ، من صخور طباشيرية عليها طبقة من الحجر الجيري الأبيض . وتنتشر كثبان الرمال الحمراء على مساحات كبيرة . وتسبب هذه الكثبان بعض المشاكل بسبب ميلها إلى الزحف بفعل الرياح والعوامل الطبيعية .

فتطغى أحياناً على منطقة السهول وتغرق أعمال الزراعة والإنشاء . وللتغلب على هذه المشاكل ، عمدت الحكومة الإيطالية أثناء الاحتلال إلى غرس أشجار الغابات في بعض المناطق المهددة ، وما زالت أعمال الغرس هذه مستمرة الآن .

ومع أن سقوط الأمطار قليل عادة في منطقة الجبل ، إلا أن الأودية والسواحل تنال في السنوات العادية قسطاً مناسباً منها . وقد فشلت حتى الآن جميع المحاولات لجمع مياه الأمطار في سدود أو خزانات ، وما زالت تجرى المحاولات لضبط المياه والاستفادة منها زراعياً بقدر الإمكان .

ويتوقف توزيع سقوط الأمطار على وصول الرياح الشمالية الغربية الحاملة للأمطار إلى السواحل البحرية ومنطقة الجبال . وقد بلغ أعلى متوسط لسقوط المطر في العام ١٦ بوصة في مدينة طرابلس وضواحيها ، بينما يتراوح هذا المعدل بين ١٢ بوصة في غريان ، و ٧ بوصات في بعض الواحات الساحلية . وهذه الأمطار تسقط عادة في شهور الشتاء من أكتوبر إلى مارس ، ويندر سقوطها فيما وراء منطقة الجبل حتى ينعدم بالكلية كلما توغلنا جنوباً .

أما الجليد ، فغير معروف في المناطق الساحلية برمتها . إلا أن المعدل الأدنى للحرارة بلغ في غريان خلال شهرى ديسمبر ويناير ٧° و ١٥° سنشتراد بالتتالي .

أن أهم خصائص المناخ في طرابلس الغرب هو عدم الإستقرار وسرعة التقلب ، ويبدو هذا الأثر واضحاً في إضطراب سقوط الأمطار وسوء توزيعها . إذ بينما تدل الأحصائيات على أن معدل سقوط المطر في مكان ما هو ١٥ بوصة في العام ، فإن هذه الأرقام تدل كذلك على أن هذه الكمية كلها ، أو الجزء الأكبر منها ، قد سقط في أيام معدودة أو في شهر واحد ، بينما تحتاج الزراعة ، كما هو معلوم ، إلى الأمطار في شهور متفاوتة . فهي لازمة في الخريف لطرح البذور ، كما أنها ضرورية في الربيع لنضج الثمار . وقد حدث أن تعاقبت سنوات من الجذب على طرابلس مما يجعل

الاعتماد على المطر وحده في الزراعة من أشق الأمور . ولذا كان من حسن الحظ أن موارد المياه الجوفية وافرة نوعاً ما في إقليم طرابلس . ففي المناطق الساحلية يمكن الوصول إلى الماء على عمق يتراوح بين ١٥ و ٥٠ قدماً من سطح الأرض ، وكما توغل الإنسان في داخلية البلاد إرتفع سطح الأرض بمتوسط انحدار مقداره ١/١٥٠ ، وانخفضت طبقة المياه تبعاً لذلك بنفس النسبة .

ويوجد في الجبل عدد لا بأس به من الينابيع الصغيرة ، كما أن المياه الجوفية موجودة في بضعة أماكن ، ولكن على أعماق تتراوح ما بين ١٥٠ و ٢٥٠ قدماً .

المناخ :

يشبه مناخ القسم الشمالى من إقليم طرابلس الغرب مناخ حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهو جميل في العادة ، ولكنه كثير التقلب بسبب هبوب الرياح المفاجيء . فقد يحدث أن يكون الجو أدفاً أحياناً في الليل منه في الظهر ، كما أن درجة الحرارة قد تتذبذب عدة مرات بين الصعود والهبوط في اليوم الواحد . وتتراوح درجة الحرارة في السنوات العادية بين ٣٠° و ١١٥° فهرنهايت ، إلا أن حالات استثنائية قد سجلت منذ عهد قريب . فقد بلغت درجة الحرارة في الظل مرة ١٣٦° فهرنهايت ، وهي أعلى درجة للحرارة في الظل سجلت في العالم . ومن جهة أخرى ، فقد سقطت في بعض المواقع ثلوج بلغ ارتفاعها عشرون قدماً ، أدت إلى خسائر كبيرة في الأرواح .

ونظراً لقربها من الصحراء ، فإن رياحا حارة لافحة تهب صيفاً على المناطق الشمالية من طرابلس ، حاملة الرمال أحياناً ، وتدعى بالرياح القبلية أو « القبلى » . فإذا استمر هبوب هذه الرياح بضعة أيام — كما يحدث في بعض السنين — سببت خسائر فادحة في المحصول الزراعى ، ومضايقات شديدة للأهلين .

وتختلف نسب الرطوبة باختلاف المناطق والفصول . وتبلغ نسبة الرطوبة

ذروتها في فصل الشتاء ، إذ تصل إلى ٧٥ بالمائة في مدينة طرابلس خلال شهر فبراير ، و٥٦ بالمائة في غريان خلال شهر ديسمبر . أما في أشهر الصيف ، فمعدل نسبة الرطوبة في مدينة طرابلس ٥٧ بالمائة ، ويرتفع هذا المعدل إلى ٦٨ بالمائة في شهر سبتمبر . وقد سجلت حديثاً حالات استثنائية في نسب الرطوبة ، إذ بلغت في بعض أشهر الصيف من السنوات الأخيرة ٩٤ بالمائة .^(١)

الموارد المعدنية :

لم يثبت بعد وجود معادن من أى نوع في إقليم طرابلس الغرب . والمعروف أن معدن البوتاس موجود في « سيدا » الواقعة في القسم الغربى من الأقليم ، ولكن لم تبذل حتى الآن أية محاولة لاستخراجه . ويعتقد بعض الخبراء بوجود الحديد الخام في هذا الأقليم أيضاً ، ولكن هذا رأى لم تثبت صحته بعد .

وقد طلبت بعض شركات البترول العالمية السماح لها بالبحث عن البترول في أراضى طرابلس وبرقة ، وإلى أن تباشر الشركات أعمال التنقيب لا يمكن التكهن بالنتائج .

السكان

تدل أحدث الأرقام الرسمية على أن عدد سكان طرابلس الغرب يبلغ حوالى ٧٧٠.٠٠٠ نسمة ، وهذا الرقم مأخوذ من سجلات التموين والسجلات الانتخابية ، أما آخر إحصاء رسمى عام فقد جرى سنة ١٩٣٦ ، زمن الاحتلال الإيطالى .

وسكان طرابلس الغرب الحاليون هم مزيج من سلالات مختلفة ، أهمها السكان الأصليون الوارد ذكرهم في فصل سابق من هذا الكتاب ، وهم المعروفون في

(١) راجع الجداول في آخر الكتاب .

التاريخ باسم « الليبيين » أو « البربر » ؛ والعرب ، وهم الذين دخلوا البلاد بموجتين متعاقبتين في القرنين السابع والحادي عشر للميلاد . وتأثير العرب على أشده في المناطق الساحلية والشرقية ، ويقل في الجنوب والغرب ، حيث توجد إلى اليوم جماعة من البربر في العقيلة ومرادة ومنطقة « الجبل » كغريان وزوارة ويفرن ونالوت ، وقد احتفظوا بلغتهم الأصلية وعاداتهم القديمة ^(١) ، كما أنهم ينتمون إلى مذهب إسلامي قائم بذاته ، هو مذهب الأباضية ^(٢) ، بينما ينتمى معظم العرب إلى مذهب المالكية .

وهناك ، بخلاف العرب والبربر ، سلالات أخرى استقرت في هذه البلاد واعتنقت الدين الإسلامي ، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من السكان . وإلى القارىء موجزاً عن كل منها :

(١) يقول ابن خلدون إن البربر من عرب اليمن نزحوا إلى المغرب قبل الفتح الإسلامي . ويقول الفيلسوف أمين الريحاني في كتابه « المغرب الأقصى » أن أصل لفظة البربر لأفريق ، إذ أخذت من لفظة بربارى العربية عن فرفاروس (Vervaros) ومعناها « اللفظ المشترك بين اللفظ وبين نطق الألتغ » ثم صار اليونان يطلقونها على كل من تكلم بلغة غيراتهم . وقد أطلقها الرومان على كل من لم يخضع لسلطانهم من الأمم .

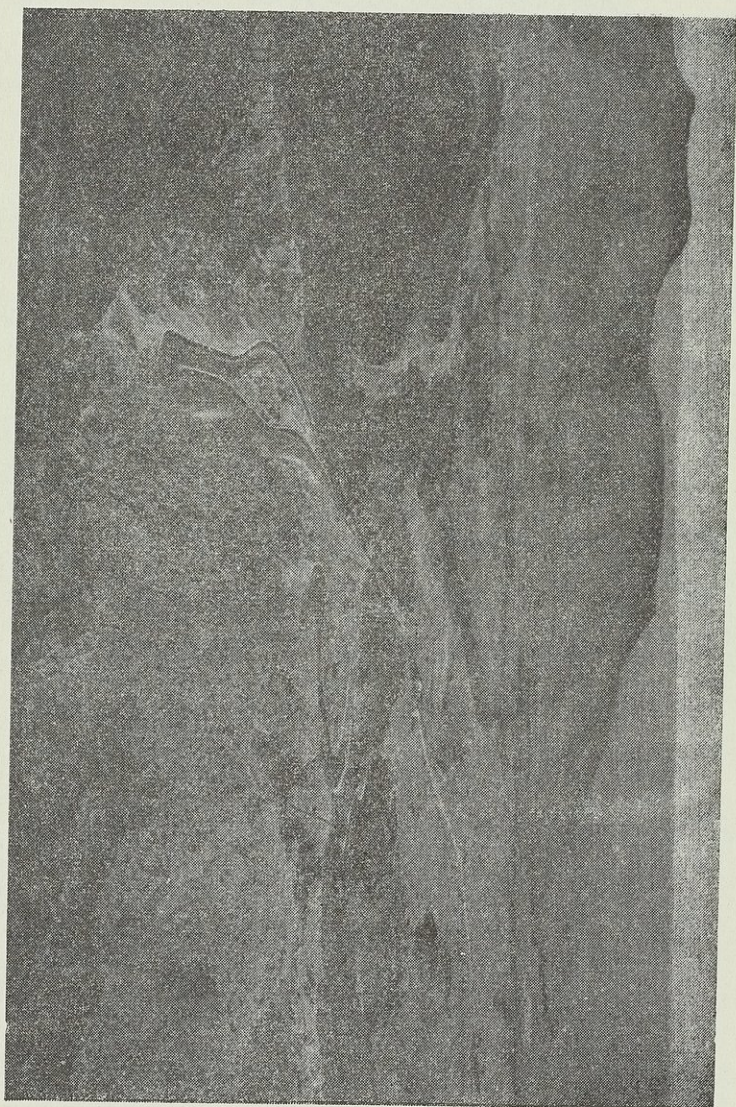
« والذي يبدو لنا أن الأفريق ، وقد وصلوا إلى هذه السواحل قبل تأسيس قرطاجنة ، أطلقوها على أهل البلاد لأنهم كانوا « يفررون » أى « يبررون » أو كما نقول نحن اليوم يترانون بالأعجمية ، وأطلقها عليهم الرومان لأنهم حاربهم ، وتعردوا على سلطتهم ، وحاولوا غير مرة التخلص منها ، فقالوا لأنهم برابرة ، من البربر » . ١ هـ

غير أنى لا أرى هذا الرأى — ولعل الأمر قد التيسر على فيلسوف أفريقية ، فاختلطت عليه الكلماتان « Berber » وهى التى تطلق على سكان شمال إفريقيا القدماء والبربر « Barbarian » التى أطلقها الرومان على قبائل الجرمان والفاندال وغيرهم ، وكانوا يقصدون منها تحقير هذه الشعوب وازدراءها .

وأول من شهر كلمة البربر من المؤرخين ابن خلدون . وكانوا يعرفون قبل ذلك باسم الليبيين أو المغاربة . ويبدو أن الذى أطلق عليهم هذا اللفظ هم العرب ، لا الأفرنج ، لأن لفظهم ، فى نظر العرب ، كانت أشبه « بالبربرة » أو الرطانة الأعجمية الغير مفهومة .

(٢) نسبة إلى مؤسسه عبد الله بن إياض .

الطريق إلى غريان



الكواردغلية : وهم من نسل جنود الإنكشارية الأتراك ، وأنسابهم مختلطة بدماء عربية أو بربرية عن طريق التزاوج . وقد احتفظ هؤلاء بصفاتهم المميزة وطابعهم الخاص أثناء اخم التركي للبلاد ، وكان أبناؤهم يشكلون الجزء الأكبر من رجال الأمن والجيش .

وتعيش اليوم جماعات منهم في مدن طرابلس ، والزاوية ، وجنزور ، ومصراته وغريان ، إلا أنه يصعب أن تميز اليوم بينهم وبين العرب ، فقد اقتبسوا العادات والطبائع العربية بكاملها ، كما أن دينهم هو الإسلام .

الشراكسة : يربو عددهم على الألفي نسمة ، وهم يعيشون في مصراته وضواحيها ، وينقسمون إلى قبيلتين : شرقية وغربية . ولا تعرف صلتهم بالشعب الشرقي القوقازي ، كما إن تاريخ دخولهم هذه البلاد غير معروف أيضاً . وقد سمعت من يقول أنهم من بقايا ممالك مصر ، فروا إلى هذه البلاد عبر الصحراء الغربية عقب مذبحة القلعة المشهورة ، ولكنني لا أميل إلى تصديق هذه الرواية .

ولا يختلف الشراكسة اليوم عن سائر السكان في شيء ، فعاداتهم عربية محلية ، وكذلك لغتهم ، كما أن دينهم هو الإسلام .

المرابطون : يزعم بعض المؤرخين أن إسمهم يشتق من كلمة « الرباط » ومعناها الحصن ، دلالة على أن المرابطين كانوا يقيمون في الحصون التي أنشأها العرب على طول السواحل الإفريقية^(١) . ويقول أصحاب هذا الرأي أن المرابطين من نسل عربي ، جاءوا إلى البلاد مع الفتح الإسلامي ثم امتزجوا بالبربر ، السكان الأصليين ، وكانت توكل إليهم مسؤولية الحراسة والدفاع عن الحصون الأمامية . وبالتدريج ، حولوا حصونهم إلى زوايا للعبادة ، وانصرفوا بكليتهم نحو الروحانيات وعبادة الله .

(١) وقد وجدت بقايا حصون المرابطين أيضا في إسبانيا وجنوب فرنسا والسواحل الغربية الإيطالية ، وقد تكون دولة المرابطين التي قامت في إسبانيا في أواخر العصر الإسلامي في الأندلس من هؤلاء .

ويقول آخرون ، أنهم من سلالة عربية — بربرية ، جاءوا في الأصل من « الساقية الحمراء » في جنوبي مراکش ^(١) ، واستقروا في أنحاء متفرقة من الساحل الأفريقي الشمالى ، وكل جماعة منهم تزعم أنها تنسب إلى أحد الأولياء الصالحين . ويزعم آخرون أنهم من مزيج من السلالات العربية والإغريقية والبربرية ، لا يعرف تاريخ تكوينهم بالضبط ، ولكن الذى لا شك فيه أن « المرابطين » يتمتعون باحترام خاص عند العامة ، كما إن لهم نفوذاً كبيراً على الجماهير . وقد لعبوا دوراً هاماً في تاريخ البلاد ، وما زلت تجد قبورهم ومن فوقها القباب البيضاء تلمع في أشعة الشمس في كل بقعة من طرابلس الغرب ، سواء وسط حدائق الفاكهة والنخيل ، أو خلف زقاق في مدينة أو قرية ، أو منفردة في وحدة الصحراء .

وقد أصبحت لفظة « مرابط » في طرابلس مرادفة لكلمة « ولى » في سائر البلاد العربية .

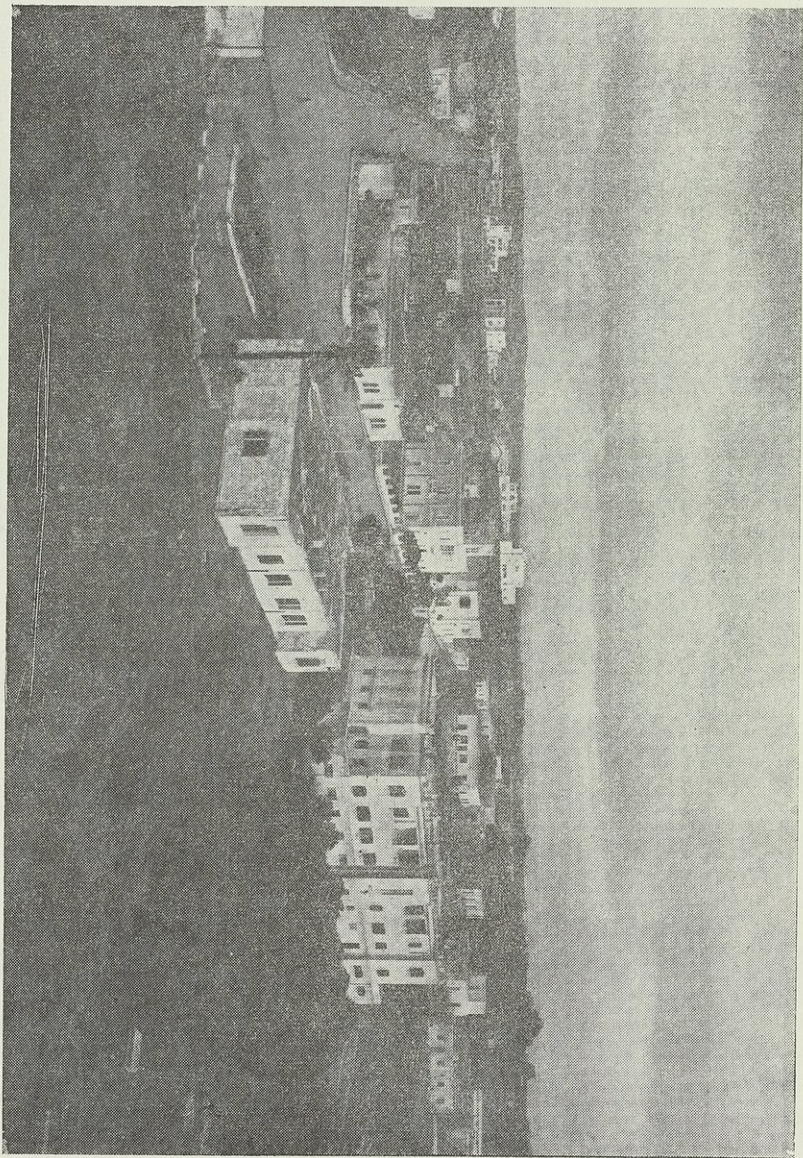
الزنوج : يعيش الجزء الأكبر منهم في « ناورغة » التي تبعد بضعة أميال إلى الجنوب من مصراته ، وأكثر هؤلاء من نسل العبيد الذين كان التجار الطرابلسيون يجلبونهم في العصور الماضية من نيجيريا ^(٢) . ويطلق عليهم الطرابلسيون لفظة « شوشان » . وقد امتزج بعض هؤلاء بالسكان ، وتكونت من هذا المزيج طبقة من المولدين . وتجد بعضهم في المدن كطرابلس وغيرها .

الأقليات :

يشكل الإيطاليون أكبر الأقليات الأجنبية في طرابلس الغرب إذ يبلغ عددهم

(١) اتفقت أكثر الآراء على أن هذا السكان لا وجود له في مراکش ، وأن المرابطين ، عندما كانوا يشيرون إلى « الساقية الحمراء » ، ربما عنوا « سواقي الدماء » التي كانت تسيل من أجسادهم أثناء الجهاد .

(٢) وليس السودان كما هو الشائع على لسان السكان .



[تصویر جناح]

مدینة غریبان

حوالى ٤٧ ألفاً . أما الإيطاليون المستوطنون فى برقة فقد رحلوا عنها عام ١٩٤٢ بناء على أوامر الجيش الايطالى ، ولم يبق منهم سوى بعض الأفراد من أعضاء الجمعيات الدينية الذين يقومون بأعمال التمريض والتعليم . وكان عدد الإيطاليين فى طرابلس زمن الحكم الإيطالى سبعون ألفاً ، تناقصوا حتى أصبح عددهم اليوم ثلثى عددهم السابق . ويحتفظ الإيطاليون بلغتهم ودينهم وثقافتهم ومدارسهم الخاصة ، وأكثر من ٥٠ بالمائة منهم يسكنون المدن حيث يؤلفون أكترية طبقة أصحاب المهن والعمال الفنيين وأصحاب الحرف وجزءاً كبيراً من طبقة التجار . ويعيش الباقون فى المؤسسات (المستعمرات) الزراعية التى أنشأتها لهم الحكومة الإيطالية إبان الاحتلال . (١)

ويلى الإيطاليون عدداً اليهود ، والأقلية اليهودية قديمة العهد فى طرابلس الغرب ، وأكثرهم من نسل المهاجرين اليهود الذين غادروا إسبانيا أثر حوادث الإضطهاد العنصرى عام ١٤٨٠ م . غير إن الهجرة إلى إسرائيل قد أنقصت عددهم من ٣٠.٠٠٠ إلى ٨.٠٠٠ خلال أربعة أعوام (١٩٤٨ - ١٩٥٢) . ويحتفظ اليهود بطابعهم الدينى والثقافى ، ولهم عاداتهم وأنديتهم ، وهم يتكلمون العربية والإيطالية ولا يستعملون العبرية إلا كلغة دينية . أما معيشتهم فخلها على التجارة ، وبعضهم من أصحاب الحرف الصناعية .

وفى طرابلس عدد قليل جداً من المالطيين واليونانيين والأرمن ، وهم يقطنون فى الغالب مدينة طرابلس ويعيشون على التجارة وأعمال السفن .

وفى مدينة طرابلس اليوم ، وبعض المدن الأخرى ، عدد من الأمريكان والانجليز وعائلاتهم ، وقد أقام الأمريكان مطاراً هائلاً فى ضاحية الملاحه ، على بعد سبعة كيلو مترات من مدينة طرابلس ، وجعلوه أشبه بمدينة أمريكية صغيرة ، ويعرف هذا

(١) راجع الفصل السادس من هذا الكتاب .

المطار باسم « ويلص فيلد » نسبة إلى أحد طياريهم المشهورين . ولعله من المفيد ، قبل أن نختتم هذا الفصل ، أن نورد وصفاً لهذا المطار لما له من أثر فعال في حياة سكان مدينة طرابلس ، بل في حياة الولاية بأسرها .

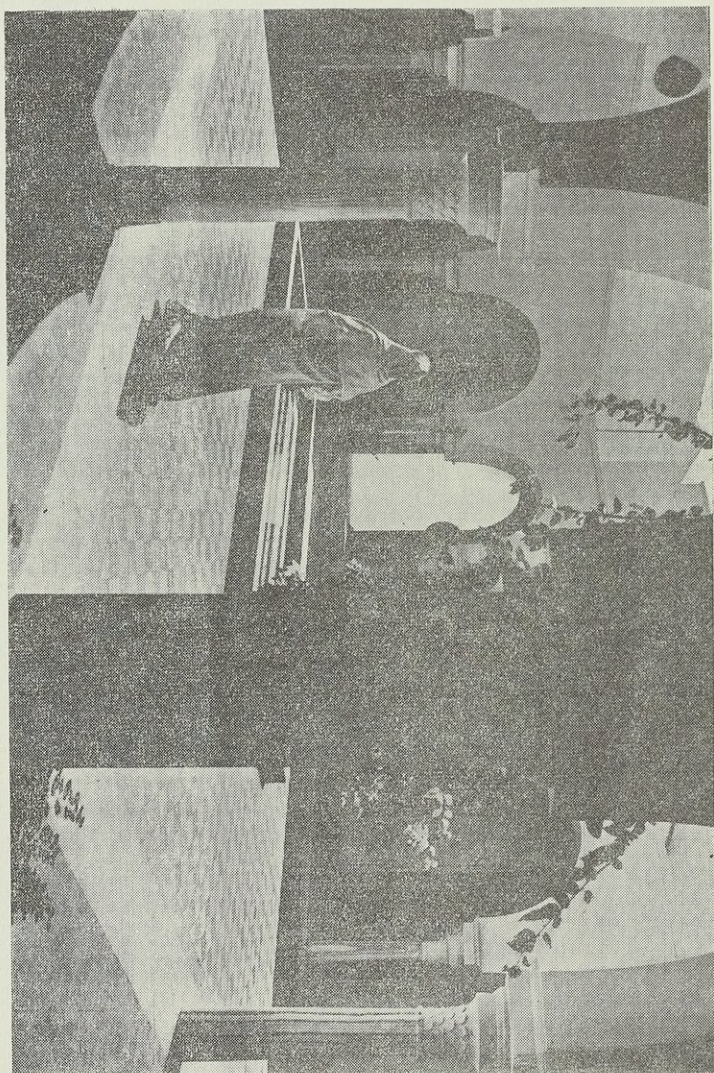
مطار الملاحة (ويلص فيلد) :

يقوم المطار وتوابعه على أرض مساحتها ٨٠٠ فدان يحاذية شاطئ البحر . وقد وقع أول اتفاق بشأنه بين السلطات البريطانية وبين القيادة الأمريكية عام ١٩٤٣ . ويقول المسؤولون الأمريكيون أنه يعتبر المطار الثالث في العالم . والمطار مجهز لاستقبال أى عدد من الطائرات ، وبالتالي يمكن أن يقوم منه أى عدد منها بدون أن يسبب ذلك أدنى ارتباك .

والمطار ليس هو كل شيء ، فإن ثكنات الضباط والجنود الأمريكيين تشغل مكاناً كبيراً من مساحة القاعدة ، كما تقوم داخله مدينة أمريكية مستقلة بذاتها ، محتوية على عدد من المباني والقيلات العصرية ، وقد فرشت بأحدث ماتفرش به آخر البيوت . وفيه مستشفى كبير لعلاج الجنود والمرضى مع ما يتطلبه من معامل التحليل النوعة التي يشرف عليها كبار الأخصائيين الأمريكيين ، وحتى الممرضات جىء بهن من أمريكا ليسهرن على راحة المرضى من أبناء جنسهن .

وتقوم داخل أرض المطار مدرسة للأطفال الأمريكيين ، تسير في نظامها وفق أساليب التربية الأمريكية ، وجىء بالأساتذة من أمريكا ليلقنوا النشء الجديد الثقافة والعلوم الأمريكية . كما أنشأوا لهم ملاعبهم الخاصة ، وأنشأوا لأمهاتهم ملاعبهن ليقضين فيها ساعات فراغهن .

وفي المطار ناد لتسليمة القوات المقيمة فيه أو المارة به ، وقاعة للسينما تسع ل ٥٠٠٠ شخص ويعرض فيها كل يومين فلم جديد مما تخرجه استديوهات أمريكا . كما أن به مكتبة ضخمة فيها ٢١١١ مجلد .



[تصوير أولاً]

سوق الصنائع — طرابلس

وفي المطار أيضاً محطة إذاعة قوية ، تذيع برنامجاً يومياً مدة ١٧ ساعة بلا توقف .
وتعتبر هذه المحطة أكبر محطة في الشرق ، وثاني محطات العالم التي تزود بها القواعد
العسكرية الأمريكية .

ولم ينس الأمريكيون أن يندشوا حديقة حيوان في المطار أيضاً ، وضعوا فيها
كثيراً من أنواع الحيوانات المختلفة التي جاءوا بها من أنحاء العالم .
وفي المطار ، فضلاً عن كل ذلك ، عدد من المصانع ، والورش ، ولا تزال
تضاف إليه أقسام جديدة . ويبلغ عدد الذين يعملون في الأقسام المختلفة حوالي ٦٤٠٠
عامل منهم ٧٠ بالمئة ليبينون .

ولعل أهم ما يمتاز به المطار الفرق الخاصة من الطائرات التي أطلق عليها اسم
« فرق الانقاذ » ، وهي تضم أسرع الطائرات التي عرفت حتى اليوم . وعلى استعداد
لنجدة أية طائرة أو باخرة أو قافلة ، في مدى دقائق من إستلام إشارة الاستغاثة .

ورش الجيش البريطاني :

للجيش البريطاني بعض الورش الفنية ، التي تقوم باصلاح الدبابات والسيارات
وبعض أنواع الأسلحة الأخرى ، وهي قائمة عند أبواب المدينة ويعمل فيها حوالي
٤٥٠٠ عامل ، ٥٥ بالمئة منهم من الليبيين .

وتدير القيادة البريطانية كذلك محطة إذاعة قوية ، تذيع برامجها مدة ١٦ ساعة في
اليوم .

وللإنجليز أيضاً مدرسة خاصة بأبناء الضباط والجنود ، قائمة داخل ثكنات
العززية ، وهي تسير في نظامها وفق الأساليب والنظم المعمول بها في بريطانيا ،
ويشرف عليها اخصائيون في أساليب التربية الحديثة .

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية والثقافية

السكان الاجتماعي :

لا يزال النظام القبلي قائما في ولاية طرابلس الغرب ، بين عرب صحراء سرت والقسم الجنوبي من الأقليم . وقد تلاشى هذا النظام وانحل في مدينة طرابلس وعلى طول الساحل الشمالي ، بسبب وفرة المياه ، مما سمح بقيام زراعة ثابتة مستقرة ، ولتطور التجارة حول الموانئ الساحلية .

وفيما يلي بيان توزيع السكان المسلمين في ولاية طرابلس الغرب حسب طرق معيشتهم :

سكان المدن	سكان الأرياف المستقرون	أشباه الرحل	الرحل	المجموع
١٠٥٠٠٠	٣٢٠٨٦٠	٢٣٦٧٠٠	٤٩٤٠٠	٧١١٩٦٠

الطباع :

يتسم السكان بهدوء الطبع والوقار في تصرفهم . فلا تسمع ضجة في شوارع المدينة ، وحتى في الأسواق يجري العمل دون صياح أو جلبة . ولا يميل الطرابلسيون إلى المزاح — إلا في حدود — ولا تجرى على ألسنتهم كلمة بذينة سواء في الأماكن العامة أو المجتمعات الخاصة .

وقد اشتهر الطرابلسيون ، مع ذلك ، بإحسانهم المرفف ، وهم شديدو التمسك بالكرامة وعزة النفس . ويروى هذه المناسبة ، أن مصر يا قابل طرابلسيا وقال له :

« إنكم شعب كامل الصفات لولا » وقبل أن يتم المصرى كلامه ، قاطعه الطرابلسى محتدأ : « لولا ماذا ؟ » . . .

فأجاب المصرى : « لولا هذا ! » (مشيراً إلى سرعة الغضب) .

والشعب الطرابلسى نظيف ، وعادة البصق فى الطرقات والأماكن العامة ليست منتشرة بينهم كما هى فى بعض البلاد الأخرى ، وقبلما تجد بينهم حافياً مهما كان فقيراً ، وحتى الفقراء منهم يحاولون الاعتناء بمظهرهم ولباسهم بقدر ما تسمح به ظروفهم . وعادة المصافحة باليد منتشرة فى طرابلس الغرب ، وكذلك عبارات التحية التقليدية المعروفة فى الشرق .

والطرابلسيون عموماً محبون للنظام ، مطيعون للقانون ، ولهذا السبب كان عدد الجرائم قليلاً فى هذه البلاد ، كما أن جرائم النشل غير معروفة . وهم محبون للغرباء وخصوصاً العرب ، ويبدلون عطفاً خاصاً على الفلسطينيين بالنسبة لما أصيبت به بلادهم . ولا توجد فى طرابلس الغرب تلك الفوارق الاجتماعية المعروفة فى بعض بلدان الشرق الأخرى . فالألقاب الاجتماعية والرسمة معدومة ، والجميع يعيشون فى ديمقراطية محبة كأهم إخوة .

والليبيون عموماً شديداً التمسك ، خصوصاً فى المدن والقرى ، بعزلة المرأة . فلا تغادر المرأة الطرابلسية منزلها إلا فى الأحوال الضرورية ، مستترة بحجاب كثيف ، كما إنها لا تشترك فى أى نشاط إجتماعى ، ولا تشارك الرجل فى الحياة العامة ، أو فى المهن والتجارة .

وقد جرت عادة الرجال لهذا السبب أن يتقابلوا خارج المنزل . إلا أن بعض العائلات تفرد فى منازلها غرفة خاصة تسمى (غرفة السقيفة) — إذا كانت فى الدور العلوى للمنزل — أو (المربوعة) إذا كانت فى الدور الأرضى منه . وفى هذه الغرفة —

التي تكون عادة منعزلة عن سائر المنزل — يستقبل الرجل ضيوفه ، فيجلسون للحديث والسمر حتى ساعة متأخرة من الليل .

ولعل من أبرز خصال الطرابلسيين ، والليبيين عموماً ، الحياء الفطري ، والتأدب المطلق في حضرة الكبير سواء كان أباً أو أخاً أو غير ذلك . وقد جرت العادة ، لهذا السبب ، أن لا يتناول الابن الطعام مع زوجته في حضور والديه أو كبار إخوته ، والبعض لا يتناول الطعام مع زوجته إطلاقاً حتى ولو كانا على انفراد . ولهذا السبب أيضاً ، لا يمكن للشباب أن يدخل غرفة نومه على مرأى من أبويه وكبار عائلته ، كما أنه يخرج مبكراً قبل استيقاظهم .

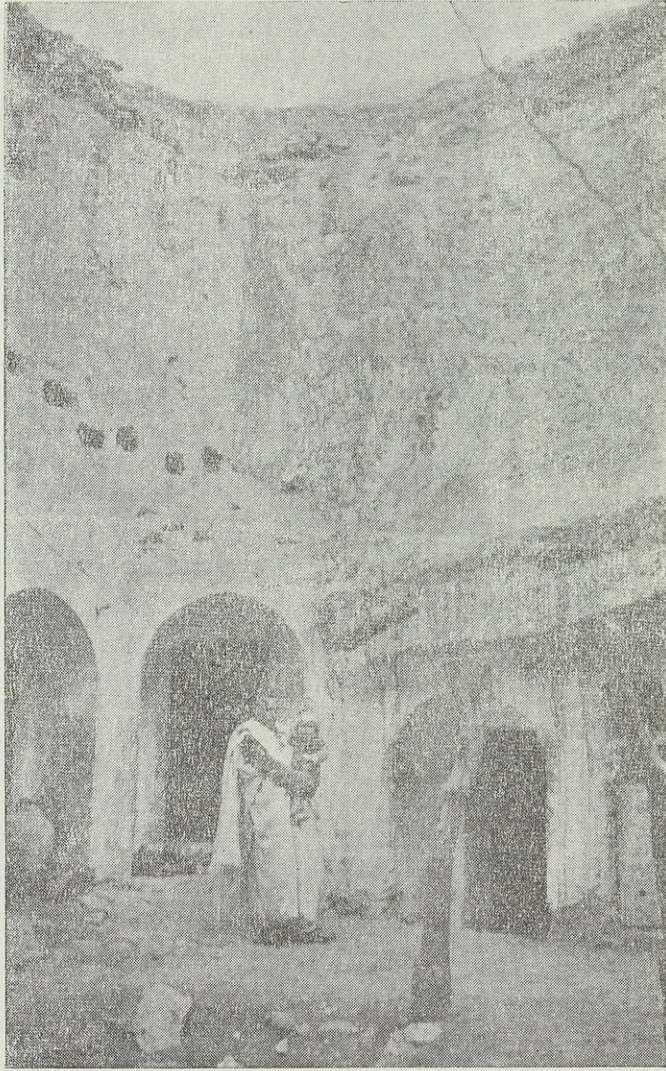
وبعد الزواج ، لا يقابل الشاب والديه أو كبار عائلته لبضعة أيام ، وقد ينتحل الأعذار للسفر أو التغيب أثناء الأيام الأولى التالية للزواج .

المساكن :

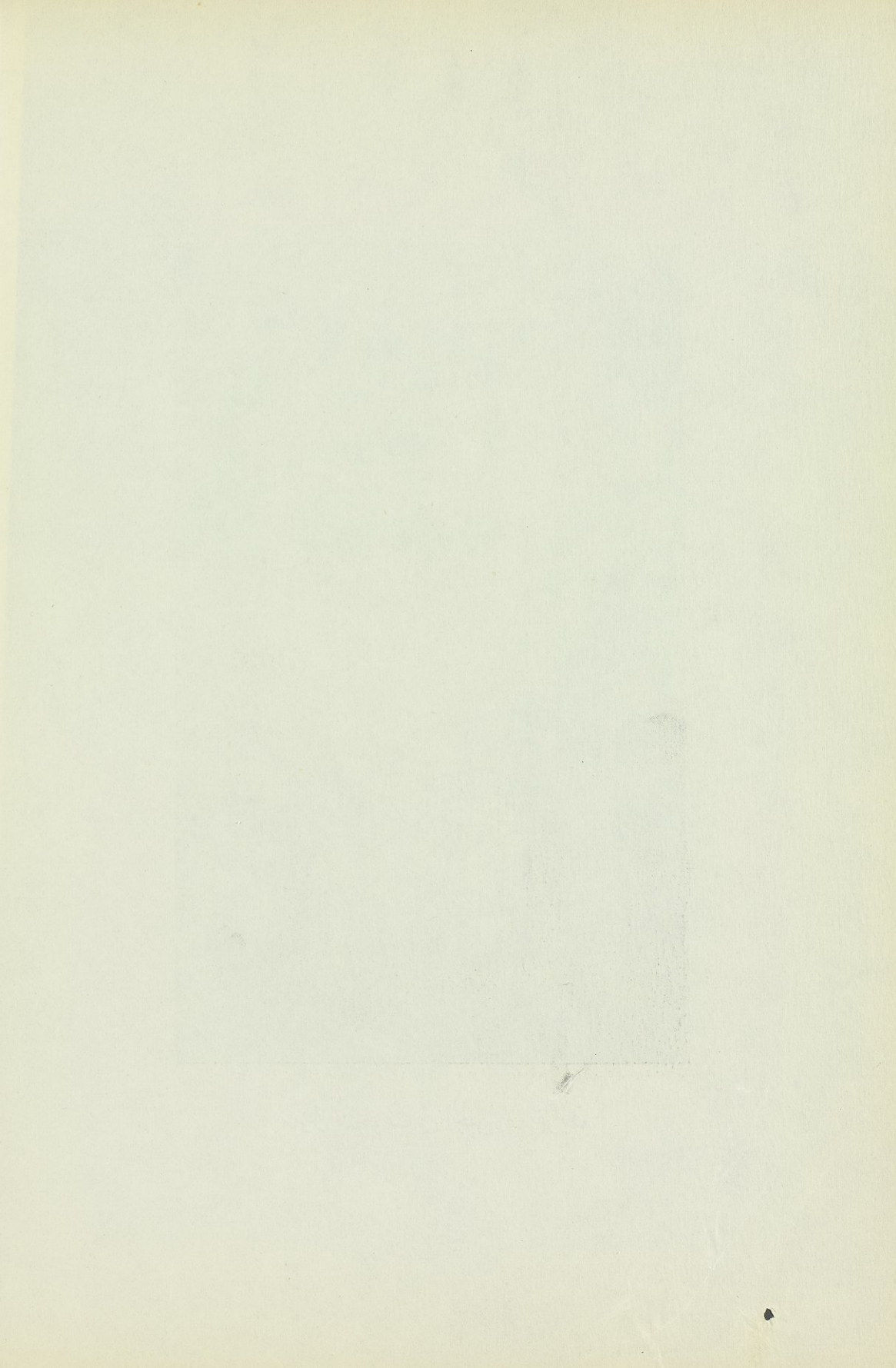
طرابلس مدينة عمرية بكل معنى الكلمة . ففيها الفيلات الحديثة والعمارات الكبيرة ، والحدائق العامة الجميلة . أما المدينة القديمة ، فأزقتها ضيقة وتفتقر بعض أحيائها إلى النور والهواء ، وهي مبنية على غرار المدن القديمة المعروفة في بلدان الشرق الأوسط الأخرى .

وتتألف المساكن القديمة — أو العربية — في طرابلس عادة من ٣ إلى ٥ غرف وساحة سماوية غير مسقوفة ، والمحققات الأخرى .

وقد زرت كثيراً من المدن والقرى الطرابلسية الأخرى ، فوجدتها حسنة التنسيق والفظام ، ذات شوارع فسيحة ، ومباني جميلة ، أكثرها من الحجر أو الخرسانة . وحتى البيوت المبنية بالطين ، قد طليت باللون الأبيض من الخارج ، فبدت نظيفة جميلة . أما في غريان ، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي ٨٨ كيلو متراً إلى الجنوب ،



منزل منحوت في الجبل — غريان



فقد اعتاد كثير من الأهالى السكنى تحت سطح الأرض . وتمتاز مساكنهم بدقتها
فى الشتاء وبرودتها فى الصيف . وتجد هذا النوع من المساكن أيضاً فى « نالوت » ،
وكثير منها مجهز بالنور الكهر بآلى ، ولا ينقصه شىء سوى المظهر الخارجى .

الحالة الصحية :

يقول الخبراء أن معدل التغذية فى الريف منخفض حسب التقديرات الحديثة ،
ومع أنه لم تنشأ حالة خطيرة بسبب سوء التغذية ، غير أن معظم السكان
لا يملكون إلا ما يسد رمقهم ، ولذا كانت قوتهم على مقاومة العدوى ضعيفة .

ومن حسن الحظ أن الأحوال فى ليبيا لا تساعد على انتشار كثير من الأمراض
الفتاكة كالمالاريا والبلهارسيا والإنكستوما وغيرها . كما إنه من حسن حظ هذه
البلاد أيضاً أن حالة الجو لا تؤدي إلى إصابات كثيرة بالأمراض التى تنتشر عادة فى
البلدان التى يكون فيها الجو رطباً أو بارداً ، فخلت بذلك من معظم أمراض العالم
الرئيسية .

ويقول أولئك الخبراء أيضاً ، أن معدل الوفيات فى طرابلس يزيد على ٤ بالمائة ،
بينما لا يزيد معدل زيادة السكان عن طريق التوالد على ٣ر٥ بالمائة . وقد كان
معدل الوفيات المسجل فى مدينة طرابلس ٢٧ بالمائة سنة ١٩٤٨ ، و٢١ر٢ بالمائة سنة
١٩٤٩ ، و ١٧ر١ بالمائة سنة ١٩٥٠ . والمقارنة ، نذكر أن معدل الوفيات فى مصر
هو حوالى ٢٧ر٢ بالمائة ، وفى بريطانيا حوالى ١١ر١ بالمائة .

أما الأطفال ، فقد بلغ معدل وفياتهم فى مدينة طرابلس ٣ر٣٣ بالمائة فى سنة
١٩٤٩ ، وبلغ ٢ر٢٧ بالمائة فى سنة ١٩٥٠ ، بينما لم يزد هذا المعدل فى مصر على
٢ر١٥ بالمائة ، و ٨ر٢ بالمائة فى بريطانيا العظمى . ومعنى هذا ، أنه من كل ١٠٠٠
مولود فى مدينة طرابلس ، لا يبلغ العام الأول من العمر أكثر من ٧٠٠ طفل تقريباً .

ويعود السبب المباشر في ذلك إلى أمراض معوية خطيرة تصيب الأطفال في السنة الأولى من أعمارهم .

وقد لاحظ خبراء هيئة الأمم وجود عدد كبير ممن تجاوزوا سن الستين في القرى الطرابلسية . وفي حالة واحدة ، وجدوا ٣٨٤ شخصا من ٣٦١ ر ٣ شخصا قد تجاوزوا سن الستين .

وقد دلت تحريات أولئك الخبراء أيضاً على أن الحالات النفسية وقرحة المعدة والتهاب الزائدة الدودية من الأمراض غير المألوفة في طرابلس الغرب . كما إن الإصابات بمرض السرطان والأمراض العضوية للقلب والشرايين لا توجد إلا بنسبة ضئيلة . وباستثناء نفشى مرض الحصبة والسعال الديكى أحياناً في مناطق ضيقة ، لا تقع سوى إصابات قليلة بالحُميات المعدية المعروفة . وقد بُلِّغ خلال العامين الماضيين عن أربع إصابات بالحُمى الشوكية ، وست إصابات بالتهاب المادة السنجابية الشوكية و ٣٨ إصابة دفتيريا . ولم تقع إصابات بالكوليرا أو الطاعون أو الحمى الصفراء خلال القرن الحالى . أما التيفوئيد ، فيصاب به حوالى مئة شخص في طرابلس كل عام .

وتكثر الإصابة بالأميبيا في منطقة مصراته ، كما إن حالات الدوزنطاريا مألوفة في جميع أنحاء البلاد ، وكذلك الإصابة بالديدان المعوية عند الأولاد .

ومعدل الإصابة بالأمراض عند النساء عادى ، وكذلك حالات الإجهاض . وقليل ما تحدث الإصابة بالتسمم الدموى أو حمى النفاس عقب الولادة .

وتوجد إصابات قليلة بالبول السكرى ، وتضخم الغدة الدرقية ، والتهاب المفاصل الروماتزمى . وقلما تقع أمراض نقص الفيتامينات كمرض البرى برى ، أو كساح الأطفال ، والبلاجرا . ولا توجد إصابات بمرض القلاع (إسهال المناطق الحارة) . ولكن الإصابات بسبب القمل وأمراض الجلد الطفيلية كثيرة الوقوع بين الأطفال في

في الريف . وأمراض تقيح اللوزتين والغدد أقل منها في المناطق ذات الأجواء الرطبة .

والأمراض الخطيرة في طرابلس الغرب ثلاثة : التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال ، ومرض السل ، وأمراض العيون (التراخوما) . وقد أدخل مستشفى السل في طرابلس ٥٢٠ مريضاً عام ١٩٤٨ ، و ٥٥٣ عام ١٩٤٩ ، و ٦٤٢ عام ١٩٥٠ ، و ٧١١ عام ١٩٥١ ، ومعنى هذا ازدياد الإصابات بهذا المرض الويل عاما بعد عام . كما إنه ظهر بعد الفحص الطبي لطلاب المدارس ، أن ٤٨ بالمئة منهم مصابون بالتهاب في عيونهم ، وفي القسم الجنوبي من ولاية طرابلس ، بلغت نسبة الإصابة بمرض التراخوما ٣٣ بالمئة .

ومن حسن حظ هذه البلاد ، أن تعاطى الخدترات غير معروف عند جميع طبقات السكان . وهذا في حد ذاته وقاية من شرور كثيرة ، صحية واجتماعية ، لاحت لها .

شئون العمل والخدمات الاجتماعية :

كانت شئون العمل خاضعة إبان الإدارة الإيطالية لأحكام قانون العمل الإيطالي لأفريقيا ، وقد وضع هذا القانون لحماية العمال الإيطاليين فقط ، فحدد ساعات العمل والضمان الاجتماعي والأجازات ومدة التمرين على الحرف الخ وأدخل نظام الاتفاقات الجماعية بين أصحاب العمل والعمال في إقليم طرابلس سنة ١٩٣٨ ، وبموجبه أمن العمال الإيطاليون وعائلاتهم ضد المرض والحوادث الصناعية والبطالة ، في حين أن العمال الطرابلسيين لم يؤمنوا إلا ضد الحوادث الصناعية فحسب .

وقد صدر أول تشريع لتنظيم نقابات العمال في مايو سنة ١٩٥١ ، ولا يزال نظام الضمان الاجتماعي معمولاً به كما كان قبل الحرب ، ويوم العمل الرسمي محدد

بثمانى ساعات ، غير أنه يصل عملياً فى الصفاعات الخاصة إلى ١٢ ساعة . والحد الأدنى لسن العمال هو ١٤ عاماً ، إلا أن هذا الحد أيضاً لا ينفذ بدقة .

أما الخدمات الاجتماعية ، فما زالت على نطاق ضيق . ولكن توجد بعض المؤسسات التى تقوم بأعمال الرفاهة والخدمات الاجتماعية فى طرابلس الغرب ، وأهم هذه المؤسسات هى :

(١) صندوق إغاثة الفقراء : إذا قارنا عدد المتسولين فى طرابلس الغرب بما هو عليه فى البلاد الأخرى لوجدناه قليلاً جداً . وتمنح الولاية إغاثة للفقراء المسجلين على هيئة إعانات مالية أو ما كولات مجانية . ويبلغ عدد الفقراء المسجلين على هذا الوجه حوالى ٢٠٠٠ شخصاً .

(٢) مؤسسات العجزة والأيتام : تقوم بمعظم هذا العمل هيئات خيرية تتلقى تبرعات اختيارية ومساعدات لا يستهان بها من الحكومة فى صورة مبالغ مالية أو أدوات أو خدمات يقدمها موظفوها . وأهم المؤسسات العربية هى :

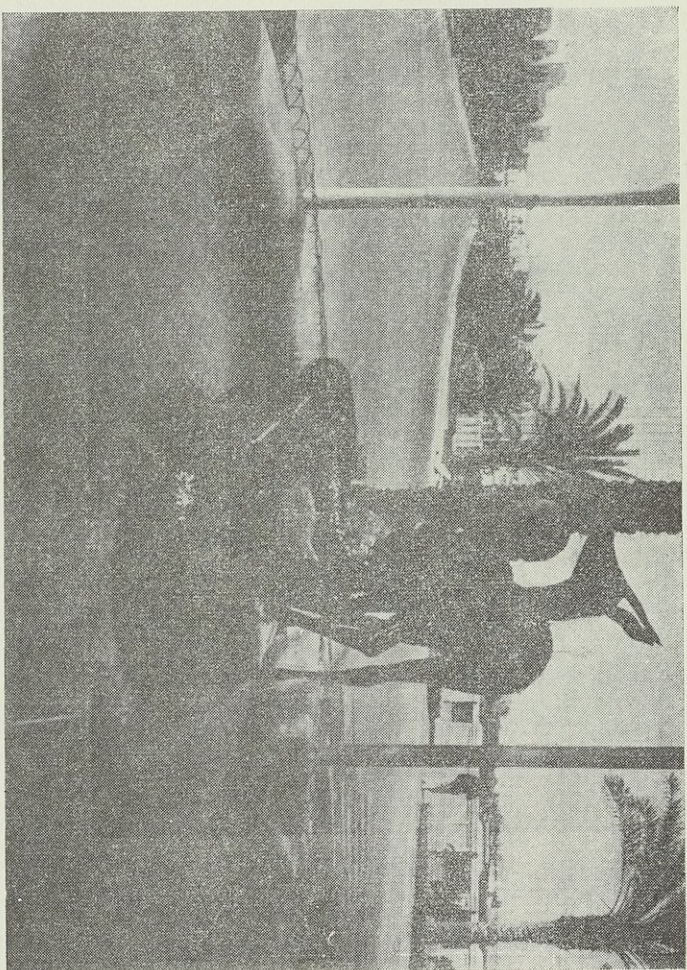
(أ) ملجأ أبو هريرة (فى طرابلس) وهو يتسع لحوالى ٥٠٠ شخصاً . وفيه مدرسة بها ستة معلمين .

(ب) ملجأ مصراتة للفقراء ، وفيه حوالى ١٠٠ شخصاً . وهو عبارة عن ثكنة مهمله ، يستطيع المشردون الذين تصرف لهم إعانات الفقراء أن يقيموا فيها .

(ج) مؤسسة الزاوية للأيتام .

(د) مؤسسة باب ترهونة .

وتوجد ثلاث دور للأيتام الإيطاليين فى طرابلس ، تديرها مؤسسات دينية مختلفة .



تمثال وميدان الغزالة — طرابلس

[تصوير أولاً]

(٣) هيئات خيرية أخرى :

- (أ) صندوق الأغانة في طرابلس الغرب — وتولى إدارته لجنة أهلية مشتركة ، وتجمع أموال هذا الصندوق في الغالب من اليا نصيب الذي تجريه الحكومة ، وقد بلغت هذه الأموال في سنة ١٩٥٠ (١٢,٠٠٠) جنيهًا استرلينيًا .
- (ب) إرسالية شمال أفريقيا المسيحية — في سوق الحرارة بالمدينة القديمة .
ولهذه الإرسالية مستوصف يشرف على إدارته طبيب إنجليزي .
- (ج) الصليب الأحمر الإيطالي — ونشاطه مقصور على الإيطاليين فقط .

(٤) الحمامات العامة :

توجد في المدن الكبيرة للاستعمال مجانا حمامات مجهزة بمرشات (دوش) وكثيراً ما تسخن مياهها في فصل الشتاء . وقد بلغ عدد من يؤمون الحمامات في مدينة طرابلس حوالي ١٥٠,٠٠٠ شخصاً في السنة .

(٥) الجبانات :

تشرف البلدية على مقابر المدينة ، ولا يدفع شيء على مساحة القبر . أما في القرى ، فيشرف على إدارة الجبانات موظفون حكوميون ، أو شيوخ القرية .

المستوصفات والمستشفيات العلاجية :

بلغ عدد المستوصفات العامة اليوم في إقليم طرابلس الغرب ١١٠ مستوصفاً ، بعضها تديره البلديات وجمعيات التأمين والهيئات الأجنبية . ويوجد في مدينة طرابلس مستشفى حكومي به ١٢٠٠ سريراً ، ويوجد بناء لمستشفى في الخمس ، ولكنه لا يستعمل إلا كمستوصف . كما أنه يوجد في الزاوية مستشفى أهلي أنشئ سنة ١٩٤٥ بأموال الشعب .

ويوجد مستشفى خاص في مدينة طرابلس ومعظم مرضاه من الأجانب ، كما يوجد في المدينة ثمانية أطباء خصوصيون ، وطبيب أسنان ، وثمانى صيدليات وأربع حوانيت لبيع النظارات . كما توجد فيها مختبرات بكتريولوجية مناسبة . ولكن يلاحظ نقص كبير فى أنواع الأدوية الأمريكية والأجنبية والسويسرية ، كما أن جميع الأطباء والصيدالة والأخصائيين هم من الإيطاليين .

العادات والتقاليد والمعتقدات

الزواج :

تختلف حفلات الزواج في المدن عما هي عليه في القرى أو الريف . كما أنها تختلف في مظاهرها بين عائلة وأخرى ، حسب درجة الثراء لكل منها . إلا أن القواعد العامة ثابتة لا تتغير .

وتبقى احتفالات الزواج — عادة — مستمرة مدة خمسة أيام . فترسل الدعوات لحضور الأحتفال في يوم الخميس السابق لعقد القران ، عندما يكون الاتفاق قد تم على المهر — وهو يتراوح عادة بين ٥٠ و ٢٠٠ جنيه حسب العائلة . وعلى العريس أن يرسل إلى بيت العروس صباح يوم الاتفاق خروفا ربط برقبتها منديل من الحرير ومعه بعض الهدايا لأهل العروس .

وابتداء من يوم الاثنين ، تقام الاحتفالات في بيت العروس . فتستقبل العروس صديقاتها اللواتى جئن للتهنئة ، ويقضين الوقت في سمر وطرب . وفي اليوم التالى (ليلة الأربعاء) يذهبون بالعروس إلى الحمام ، وبعد العودة إلى البيت تحضر (الزبانة) وتحضب يدى العروس بالحناء ، وتدعى تلك الليلة (ليلة الحنة الصغرى) . وفي اليوم التالى (الأربعاء ليلة الخميس) تستمر عملية تجميل العروس بالحناء وغيرها ، وتدعى هذه الليلة (ليلة الحنة الكبرى) . وفي ليلة الجمعة ، بعد أن تكون قد تمت عمليات

الزينة والتجميل ، تزف العروس بكامل ثيابها في عربة مقفلة إلى منزل العريس يرافقها أقرباؤها وصديقاتها ، وتبمع الموكب عربة تحمل الموسيقيين والمغنين .

وفي ليلة الدخلة ، يكسر أحد مرافقي الزوج قلة ملآنة بالماء عندما يدخل الزوج المنزل لأول مرة ، تفاؤلا بالأمان والألفة ، وكناية عن « كسر الشر » .

وتحجى الاحتفال عادة خلال أسبوع الاستعداد للزواج ، راقصات ومغنيات محترفات يسمون « زمزومات » . وتقدم المأكولات ، والحلويات ، كما يقدم شراب خاص مصنوع من اللوز المدقوق بالسكر والماء اسمه « روزاتا »^(١) . ويوم عقد القران ، يقدم الروزانا وعلب الملبس باللوز .

وفي يوم الجمعة — صباحية الدخلة واسمها « المحضر » — تظهر العروس أمام المدعوات بأجمل ملابسها وزينتها ، وتغير ملابسها أمامهن أربع أو خمس مرات ، وتقتدى بها باقي النسوة الحاضرات ، فيغيرن ملابسهن عدة مرات أيضاً بقدر ما عندهن من الثياب .

وبعد مرور سبعة أيام على يوم الدخلة ، تقيم العروس في بيتها الجديد حفلة (السبوع) ، تقدم فيها الأطعمة والحلوى ، ويقام السمر والرقص والغناء على دق الطبول . كما تقيم حفلة مماثلة يوم الأربعاء .

ولا تكلف العروس خلال الأسبوع الأول من الزواج بأى عمل في بيتها الجديد . إذ تنوب عنها صديقاتها وقرباتها في ذلك .

وقلما يتزوج الطرابلسيون أكثر من واحدة ، ولا يجمعون بين أكثر من إثنين إلا في النادر . كما إن حوادث الطلاق في طرابلس قليلة بالنسبة لبعض البلاد الإسلامية الأخرى .

(١) كلمة إيطالية ، وكان الطرابلسيون قبل الاحتلال الإيطالي يقدمون في الأفراح « الشرابات » المعروفة في الشرق .

أما في البادية — حيث الحجاب أقل شدة من المدن — فإن العريس يلاقي عروسه ويقارعها الشعر ، خاطباً ودها عن هذا الطريق . فإن نشأت الألفة بينهما خطبها من والدها ، وحدد المهر نقداً أو ماشية أو حبوباً أو من جميع هذه الأشياء . وفي اليوم الثالث للزواج ، يقام احتفال كبير ، يتسابق فيه الفرسان أمام المجتمعين ، كما تطلق الأعيرة النارية في الهواء ، زيادة في الترحيب والتبجيد للعروسين .

المآتم :

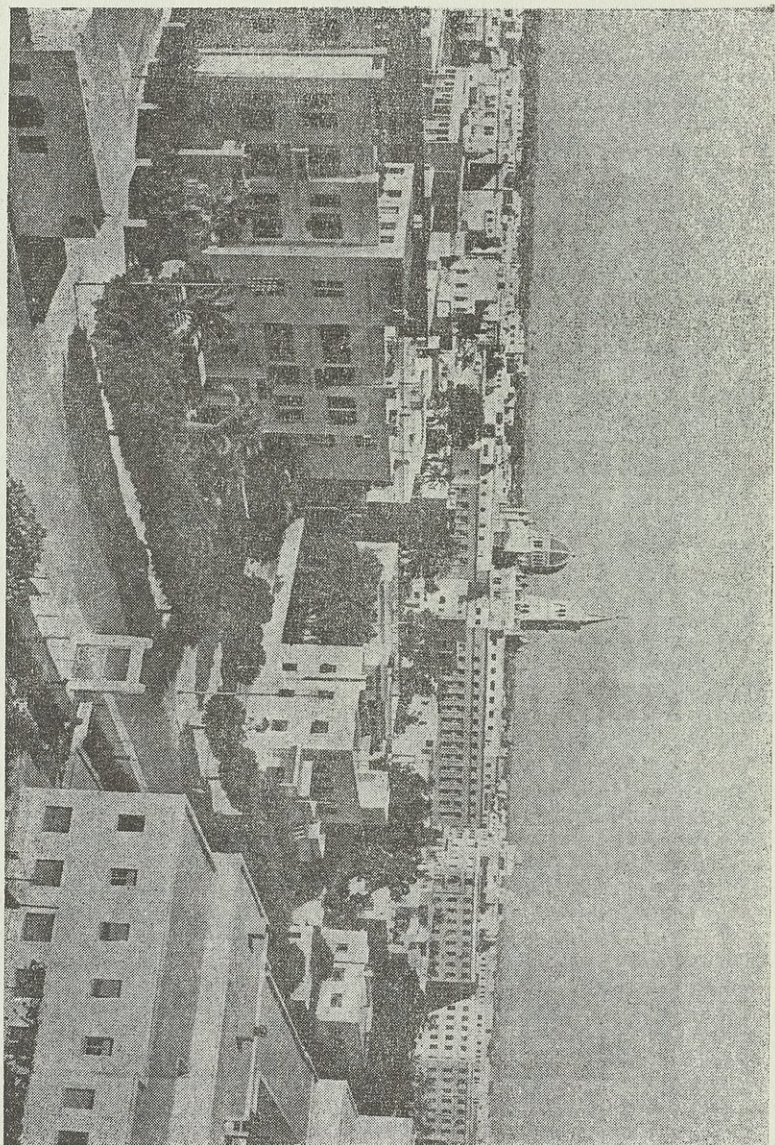
يدفن الطرابلسيون موتاهم في قبور عادية ، وليس في « أحواش » خاصة كما هو جار في مصر وبعض البلاد العربية الأخرى . وفي الليلة التالية للوفاة ، يقيم أهل المتوفى « ليلة » على روح الميت ، فيتلى القرآن وتقدم الأطعمة وتنحصر الذبائح ، ولا تقام سرادقات كما هو شائع في مصر . كما أنه لم تجر العادة في طرابلس على إحياء ذكرى الأسبوع الأول أو اليوم الأربعين للوفاة . ولا يبيت الطرابلسيون في المقابر ، بل يكتفون بالزيارة في أيام الأعياد وقراءة القرآن .

ولا تلبس المرأة الطرابلسية ، بعد وفاة زوجها ، الملابس الزاهية أو الملونة ولا تنزين خلال مدة العدة (أى ثلاثة أشهر وعشرة أيام) . ويسمون المرأة الحزينة على زوجها « رابطة » .

وتكون الصلاة على الأموات في أماكن خاصة يسمونها (مصلى) . وهى عبارة عن مساحة سماوية مسورة وغير مبلطة ، ولا يسمح بالصلاة على الموتى في المساجد .

التفاؤل والتشاؤم :

يتشائم الطرابلسيون من اللون الأسود إذا صادفهم في الصباح ، سواء أكان في هيئة شخص أو حيوان أو أى شئ آخر . ولهذا السبب لا تدخل الخدام السوداء



[زهور جناح]

منظر عام لمدينة طرابلس الجديدة

أو الخادم الأسود على سيدتها أو على سيده في الصباح إلا بعد دخول شخص آخر عليهما . وكذلك إذا خرج الرجل من بيته وقابله شخص أسود أو حيوان أسود (قط مثلاً) فإنه يتشائم طوال ذلك اليوم ويستعيذ بالله .

ويتشاءم الطرابلسيون كذلك من نقيق البوم وعواء الكلاب الشبيه بالنواح ، ويعتقدون أنه في هاتين الحالتين لابد من موت شخص في المنزل الذي نطق فوقه البوم أو عوى فيه الكلب ذلك العواء الحزين .

ولا يسمح الطرابلسيون ببقاء الأطفال الرضع ، أو الذين تقل أعمارهم عن ثلاث سنوات ، خارج غرفة مستقوفة بعد غروب الشمس ، لأنهم يعتقدون أن طيراً يسمونه « طيرة الصغار » يمر بعد الغروب ، فان صادف وجود أحد الأطفال خارج غرفته ، فلا بد أن يموت ذلك الطفل صغيراً .^(١)

ومن معتقداتهم أيضاً ، أنه إذا مرت الطيور البيضاء المعروفة (بالبشار) فوق أحد المنازل ، ووقف على ذلك المنزل طير منها أو أكثر ، فان هذا المنزل سيستقبل بشري سعيدة .

ويعتقد الطرابلسيون أن رف العين اليسرى نذير شر ، كما أنهم يتفاءلون برف العين اليمنى . وكذلك يعتقدون أن طنين الأذن اليسرى فال سوء ، واليمينى بالعكس . وتشاءم أم الطفل الرضيع من صرخة الحدأة (الحداية) ، فإذا زعقت قبل الفجر ، اعتقدوا أنه لابد وأن يتوفى رضيع في ذلك المكان .

ويعتقد الطرابلسيون بالحسد ، ويقاومونه بحمل التعاويذ والأحجية التي يقوم بكتابتها « الفقهاء » . كما أنهم يقدمون النذور للأولياء ردءاً لمصيبة أو وفاء بنذر .

(١) تشبه هذه الحرافة ما يعتقدته الشراكسة من أن بقاء ملابس الطفل في الفضاء بعد الغروب ، يعرضها للبلل والندى ، الذي لابد وأن يصيب الطفل ذاته بالمرض الشديد !!

ومن عاداتهم في ذلك أنهم يرشقون على قبور الأولياء أعلاماً يسمونها سنسق^(١) من ألوان مختلفة ، كما يضعون عليها الحناء ، أو يقوموا بتبخيرها ، وأحياناً ينحرون الذبائح ويفرقون لحمها على الفقراء .

ولا يقبل الطرابلسي ضيفاً عنده المبيت إلا بعد أن يأكل عنده اللحم ، مهما كان الوقت متأخراً .

بعض عاداتهم :

ومن عادات السكان ، أنه عند سفر أحدهم إلى مكان بعيد ، يقوم أقارب المسافر وأولاده بصبّ الماء خلفه بمجرد خروجه من البيت ، حتى يكون طريقه مأموناً ، ويعود إلى بيته سالمًا . ومن عوائدهم في الأفراح ، أن تطعم العروس قطع السكر لعريسها في ليلة الدخلة من علية أو منديل موضوع إلى جانبها . وعندئذ ، يتناول العريس قطعة من ذلك السكر ويطعمها عروسه بيده . ثم تخرج الخادم بالباقي لتوزيعه على البكارى اللواتى لم يتزوجن بعد ، تفاؤلاً بزواج قريب .

ومن عاداتهم أيضاً أنه بعد أن توضع الحناء في يد العروس ، تؤخذ قطعة منها وتعطى لإحدى البنات اللواتى فاتهن القطار ، تفاؤلاً بزواج سريع .

ومن عوائدهم كذلك أنه إذا تأخرت إحداهن في الزواج ، خرجت إحدى قريباتها التى يشترط أن تكون متقدمة في السن وحاجة ، وقد التفت برداء يغطى جسدها حتى لا يبدو منها شيء سوى راحة اليد ، فتذهب إلى سبعة بيوت ممن لم يسبق لأصحابها الطلاق ، أو الزواج . وتدخل المرأة الحاجة هذه البيوت ويدها

(١) « سنسق » محرفة عن كلمة « سنجق » ، وهى كلمة تركية ومعناها العلم . وأصل هذه العادة أن كثيراً من الأولياء (المرابطين) كانوا جنوداً أو قادة ، وكانوا يعودون من غزواتهم بأعلام الدول التى حاربوها ، وينشرونها فوق بيوتهم أو مقر إقامتهم : فأصبح أفراد الشعب يكرمونها بعد وفاتهم — بأن يرشقوا على قبورهم أعلاماً ملونة صغيرة ، تحية لهم وتكريماً .

ممدودة إلى الأمام دون أن تفوه بكلمة ، فتقدم لها ربة المنزل بعض الدقيق والملح .
وبعد عودتها إلى المنزل ، تعجن المرأة الدقيق والملح الذي جمعته من البيوت السبعة ،
وتخبزه في المنزل ، ثم تقدمه إلى الفتاة العانس . فإذا أكلته ، حصلت الفتاة حلماً جميلاً
يكشف لها عن المستقبل ، ولا يتأخر زواجها بعد ذلك كثيراً .

ولا يعتقد الطرابلسيون بالزار ، ولكنهم يعتقدون بالجان والأرواح الشريرة .
ويتولى « الفقيه » طرد هذه الأرواح الشريرة من أجسام المرضى و« المسكونين » .
وعند انتقال العائلة الطرابلسية من مسكن لآخر ، لا بد من ذبح طير أوحىوان
على عتبة البيت الجديد قبل دخوله ، درءاً للحوادث أو العين الشريرة ، وتناولوا
بالمسكن الجديد .

وتستعمل بعض النسوة نباتاً يعرف بالقنيط ، ^(١) لكشف الغيب ومعرفة
المستقبل . فإذا تأخر الزواج باحداهن ، عمدت إلى تناول قطعة من هذا النبات مع
شريحة من اللحم المقدد ، فينطلق لسانها بذكر رغباتها ، وتنفسح أمامها آفاق المستقبل .
وقد روى صديق لى حكاية عن مفعول هذا النبات العجيب قال — إن خادماً له
تناول قطعة من القنيط ، فإذا به يهب واقفاً وهو يصيح : أنا ذاهب لأفتح الدكان .
وبعد أن هدأ قليلاً ، هب ثانية وهو يقول : أنا ذاهب لأروى « سعيدة » . فلما سأل
صديق : ومن تكون « سعيدة » ؟ أجاب الخادم : إنها الفرس . والمدهش ، كما
روى لى الصديق ، أن هذه الأشياء تحققت بعد عامين ، وكان قد نسى قصة الخادم
وزالت من فكره . فأفتتح دكاناً للتجارة ، كما أنه اشترى فرساً أسماها « سعيدة » .

(١) وهو عشب مخدر ينبت في البراري ، ولا يرتفع ساقه عن سطح الأرض . له أوراق
متسعة خضراء تحمى على سائل لزج ، إذا أكلت من تناوله أورت الجنون المؤقت (مدة ٢٤ ساعة)
وترياقه السمن .

الروائح العطرية :

يقطر الطرابلسيون زهر الورد وزهر الليمون والعطر ، ويتعطرون بعطرها . ولا بد أن تقتنى كل عائلة طرابلسية ولو زجاجة من هذا العطر لاستعماله فى المناسبات .

من عوائد البادية — قبائل التبو :

تقيم قبيلة « التبو » ما بين مرزق وغات ، ومع أن هذا الكتاب خاص بطرابلس الغرب ، إلا أننا أحببنا أن نورد فيما يلى بعض عادات هذه القبيلة ، وخصائصها ، لطرافتها واختلافها عما هو معروف فى هذا الاقليم .

تتمتاز نساء هذه القبيلة بجمال الوجه والقصد المشوق . وهن يقصصن شعورهن ويفتلنه جدائل صغيرة ، بعد دهنه بالسمن والرمل . وتلبس المرأة رداء خاصا فصل بحيث يكون أحد الثديين خارجا وظاهرا . وتحمل النساء السلاح مثل الرجال تماما . والأسلحة المعروفة عندهم هى الخنجر والرمح . أما الرجال ، فيلبسون قميصا أزرق طويلا ويضعون على أكتافهم قطعة من نسيج الصوف المزخرف ، وكلما كان الرجل عظيما زاد فى وضع الأردية على كتفيه فى أطوال مختلفة ، حتى يصل عددها إلى ست . ويمتاز الرجال بسرعتهم فى الجرى ، وقدرتهم على الاحتمال ، وهم فى الحرب لا يتغذون إلا بدم الجمل ، فيفصدونه ويمتصون منه الدم . والطعام الرئيسى عندهم هو التمر المعجون ببذر الحنظل .

فاذا أراد أحدهم الزواج ، ذهب والده إلى أهل العروس ، وبعد أن يتم الاتفاق على المهر ، يحدد ميعاد العرس . وفى ذلك اليوم ، تفرش العروس وصديقاتها الحصير فى الخلاء ، ويقطعن جريد النخل ويضعنه إلى جانبهن . أما العريس فيفرش الحصير فى المكان الذى يقيم فيه ، فاذا كان ذلك المكان قريبا من بيت العروس ، كان عليه أن يذهب بعيدا بحيث تكون بينهما مسافة لا تقل عن ثلاثة كيلومترات

تقريباً . وفي مساء اليوم المحدد للزواج ، يتسلل أصدقاء العريس إلى مكان العروس لاختطافها ، فإذا تمكنوا من ذلك تم الزواج وأقيمت الأفراح ، وإذا استيقظت صديقاتها ، أسرعن للدفاع عنها بعضى الجريد الذى سبق تحضيره لهذا الغرض ، وقامت بين الطرفين معركة حامية الوطيس . فان تغلبت النسوة ألغى الزواج وفقد العريس كل مادفعه . وإذا تمكن الرجال من أخذ العروس بالقوة ، اجتمع أهل الطرفين وأقيمت الأفراح .

ويقضى العروسان الليلة الأولى ساهرين حتى الصباح ، يتبادلان الحديث والشعر والفكاهة ، فإذا نام العريس تلك الليلة كان للعروس أن تدبجه ، وإذا لم ينم حاولت التسلل من البيت ، فإذا لم يمنعها من الخروج ، وإستطاعت الوصول إلى جملة فى الخارج ، قطعت له عرقوبه ، ومعنى ذلك فسخ الزواج وعودة العروس إلى والديها . فإذا استطاع العريس أن يمنعها من الخروج تلك الليلة ، أصبح أهلاً لها ، وأصبحت زوجته مادامت حية . ولا يجوز الطلاق بعد ذلك مهما كانت الظروف .

لباس المرأة الطرابلسية:

يتألف لباس المرأة الطرابلسية من قميص من الكتان ، يدعى « الريول » ، وسروال كبير فضفاض حتى القدم مصنوع من قماش مشجر ، و « سورية » أى قميص خارجى واسع الأكم جداً (حتى ليبلغ قطر فتحة الكم حوالى نصف المتر) ، مصنوع من نسيج من خيوط حريرية وفضية ، وصدر القميص مصنوع من الخيوط الفضية البحتة . وفوق السورية ترتدى المرأة « كردية » — أو صديرى — لها أزراراً كبيرة من الفضة الخالصة ، مصنوعة من قماش القطيفة ، المحلى بالخيوط الفضية المطرزة بأشكال هندسية ورسوم مختلفة . وفوق الكردية ، تلبس المرأة « الحولى » وهو الرداء الخارجى ، ويصنع من الحرير أو الحرير المنسوج بخيوط الفضة . فإذا خرجت إلى الطريق العام ، لبست « الجرد » أو « الحرام » ، وهو عبارة عن ملءة

كبيرة جداً تلتف بها المرأة من رأسها حتى أخمص قدميها ، فلا يبدو منها شيء على الإطلاق .

وكانت الطرابلسية تلبس في أقدامها ، إلى عهد قريب ، حذاء برقبة عالية يسمونه « الخف » ، وفوقه حذاء خفيف يشبه الشبشب اسمه « الصباط » ، وكلا الحذاءين مصنوع من الجلد السودانى الأحمر . وأحياناً يوشون الحذاء الخارجى بخيوط الفضة والذهب . وقد أوشكت هذه العادة على الانقراض ، وحل محل « الصباط » الحذاء العادى المعروف .

أما على الرأس ، فتضع المرأة الطرابلسية منديلاً من الحرير ، أو الحرير الموشى بالخيوط الفضية ، اسمه « تسمال » ، ويصنع من ألوان مختلفة .

لباس الرجل الطرابلسى :

أما لباس الرجل ، فيتألف من « السورية » — أى القميص — والسروال الفضفاض ، وكلاهما مصنوع من الكتان أو « البفتة » البيضاء . والأغنياء يلبسون فوق السروال سروالا آخر من الصوف « الجوخ » من أى لون . وفوق السورية يلبسون « صدىرى » من الصوف ، و « زبون » أى جاكيت من الصوف أيضاً ، وهذه كلها (فيما عدا السورية) تكون فى العادة مطرزة بالخيوط الحريرية بأشكال جميلة . وفوقها يرتدى الرجل « الحولى » المصنوع من الحرير المزوج بالصوف ، أو من الصوف النقى ، ويكون لونه فى العادة أبيض أو أحمر أو ترابياً .

وقد أخذت هذه الملابس الوطنية تختفى تدريجياً ، لتحل محلها الملابس الأوربية المعروفة .

الطعام والشراب

يختلف الطعام الذى يتناوله أهل الريف باختلاف المواقع وفصول السنة . ففي المناطق الساحلية ، يتكون الغذاء الأساسى خلال أشهر الصيف والشتاء من دقيق الشعير الذى يغلونه بالماء حتى يصبح عجينا كثيفا ، ثم يضاف إليه المرق واللحم وبعض الخضروات ، ويسمونه « البازين » . وفي أوائل الخريف ، يستعاض عن البازين إلى حد ما بالتمر الطازج . وفي شهرى فبراير ومارس ، يتكون الطعام الرئيسى من التمر المجفف ، واللبن المخيض ، وخبز الشعير . أما فى المناطق الجبلية ، فيتكون الطعام الأساسى من خبز الشعير ، والتمر المجفف ، وبعض أنواع الفسكهة كالتين ، والتين الشوكى . وفي الأماكن الصحراوية ، يؤكل التمر المجفف على مدار السنة ، وفي الصيف يضاف إليه خبز الشعير والحليب .

ولا يحتوى طعام السكان عادة على خضروات طازجة ، ولكن بعضهم يستعمل القرع الأصفر ، والبطاطس والطماطم والبصل . وتضاف هذه الخضروات إلى الكسكسى ، كما يستعمل مسحوق الفلفل الأحمر بكثرة لإعطاء نهكة للطعام .

أما فى المدن ، فإن الأهالى يكثرون من تناول الكسكسى بالخضار والبيض واللحم ، والمكرونة ، والخبز المصنوع من دقيق مستورد ، والأرز ، والسمك الطازج ، واللاحوم ، كما إن أكثرهم يتناول « البازين » مرة فى الأسبوع على الأقل على مدار السنة . وتناول الخضروات المطبوخة أو الطازجة قليل بالنسبة للشعوب العربية الأخرى ، كما أن طريقة الطهى تختلف اختلافا كبيرا عما هو مألوف فى الشرق .

ولا توجد فى طرابلس بعض الأصناف الغذائية المعروفة فى مصر والبلاد السورية ، كما أن بعض الأصناف الأخرى نادرة الوجود والاستعمال .

ومن الأصناف النادرة الوجود أو المفقودة : الجبنة البيضاء (الدوبل كريم) ،
الجبنة الرومي ، والحلاوة الطحينية ، والطحينة ، والحلويات الشرقية (السكفانة
والبقلاوة وغيرها) .

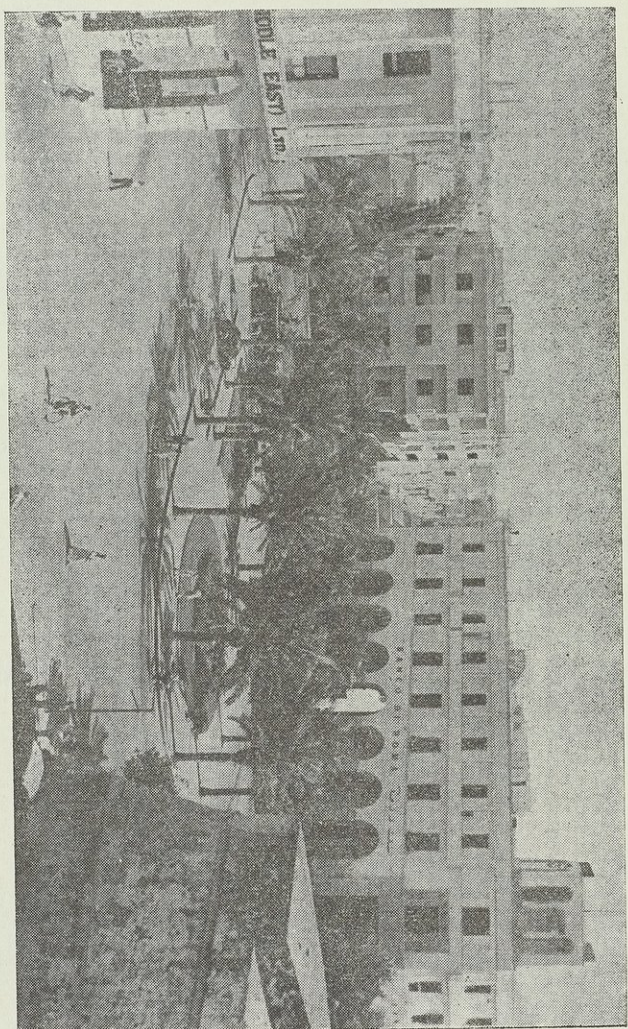
ومن الناحية الأخرى ، تنتج البلاد أصنافا ممتازة من الفاكهة (كالعنب والتين
والخوخ والبرتقال والبطيخ) ، كما تستورد أصنافا أخرى من إيطاليا (كالتفاح
والكمثرى) . أما الموز المحلي ، فلا يرتقى إلى مرتبة الموز المغربي المعروف في مصر ،
وهو ذو قشرة غليظة ، كما إنه مرتفع الثمن ، ويباع بالقطعة .

ويكثر الطرابلسيون من شرب الشاي (ويسمونه الشاهي) . وكانوا لا يستعملون
قبل الحرب الأخيرة إلا الشاي الأخضر ، فلما انقطع ورود هذا النوع ، لجأوا إلى
أنواع الشاي الأخرى . وتختلف طريقة تحضيره عما هو معروف في الشرق ، إذ
يفلونه بالماء حتى يسودّ لونه ويكشف ، ثم يصبونه من وعاء إلى آخر حتى يكون
رغوة كـرغوة البيرة . وبعد إضافة السكر ، يقدمونه في كؤوس صغيرة ، مضافا إليه
اللوز المقشور أو الفول السوداني (الكاكاوية) . وقد جرت العادة على تقديم ثلاثة
كؤوس للضيف ، ولا يكون إتمام الأكرام إلا به .

ولا يحتسى الطرابلسيون القهوة إلا في النادر .

ويشرب الطرابلسيون شراباً يستخرج من جذوع النخل ، ويسمونه « اللاقبي »
فاذا احتسى طازجا ، كان له قوام الحليب ولونه ، حلو الطعم ، ولا أثر له . أما إذا
ترك بضعة ساعات ، فإنه يتخمر ، ويتحول إلى شراب مسكر حامض المذاق .

وتفزر النخلة الواحدة يوميا حوالي ٣٠ لتراً من « اللاقبي » ، وربما أكثر .
ولا يجوز إستخراج اللاقبي إلا بتصریح من السلطات ، وفي هذه الحالة توضع علامة
مميزة على النخلة ، ويشترط على المزارع أن يغرس نخلة أخرى عوضاً عن النخلة
المصرح بجذعها .



ميدان الشهداء — طرابلس

[تصوير المؤلف]

الثقافة والتعليم والصحافة

لقد واجهت الحكومة الوطنية ، عند استلامها زمام الأمور في مطلع العام الماضي صعوبات خاصة لم تعرفها البلاد الأخرى . فقد كانت المدارس الليبية فيما قبل الحرب تتبع منهجاً أجنبياً خاصاً بالإيطاليين ، وكان عدد من يتلقى العلم مع هؤلاء قليلاً جداً ، ومنهم تكونت معظم طبقة المعلمين المدرسين تدريباً وسطقاً .

وبسبب قلة وسائل التعليم قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت درجة الأمية عالية جداً ، فهي أكثر من ٨٥ بالمائة ، كما أن عدد الليبيين الحائزين على شهادات دراسية عالية قليل جداً .

وفي سنة ١٩٥٠ ، كان في إقليم طرابلس ١٣٨ مدرسة بما في ذلك مدرستان ثانويتان وداران للمعلمين ، بلغ مجموع تلامذتها ٢٣,٧١٦ طالباً . وبالإضافة إلى ذلك ، تأسست في ولاية طرابلس بمساعدة منظمة التربية والتعليم والثقافة التابعة للأمم المتحدة ، عدة مراكز فنية وتدريبية ، ومركز للتدريب الفني والكتاني في مدينة طرابلس ، وهو المعروف اليوم بالكلية الفنية ، وكانت تضم في العام الماضي ٢٣٢ تلميذاً . وفي نهاية العام الدراسي ١٩٥٠ / ١٩٥١ ، كانت هنالك ٢٤٤ مدرسة في طرابلس الغرب ، وعدد طلبتها ٣٢,٩٢٦ طالباً ، وبلغ عدد المدرسين ١,١٩٢ مدرساً ؛ وهذا بخلاف عدد من المدارس القرآنية ، وأربع مدارس ثانوية خاصة (مدرستين في طرابلس وواحدة في كل من زليطن ومصراتة) ، ومدرستين ثانويتين حكوميتين واحدة في طرابلس^(١) والأخرى في الزاوية .

وبتاريخ ١٧ يولية سنة ١٩٥٢ ، سلم وزير أميركا المفوض بطرابلس إلى

(١) بلغ مجموع عدد تلامذة المدرسة هذا العام ٤٨٣ طالباً ، ومجموع عدد أساتذتها ٣٦ أستاذاً منهم ١١ ليبيا و ١٠ مصريين و ٧ فلسطينيين و ٣ انجليز و ٥ إيطاليين . وينال المتخرجون شهادة التوجيهية التي تفوّل لهم حق دخول الجامعات المصرية .

حضرة رئيس الوزراء شيكا بمبلغ ١٨٠.٠٠٠ دولار لإنشاء عشرة مدارس جديدة ، وإصلاح ثلاثة أخرى في ولاية طرابلس الغرب .

وتتبع المدارس الطرابلسية في مناهجها النظام المصري ، كما تدرس فيها الكتب المدرسية المصرية ، فيما عدا التاريخ والجغرافيا .

ويوجد في طرابلس الغرب عدد من المدارس الإيطالية ، ولا توجد فيها مدارس أجنبية أخرى .

ويقدم مكتب المعلومات الأمريكي بطرابلس دورات مسائية لتعليم اللغة الإنجليزية ، ويقدر عدد المتحقيين في الدورة الحالية بحوالى ١٣٠ شخصاً .

تعليم البنات :

لتعليم الفتاة في طرابلس الغرب وضع خاص بالنسبة للقاليد التي لا تزال تكبل البيئة المحافظة في هذه البلاد ، ولكن للملاحظ أن عدد الطالبات اللييات في زيادة مستمرة . وتوجد الآن في المدارس الحكومية حوالى ثلاثة آلاف فتاة ، بما في ذلك طالبات كلية تدريب المعلمات التي افتتحت في مدينة طرابلس في أوائل سنة ١٩٥١ . وكان عدد طالبات هذه الكلية عند افتتاحها ٢٨ فتاة ، تتراوح أعمارهن بين ١٢ و ١٥ سنة . وفي شهر أكتوبر من نفس السنة ، زاد هذا العدد فأصبح ٨٨ . وقد ألحقت بالكلية مدرسة ابتدائية لثلاثمائة من التلميذات الفقيرات ، بقصد تدريبهن على التعليم . وتشرف على دار المعلمات مديرة فلسطينية و ٧ مدرسات فلسطينيات . وتقدم منظمة اليونسكو معونة خاصة لنظارة المعارف الطرابلسية ، وقد وضع مشروع لإنشاء عدد من رياض الأطفال النموذجية ، سيبدأ في تنفيذه قريباً جداً .

الصحافة :

مازالت الصحافة في طرابلس الغرب تحبو في طفولتها الأولى ، إذا ظهرت أول جريدة عربية بعد تحرير البلاد عام ١٩٤٣ ، وتصدر اليوم في مدينة طرابلس الجرائد التالية :

طرابلس الغرب : يومية عربية يصدرها مكتب الصحافة والنشر التابع لولاية طرابلس ، في صحيفتين وأحيانا في أربع صفحات . ويبلغ معدل التوزيع اليومي حوالى ٢٠٠٠ نسخة .

ليبييا الزراعية : نصف شهرية باللغتين العربية والإيطالية ، وتعالج الموضوعات الزراعية . يحررها السنيور كاروتشى فوللى .

كوربيرى دى تريبولى : يومية باللغة الإيطالية ، يصدرها مكتب الصحافة والنشر بولاية طرابلس الغرب . وتوزع يوميا حوالى ٥٠٠٠ نسخة .

صنداى قبلى : إسبوعية باللغة الإنجليزية ، في ثمانى صفحات صغيرة ، ويحررها المستر س . جونستون ، وقد انشئت في أكتوبر سنة ١٩٤٦ .

أوراى تريبولى : جريدة إيطالية أسبوعية مستقلة ، يحررها السنيور جوفانى كايولا .

هذا ويصدر مكتب المعلومات الأمريكى بطرابلس مجلة نصف شهرية باسم « امريكا والعالم الحر » حاوية لأهم المقالات السياسية والثقافية والأدبية ، وتوزع مجاناً على المشتركين .

الموسيقى :

الآلات الموسيقية المعروفة في ريف طرابلس الغرب هي : القصبة (وتسمى المقرونة) ، والطبل ، و « الزكرة » وهي عبارة عن قرينة تشبه قرينة الاسكوتش ، وتستعمل في الأفراح . أما في المدن فتستعمل بعض الآلات الأخرى كالكانون والعود والكنجة ، على نطاق ضيق .

ويستطيط الطرابلسيون الغناء الأندلسي ، والتونسي ، وأخيراً الأغاني المصرية الحديثة . كما إنهم يستسيغون في المدن الموسيقى الغربية وخصوصاً الكلاسيكية ، والأوبرا .

ولا توجد فرق تمثيلية أو موسيقية عربية في طرابلس الغرب ، وتفقر البلاد من هذه الناحية إلى الشيء الكثير .

المكتبات العامة :

توجد في مدينة طرابلس أربع مكتبات عامة هي :

(١) مكتبة الحكومة

(٢) مكتبة الأوقاف

(٣) مكتبة مكتب المعلومات الأمريكي (والمكتب مكتبة خاصة

بالسيدات والأولاد)

(٤) مكتبة مكتب المعلومات البريطاني

وتضم هذه المكاتب آلافاً من الكتب بشتى اللغات ، وهي مفتوحة للجمهور يومياً ماعدا أيام العطلة الرسمية .

السجون وحوادث الاجرام

فيما يلي بيان بالسجون الموجودة في طرابلس الغرب ومعدل عدد النزلاء

الشهرى في سنتى ١٩٤٩ و ١٩٥٠ :

١٩٥٠		١٩٤٩		السجن
اناث	ذكور	اناث	ذكور	
—	٢٥٠	—	٢٩٥	السجن المركزى
—	١٥٨	—	٢٤١	سجن الجديدة
—	١٢٤	—	١٤٠	سجن عين زارة
—	—	—	—	سجن قرقارش
—	٤٤	—	—	(١) قسم الرجال
٤١	—	٤٧	—	(ب) قسم النساء
—	٢٨	—	—	قسم المستشفى
—	٥٩	—	٥٤	سجن غريان
—	٧٠	—	٩٥	سجن الخمس
—	١٠٤	—	٩٥	الأصلاحية
٤١	١١٠٧	٤٧	١١٥٤	المجموع

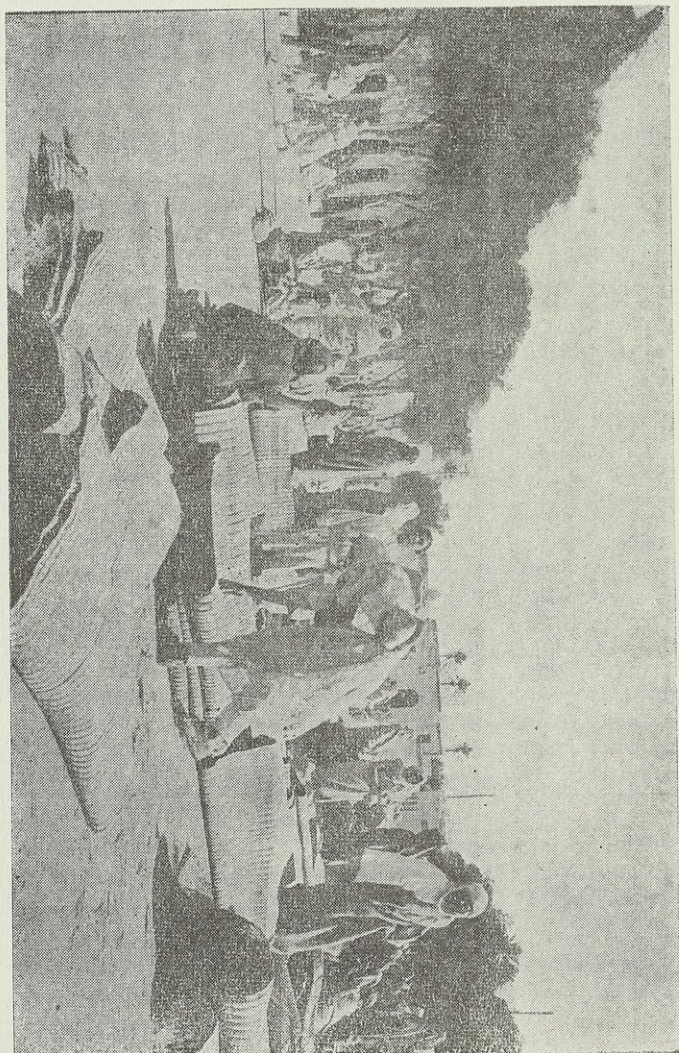
وتملك مصلحة السجون مزرعتين كبيرتين وورش كاملة الأدوات لتدريب المسجونين على الحرف المختلفة ، ومنها : النجارة والخياطة وصنع الأحذية وصناعة المعادن ولحام الآكسجين والكهرباء وغيرها . وقد أنشئت مدرسة كبرى لتدريب الأحداث على الصناعات المختلفة ، بالإضافة الى تلقينهم العلوم النظرية الأخرى ، ويقوم بالتدريس فى هذه المدرسة أساتذة مقتدبون من وزارة المعارف ، وعدد من

حملة الشهادات الصناعية . وتتبع اصلاحية الأحداث مزرعة صغيرة مساحتها ١٧ فداناً ، وتزرع فيها أشجار الزيتون والمشمش ، كما يزرع فيها القول السوداني ويختلف أنواع الخضروات .

ويسمح نظام السجون للأقارب بزيارة المسجونين من ذوى السلوك الحسن ، كما يجوز أن يحضروا لهم معهم الطعام والفاكهة ، بعد مراقبتها من مأمورى السجن .

وفى يلي بيان بالجرائم المختلفة من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٥١ : —

السنة	جرائم قتل	محاولة قتل	اعتداء	سرقا مختلفة	سرقة حيوانات	جرائم اخلاقية	مخالفات	جنح مختلفة
١٩٤٤	٤٠	٢٤	٢٩٧	١٣٥٧	١٧١	٦١	٣٠٦٢	٢٧٣٢
١٩٤٥	٧٤	٢٧	٢٦٤	١٢٩٠	٩٣	٥٤	٤٠٨٨	٢١٩٤
١٩٤٦	٤٤	٩	٣١٥	١٣٢٧	٩٨	٤٩	١١٤٣٠	٢٧١٦
١٩٤٧	٥٧	٤٠	٤١٠	٢٩١٩	٣٦٦	٦٩	٢٠٥٧٨	٢٧١٧
١٩٤٨	٤٩	٣٠	٥٥٦	٣٠٥٣	٣٨٦	٦٢	٢٠٨١٠	٣٣٧٨
١٩٤٩	٤٧	٣٤	١٨٩١	٣٤١١	٨٧	٧٥	٢٠٣٤٥	٢٨٧٩
١٩٥٠	٤٠	٢٤	٢٨٤٥	٤١٥٠	٢٣	١٤٠	٢٠١٨٧	٢٥٥٥
١٩٥١	٤٨	٢٩	٢٨٧٨	٤١٩٩	٤٨	١٥١	٢٠٨١١	٢٦١٤



[تصوير جناح]

سوق الحصر — مصر آله

الفصل الثالث

الحالة الاقتصادية والمالية

النظام النقدي :

صدر قانون النقد الليبي يوم ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وبموجب هذا القانون أنشئت لجنة العملة الليبية ، من سبعة أعضاء ، كما يلي :

عضوان ليبيان تعينهما الحكومة ، أحدهما يعمل كرئيس للجنة عند غياب الرئيس الذي تعينه الحكومة .

عضوان بريطانيان يرشحهما بنك إنجلترا
عضو مصري يرشحه البنك الأهلي المصري
عضو فرنسي يرشحه بنك فرنسا
عضو إيطالي يرشحه بنك إيطاليا

وبتاريخ أول أبريل سنة ١٩٥٢ ، صدرت أول عملة ليبية في عهد الاستقلال وحلت محل الـ « مال » أو الليرة العسكرية في طرابلس ، والجنيه المصري في برقة ، والفرنك الجزائري في فزان . ويعادل الجنيه الليبي الجنيه الأسترليني في القيمة ، وهو مقسم إلى ألف مليم ، ومئة قرش .

الدخل القومي :

تعتبر ليبيا من البلاد الفقيرة بالنسبة لمتوسط الدخل السنوي للفرد ، إذ لا يزيد هذا المتوسط في ليبيا على خمسة عشر جنهما ، بينما هو في مصر مثلاً ٣٦ . والمقارنة ،

نورد فيما يلي بياناً بمتوسط الدخل السنوى للفرد في بعض البلدان الشرقية الأخرى :

أفغانستان	١٦٥	ج . ل . (استرليني)
مصر	٣٦	»
إيران	٣٢	»
العراق	٣٢	»
لبنان	٥١	»
تركيا	٤٥	»
اليمن	١٥	»
الهند	١٧	»

ويرجى أن يتحسن هذا الوضع بعد تنفيذ المشروعات الاقتصادية ومشاريع التنمية التي تقوم الحكومة الآن بتنفيذها بمساعدة منظمات هيئة الأمم والمؤسسات الأخرى .

الإنتاج - (أ) : الزراعة وتربية الماشية :

تعتمد إقتصاديات البلاد إلى حد كبير على الزراعة ، إذ أن ثمانين بالمائة من السكان على الأقل يعملون في هذا الحقل ، ولا يحتمل تصنيع البلاد في وقت قريب ، نظراً لافتقارها إلى معظم المواد الخام التي لاغنى عنها للصناعة .

ويقدر الخبراء أن في إقليم طرابلس الغرب عشرة ملايين هكتار من الأراضي المنتجة ، وثمانية ملايين هكتار من المراعى ، ونحو ٤٠٠ ألف من المليون هكتار الباقية صالحة للزراعة المستقرة ، ولم يشمل الإصلاح إلا جزءاً منها .

وفما يلي إحصاء تقريبي للمساحة التي تزرع زراعة ثابتة في إقليم طرابلس الغرب :

هكتار					
٥٠٠.٠٠٠	...	...	...	...	الواحات الساحلية العربية
١٢٧.٠٠٠	...	...	...	...	البساتين الجميلية العربية
١٢٧.٠٠٠	...	...	...	...	أراضي الإمتياز الإيطالية
٥١.٠٥٨	...	...	...	...	الأراضي الممنوحة لمؤسسة «الأنقى» الإيطالية
٤٦.٢٢٨	...	...	...	...	الأراضي الممنوحة لمؤسسة «الأنبس» الإيطالية
٣.٠٥٠	...	...	...	...	الأراضي المزروعة غابات
٤٠٤.٣٣٦	...	المجموع			

وتعتمد الزراعة في طرابلس إلى حد كبير على المطر ، كما إن طرق الزراعة المستعملة في أغلب المزارع لاتزال هي الطرق البدائية القديمة . ولذا كان اعتماد معظم السكان العرب على محاصيل الأشجار التي لاتتأثر كثيراً بالجذب ، وأهمها الزيتون والتين والتمر . أما الحبوب ، فأهم مايزرع منها هما الشعير والقمح .

وفيما يلي بيان إجمالي لمحاصيل الحبوب في طرابلس الغرب :

السنة	طن شعير	طن قمح
١٩٤٥	٧٠.٠٠٠	٨.٠٠٠
١٩٤٦	٧٥.٠٠٠	٦.٠٠٠
١٩٤٧	١٨.٠٠٠	١.٠٠٠
١٩٤٨	٢٢.٠٠٠	٢.٤٠٠
١٩٤٩	١٤١.٠٠٠	٨.٠٠٠
١٩٥٠	٨٥.٠٠٠	٨.٠٠٠
١٩٥١	٩٢.٠٠٠	٨.٥٠٠

وتدل هذه الأرقام على ما للمناخ من تأثير كبير في الانتاج . فقد كان محصول الشعير في إقليم طرابلس في سنتي الجفاف ، أى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، ١٨ ألف طن و ٢٢ ألف طن على التعاقب ، في حين أن محصول سنة ١٩٤٩ لم يقل عن ١٤١ ألف طن . وتقدر المساحة المزروعة حبوباً بنحو ٣٥٠ ألف هكتار .

ويأتى الزيتون من حيث القيمة الاقتصادية بعد الشعير بين المحاصيل الزراعية ، ويعطى الزيتون الطرابلسى نسبة كبيرة من الزيت ، ويقدر المحصول السنوى منه بما يقرب من ٨٥٠٠ طناً . وينتظر وصول هذا الرقم إلى عشرة آلاف طن ، عندما تنضج أشجار الزيتون التى غرست خلال السنوات الأخيرة . ويقدر عدد أشجار الزيتون في إقليم طرابلس بما يزيد على ٣٥٠٠٠٠ شجرة ، منها حوالى ١٨٠٠٠٠ للايطاليين .

ويزدهر اللوز في طرابلس الغرب ، ويقدر الانتاج الحالى منه بما يقرب من ١٦٥٠ طناً في السنة ، ويقدر عدد الأشجار بحوالى مليونى شجرة . وينتظر أن يصل إنتاج هذه الأشجار إلى خمسة آلاف طن عندما تنضج جميع الأشجار .

ومن الثمار الناجحة في طرابلس ، الموالح (البرتقال والليمون واليوسفى) ، والتين والخواخ ، والمشمش . ويقدر عدد أشجار التين بحوالى ٥٩٥ ألف شجرة ، ولم يصدر من محصولها شيء حتى الآن .

وقد أكثر الإيطاليون من زراعة الكروم في أوائل عهدهم بهذه البلاد ، ويستعمل العنب خاصة في صنع الخمر . وتعتبر بعض أنواع النبيذ الحلى من الأصناف الجيدة ، ولكنها لم تصدر الى الخارج حتى الآن .

ويوجد حوالى عشرون مليون كرمة في إقليم طرابلس ، وبلغ مقدار ما أنتج من النبيذ وأنواع الخمر الأخرى سنة ١٩٥١ حوالى ٢٨ ألف هكتولتر .

وتزرع في إقليم طرابلس كميات من التبغ تكفى الاستهلاك الحلى ، وبالأخص في مستعمرات « الآنى » . وقد بلغ انتاج التبغ سنة ١٩٥١ ، ٨٨٠ طناً .

وقد أدخل الإيطاليون زراعة الفول السوداني (الكاكاوية) إلى طرابلس ، ونجحت نجاحاً باهراً . وقد بلغ انتاج هذا الصنف ١٥٠٠ طناً عام ١٩٥١ ، وصدر بعضها إلى إيطاليا .

ويزدهر شجر الخروع ، بتكاليف قليلة ، على طول الساحل وفي المناطق نصف الصحراوية . وتصدر بذوره إلى الخارج لاستخراج الزيت الذي يستخدم في تزييت الطائرات والآلات الدقيقة ، ولأغراض طبية أخرى .

وينمو في إقليم طرابلس نبات برى اسمه « الحلفا » ويستخدم في صنع الأنواع الرفيعة من الورق وأوراق النقد . وهذا النبات مصدر هام للدخل القومي في طرابلس ، ويبيع الطن الواحد منه بخمسة وثلاثين جنياً (وكان يباع إلى وقت قريب باثنين وأربعين جنياً للطن) . ويصدر منه سنوياً ما قيمته حوالي الثلاثة أرباع مليون جنياً .

وتأتى تربية الماشية والحيوانات في المرتبة الثانية بعد الزراعة ، من حيث القيمة الاقتصادية . وتعتمد تربية الماشية في إقليم طرابلس على الكلا ، ولذا فإن هذه التجارة تتأثر بشدة في السنوات المجبة .

وفيما يل بيان تقريبي بعدد المواشى والحيوانات في إقليم طرابلس :

النوع	العدد بالآلاف
الغنم	٣٥٠
الماعز	٣٦٥
الإبل	٦٠
الأبقار	٣٣
الخيل	٦
الخنازير	٢

ويعتمد على الأغنام في الحصول على الصوف واللحم والحليب . وتستخدم الخيول المحلية في الغالب كحيوانات للحرثة والجر . أما الخنازير ، فيقوم بتربيتها الإيطاليون ، وتسد حاجة الطوائف غير الإسلامية لهذا النوع من اللحم .

(ب) الصناعة :

يلاحظ أن أحوال طرابلس الطبيعية والإقتصادية غير ملائمة لنمو الصناعات الثقيلة ، بسبب افتقار البلاد إلى السكك الحديدية ووسائل المواصلات السريعة والقوة الكهربائية والقوة الشرائية الكافية عند السكان ، فضلاً عن أكثر المواد الأولية والخامات اللازمة .

غير أنه توجد في البلاد بعض الصناعات الفاجحة ، وكلها من الصناعات الخفيفة . وأهمها صناعة الأسماك التي يقوم بها في الغالب الإيطاليون واليونانيون . وهناك تسع شركات لصيد سمك التونة ، ويبلغ ما نصيده سنوياً ألف طن . وتعمل ست شركات إيطالية على حفظ السمك في العلب إبان موسم الصيد فقط (من شهر مايو إلى يوليو) ، نظراً لعدم توفر وسائل التبريد الصناعي . أما السردين ، فيصاد ويحفظ في العلب من قبل شركات صيد التونة ، ويدوم للموسم خمسة أشهر . ويتراوح إنتاج السردين بين ٣٠٠ و ١٠٠٠ طن في الموسم ، ويصدر معظمه ، وهو من النوع غير الجيد ، إلى مصر . ومن الصناعات أيضاً ، صناعة عصر الزيوت النباتية وتكريرها . وتوجد في إقليم طرابلس أربع معاصر حديثة لزيت الزيتون ، وعدد من المعاصر الصغيرة البدائية .

وتوجد في طرابلس أربع مطاحن كبيرة للدقيق ، و ١٢ مصنعةً للمكرونة ، ومصنع واحد لصنع البيرة من الشعير الخاص المستورد ، كما يوجد مصنعان لتقطير الكحول ، وعدد من مصانع التقطير الصغيرة لإنتاج الخمور المحلية من التمر ، و ١٢ مصنعةً لإنتاج المياه المعدنية والمرطبات . ويقوم مصنعان حديثان بأعمال دباغة الجلود

وتحضيرها . وقد بلغ إنتاج هذين المصنعين سنة ١٩٥١ حوالى ٤٥ طناً من مختلف أنواع الجلود ، وذلك بخلاف عدد من مداخل الجلود الصغيرة .

ويوجد فى طرابلس مصنع واحد لإنتاج ورق اللف ، ويبلغ إنتاجه السنوى حوالى ٤٠٠ طن . ومصنع واحد للشمع . ومصنعان للثلج .

ولا تزال المنسوجات تصنع بطريقة الأنوال اليدوية ، وقد أنشئ حديثاً مصنع آلى كبير لإنتاج المنسوجات المختلفة ، وينتظر أن يباشر أعماله قريباً . وتوجد فى مدينتى طرابلس ومصراته بعض المؤسسات التى تنتج هذه السلع على أساس صناعى ، وتوجد مؤسستان لصنع البسط (الأكمة) الجيدة النوع ، ولكن لم يصدر منها شئ للخارج حتى الآن .

وتدير مصنع السجائر فى مدينة طرابلس شركة التبغ البريطانية الأمريكية ، على أساس حصولها على مرتبات ثابتة وحصصة مئوية فى الأرباح . وينتج هذا المصنع سنوياً حوالى ٣٩٠.٠٠٠.٠٠٠ سيجارة ، و ١٢٥.٠٠٠ كيلو جرام من الطباق .

وتوجد مخططان لتوليد القوة الكهربية فى مدينة طرابلس ، أنشأتهما وتديرهما شركة إيطالية . وتنتج هاتين المخططين فى الوقت الحاضر ٦٣٠٠ كيلوات بقوتهمما العادية ، و ٦٩٠٠ كيلوات بقوتهمما فوق العادية . وتدير هذه الشركة مخططين آخرين ، أحدهما فى مصراته ، قوة توليدها الموضوعة ٤٧٠ كيلوات ، والأخرى فى مدينة الخمس ، وتبلغ قوتها الموضوعة ١٦٠ كيلوات .

وتقوم شركة إيطالية بإنتاج الغاز فى مدينة طرابلس ، وتبلغ طاقتها الإنتاجية ٤٢٠ ألف متر مكعباً فى الشهر ، فى حين أن إنتاجها الفعلى هو ٢٢٥ ألف متر مكعباً فقط .

المالية العامة :

أولاً — الإيرادات : تتكون إيرادات الحكومة فى طرابلس من عدد من

الضرائب المباشرة (حوالى ٣٠ بالمئة من مجموع الإيرادات) ، والضرائب غير المباشرة (حوالى ٧٠ بالمئة من مجموع الإيرادات) .

ولا تزال ضريبة الدخل تجبى فى طرابلس بمقتضى القانون الإيالى . وبمقتضى هذا القانون ، تجبى ضريبة قدرها ١٥ ٪ على الأرباح الناتجة من استثمار رأس المال فى غير الأبنية والأراضى ، و ١٠ ٪ على الأرباح الصناعية والتجارية والمهن الحرة ، و ٨ ٪ من مرتبات الموظفين ، و ٤ ٪ من أجور العمال . وليس ثمة نظام تصاعدى لمعدل الضريبة ، كما إنه لا يعفى من دفع الضريبة ، بموجب النظام الجديد ، إلا الذين تقل دخولهم عن ٨٠ جنيتها فى السنة .

وينخضع الدخل الناتج من المباني للضريبة على المنازل بمعدل ٨ ٪ من صافى الدخل . وقد حدد صافى الدخل بأنه الدخل الإجمالى بعد خصم الثلث ، ولا يسمح بأية تخفيضات أخرى . وتعفى المباني العامة وبعض المباني الجديدة الأخرى خلال بعض السنوات الأولى من دفع هذه الضريبة .

وتختلف أنظمة جباية الضرائب على الزراعة . فى قسم من البلاد تجبى « الضريبة الزراعية » بمعدل ١٠ ٪ من القيمة التقديرية للمحصول ، بما فى ذلك الخضروات والحبوب والفاكهة والزيتون والبلح وغيرها . وفى أجزاء أخرى من إقليم طرابلس ، تجبى ضريبة العشر على الحبوب والأشجار بدلاً من « الضريبة الزراعية » بمعدل ١٠ ٪ من المحصول ، وتجمع عينا . وتجبى ضريبة العشر على الأشجار بمعدل ١٠ ٪ من قيمة محصولها ، وتدفع نقداً .

وبالإضافة إلى ماتقدم ، توجد ضريبة الماشية بمعدل ٢ ٪ من قيمة كل رأس من الأبقار والخيول والغنم والماعز .

وتشتمل أبواب الإيرادات الأخرى على أرباح « التجارة الحكومية » ، وهى ناتجة عن بيع السلع التموينية من قبل إدارة التموين بنظارة المالية . وتشتمل كذلك

على الإيرادات الناتجة من الرسوم ، والرسوم الجمركية ، والمواصلات ، وضريبة الملاهي والرخص وغيرها .

ثانيا المصروفات : إن مصروفات الحكومة في الوقت الحاضر تفرضها وتحددها احتياجات الانتاج والتنمية الاقتصادية والتعليم والصحة والخدمات الاجتماعية والإصلاح الجزئي لأضرار الحرب ، واعانة مشروعات الاستعمار الإيطالية ، والحفاظة على المنافع العامة . وهذا كله يتطلب نفقات تتعدى الإيرادات العادية . وقد بلغ العجز في ميزانية ولاية طرابلس للسنة المالية المنتهية في ٣١ مارس سنة ١٩٥٠ ، حوالى ٤٠٠ ألف جنيه ، وبلغ مجموع الإعانات المالية المقدمة للأقليم خلال سنوات الادارة البريطانية (١٩٤٣ — ١٩٥٠) ٥٧٣, ٨١٠, ٢ ر جنيهاً . وقد بلغ العجز في ميزانية السنة المالية المنتهية في ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ أكثر من مليون جنيه — باستثناء إيرادات الجمارك التي تدفع بكاملها للحكومة الاتحادية — وقدرت في الميزانية المذكورة بمليون و ٢٣ جنيه .

وفىما يلى بيان ميزانية طرابلس الغرب للسنة المالية من أول أبريل سنة ١٩٥٢ ،
إلى ٣١ مارس سنة ١٩٥٣ :

بند المصروفات	الرواتب (ج . ل)	نفقات أخرى (ج.ل)	الجملة (ج . ل)
الوالى	٣٣٣ ر ٣٠٠	٣٠ ر ٠٠٠	٦٣٣ ر ٣٠٠
الداخلية	٤٩٥ ر ٠٤٠	٣٨١ و ٦٦٠	٨٧٦ ر ٧٠٠
المالية	٩٠ ر ٧٣٠	٣٢٣ ر ٦٤٠	٤١٤ ر ٣٧٠
الزراعة	٤٠ ر ١١٠	١١٠ ر ٨٩٠	١٥١ ر ٠٠٠
المواصلات	٣٦ ر ٠٤٥	٢٦٨ ر ٩٥٥	٣٠٥ ر ٠٠٠
المعارف	٢٣٤ ر ٦١٠	٧٨ ر ٣٩٠	٣١٣ ر ٠٠٠
الصحة	٨٨ ر ٩٩٠	١٥٣ ر ٠١٠	٢٤٢ ر ٠٠٠
العدل	٧٠ ر ٨١٠	٥ ر ٦٩٠	٧٦ ر ٥٠٠
الأشغال	٥٧ ر ٤٥٠	٢٤٣ ر ٥٥٠	٣٠١ ر ٠٠٠
جملة المصروفات الداخلية	١ ر ١٤٧ و ٠٨٥	١ ر ٥٩٥ و ٧٨٥	٢ ر ٧٤٢ و ٨٧٠
الإيراد المقدر			١ ر ٦٤٢ و ٨٧٠
العجز المقدر الذى يجب تلافيه من حكومة ليبيا يستنزله ما يدفع لمصروف الديوان الملكى			
صافى العجز	١٠٠ ر ٠٠٠	٣٠ ر ٠٠٠	١٠٧٠ ر ٠٠٠

وفيا يلي بيان ميزانية الحكومة الاتحادية عن المدة ذاتها :

جنيهه لبي

٢٩٨٥١١٣

٨٤٧٧٩٠

٢١٣٧٣٢٣

الإيراد المقدر لحكومة ليبيا

المصروفات المقدرة لحكومة ليبيا

الرصيد المخصص للولايات

وفيا يلي جدول بتفاصيل الإيرادات المقدرة للحكومة الليبية ، عن المدة ذاتها :

جنيهه لبي	جنيهه لبي	التفصيلات
		<u>الجمارك والمكوس :</u>
	٤٠٠٠٠٠	برقة
	٢٥٣٠	فزان
١٤٢٥٥٣٠	<u>١٠٢٣٠٠٠</u>	طرابلس
		<u>البريد والمواصلات السلكية :</u>
	١٠٤٠٠٠	برقة
	٢٦٦٠	فزان
٢٨٦٢٦٠	<u>١٨٠٠٠٠</u>	طرابلس
		<u>المنح الأجنبية على سبيل المساعدة :</u>
	١١٠٠٠٠	بريطانيا
١٢٧٣٣٢٣	<u>١٦٣٣٢٣</u>	فرنسا
<u>٢٩٨٥١١٣</u>		<u>جملة إيراد الحكومة الليبية :</u>

التجارة الخارجية :

تبين الأرقام الرسمية أن طرابلس الغرب صدرت من المحصولات الزراعية والأسماك والحيوانات ومشتقاتها في سنة ١٩٤٥ ، ما قيمته مليون جنيه، وفي سنة ١٩٤٦ بلغت قيمة الصادرات ١٦٠٠.٠٠٠ ر. ج فيها، وفي سنة ١٩٤٧ بلغت قيمتها ١٢٠٠.٠٠٠ ر. ج فيها، وفي سنة ١٩٤٨ ، ١٦٠٠.٠٠٠ ر. ج فيها ، وفي سنة ١٩٤٩ ، ١٨٠٠.٠٠٠ ر. ج فيها، وفي سنة ١٩٥٠ ، ٢٣٠٠.٠٠٠ ر. ج فيها . وتؤلف المواد الغذائية حوالى ٥٩ ٪ من مجموع الصادرات ، وتؤلف المواد الخام التي هي من أصل زراعى حوالى ٢٨ ٪ ، والمصنوعات الجاهزة حوالى ١٣ ٪ .

وفيما يلى بيان تفصيلى بصادرات ولاية طرابلس الغرب خلال السنوات ١٩٤٥ إلى ١٩٥٠ ، نقلا عن المصادر الرسمية :

صادرات طرابلس الغرب (بآلاف الجنيهات الاسترلينية)

المواد	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠
الحيوانات	—	٩٦٧٧	١٠١٥٥	٧٤٧٧	٤٣٧٣	٧٧١
الشعير	٥٠٥٥٤	٧٧٠٧٢	—	—	٢٧٨٧٣	٥٧٧٧٧
سمك التونة والسردين	٨٦٧٨	١٨٧٧١	١٠٨٧٦	١٨٢٧٠	١٨٩٧٧	١٦٢٧٠
الفول السوداني	٢٣٣	—	—	٥٤٧٥	١٠٤٧٦	٩٨٧٧
التمر	٨٨٧٥	٥٣٧٩	١٥٧٠	٣٢٧٤	١٣٧٦	٢٥٧٩
القمح والدقيق	—	١٠٠٧٩	٢٥٧٨	—	—	١٧٤
مواد غذائية أخرى	١٣٨٧٥	١٢٤٧٥	٩٤٧٣	١٤٠٧٤	١٢١٧٧	٤٥٦٧٦
مجموع المواد الغذائية	٨٢١٧٥	١٣٣٢٧٣	٣٤٥٧٢	٤٨٤٧٠	٧٥١٧٢	١٣٤٩٧٤
الحلقة	—	—	٨٦٧٦	٢٥٩٧٢	١٦٤٧٣	٢٠١٧١
معدن خردة	—	٥٧٢	١٨٥٧٦	١٧٢٧٩	١٤٢٧١	١٢٥٧٩
الاسفنجة الخام	٢٥٧٤	٢٤٧٤	٢٤٧٤	٧٩٧٥	١٦٧١	٦٣٧٧
الجلود	١٣٧٥	٦٢٧٥	٩٥٧٧	٦٣٧٣	٤٨٧٨	٦٠٧٩
التبغ غير المصنوع	—	١٠٧٦	٣١٧٤	٧٤٧٧	—	—
مواد خام أخرى	٣٠٧٣	٣١٧٥	٦٣٧٠	٥٥٧١	٥٠٧٤	١٧٢٧٥
مجموع المواد الخام	٦٩٧٢	١٣٤٧٢	٤٨٦٧٧	٧٠٤٧٧	٤٢١٧٧	٦٥١٧١
المنسوجات	٣٧٧٥	٦٣٧٦	١٧١٧٨	١٧٥٧١	١٢١٧٢	٧٨٧٤
السجائر والتبغ المصنوع	١٠٧٠	١٢٧١	٤٤٧٩	٦٣٧٧	٧٥٧٦	٧٥٧٦
السلع المخذومة الأخرى	٧٥٧٢	٦٣٧١	١٤١٧٩	١٤٣٧٨	٧٨٧٥	١٣٤٧٢
مجموع السلع المصنوعة	١٢٢٧٧	١٣٨٧٨	٣٥٨٧٦	٣٨٢٧٦	٢٧٥٧٣	٢٨٨٧٢
متنوعات	٢٦٧٤	١٢٧١	١٤٧٧	١٧٧٥	٤٧٣	١٧٢
المجموع الكلي	١٠٣٩٠٨	١٦١٨٧٤	١٢٠٥٧٢	١٥٨٨٧٢	١٤٥٢٧٥	٢٢٨٨٧٧

أما الواردات، فيتألف معظمها من بعض المواد الغذائية كالقمح والشعير والمواد الغذائية الأخرى ، والمنسوجات ، والمواد البترولية ، والمن منتجات الكيماوية ، والسيارات ، والآلات ، والمصنوعات المختلفة . وفيما يلي بيان بواردات طرابلس الغرب خلال سنوات ١٩٤٥ الى ١٩٥٠ :

واردات طرابلس (بآلاف الجنيهات الاسترلينية)

النوع	١٩٤٥	١٩٤٦	١٩٤٧	١٩٤٨	١٩٤٩	١٩٥٠
قمح	٢٣٥٠٦	١٢٨٠١	٢٢٢٠٢	٥٧٥٠٤	٥١٨٠٣	٣٥٥٠٥
شعير	—	—	٢٤٩٠٥	٦٧٦٠٦	١١٨٠٨	—
سكر	١١٥٠٤	١٦٥٠١	١٦٧٠٨	٢١٣٠٧	٢٤١٠١	٣١٢٠١
شاي	٩١٠٥	١٤٥٠٢	٣٦٤٠٩	٨٤٠	١٣٠٠٨	٢٤٧٠١
مواد غذائية أخرى	١٤٣٠٧	١٦٨٠٧	٧٧٠٠٤	٣٣٤٠٤	٢٥٨٠٢	٦٣٥٠٩
{ القيمة الإجمالية للمواد الغذائية	٥٨٦٠٢	٦٠٧٠١	١٧٧٤٠٨	١٨٨٤٠١	١٢٦٧٠٢	١,٥٥٠,٠٦
منسوجات قطنية	٣٩٥٠٤	١٢٥٠٠	٣٦٤٠٨	٢٦٢٠٤	٤٢٤٠٧	٢٧٥٠٢
منسوجات أخرى الخ	٩٥٠٢	١٧٧٠٨	٢٣٠٠٧	٣٠٦٠٧	٥١٠٠٧	٤٧٠٠٤
{ القيمة الإجمالية للمنسوجات الخ	٤٩٠٠٦	٣٠٢٠٨	٥٩٥٠٥	٦٥٩٠١	٩٣٥٠٤	٨٤٥٠٦
بتروول وزيوت التشحيم	١١٢٠٣	١٤٢٠٤	١٥٦٠٥	١٨١٠٣	٣٣٠٠٥	٤٢٣٠٩
منتجات كيميائية أخرى	١٣٠٠٤	٧٢٠٩	١١٨٠٣	١١٨٠٩	١٧٢٠١	٢٥٥٠٦
القيمة الإجمالية للزيوت والسلع الكيميائية	٢٤٢٠٧	٢١٥٠٣	٢٧٤٠٨	٣٠٠٠٢	٥٠٢٠٦	٦٧٩٠٥
خم	٢٠٣٠١	١٩٠٠٧	١٧٩٠٥	٢٢٧٠٥	١٤٨٠١	١٧٥٠٤
سلع معدنية وسيارات الخ	٦٠٠٤	٢٩٠٠٨	٨٩٠٣	٢٣١٠٠	٢٦٤٠٥	٦١١٠٤
جميع الواردات الأخرى	٢٤٧٠٣	٢٨٦٠٣	٢٧٥٠٧	٦٠٦٠٤	٥٨٥٠٤	٦٨٧٠٠
المجموع الكلي	١٨٣٠٠٣	١٦٣٢٠٠	٣١٨٩٠٦	٣٨١٨٠٣	٣٧٠٣٠٢	٤,٥٥٠,٠٥

ويتضح من مقارنة الواردات والصادرات ، أن طرابلس الغرب تستورد سنوياً سلعاً تزيد قيمتها على ثمن ما تصدره بأكثر من الضعف . فقد كان فائض الإستيراد سنة ١٩٤٥ حوالى ٧٦٠ ألف جنيه ، وفى سنة ١٩٥٠ ، وصل هذا الفائض إلى ٢,٢٦١,٨٠٠ جنيه .

البنوك :

توجد في مدينة طرابلس اليوم فروع للبنوك الأجنبية التالية :

بنك باركلز ، بنكو دي روما ، بنكو دي نابولي ، وبنكو دي سيشيليا . وقد استأنفت البنوك الإيطالية أعمالها في النصف الثاني من سنة ١٩٥١ ، بعد أن ظلت مغلقة طيلة مدة الاحتلال البريطاني .

وفيما يلي ، بيان بالودائع الأهلية والقروض الممنوحة في سنتي ١٩٥٠ و ١٩٥١ ، بالجنيهات الاسترلينية :

ودائع أهلية			
البنك	٥٠/١٢/٣١	٥١/٦/٣٠	٥١/١٢/٣١
باركلز	١٦٠٩٤٦١	١٢٠٢١٥٨	١٠٥٥٨٩٩
البنوك الإيطالية	—	—	١٤٢٥٧٠١
المجموع	١٦٠٩٤٦١	١٢٠٢١٥٨	٢٤٨١٦٠٠
النقود المتداولة	٢٣٤٥٣١٢	٢٥٣٧٣٣٦	٢٦٩٣٣٤٢
مجموع النقود	٣٩٥٤٧٧٣	٣٧٣٩٤٩٤	٥١٧٤٩٤٢

قروض			
البنك	٥٠/١٢/٣١	٥١/٦/٣٠	٥١/١٢/٣١
باركلز	١٢٣٥٣٦	٢٣١٤٦٩	٣٩٣٩٦٤
البنوك الإيطالية	—	—	٤٣٧١٦٣
المجموع	١٢٣٥٣٦	٢٣١٤٦٩	٨٣١١٢٧

ومما تجدر ملاحظته أن الودائع الأهلية في البنوك تمثل ٤٧٪ من مجموع كمية

النقود ، بينما نسبها في تونس هي من ٥٥ إلى ٦٠ بالمائة ، وفي برقة ٣٢ بالمائة فقط .

مشروعات التنمية الاقتصادية في ليبيا :

تقدم هيئة الأمم ، بموجب برنامجها الموسع للمساعدة الفنية ، الخبراء لإعداد التوصيات التي تقدم إلى الحكومة الليبية بشأن وضع خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد الليبية . وقد وضع هؤلاء الخبراء الذين استقدمتهم الأمم المتحدة ومنظمة العمل الدولية ، ومنظمة الأغذية والزراعة ، ومنظمة التربية والعلوم والثقافة ، ومنظمة الصحة العالمية ، عدة تقارير تضمنت توصيات عملية كثيرة . وفضلا عن ذلك ، تقدم هذه الهيئات بعض المساعدات المالية . ويشرف على أعمال هيئة الأمم بطرابلس « ممثل مقيم للمساعدة الفنية » ، وذلك بمقتضى طلب تقدمت به الحكومة الليبية إلى الأمم المتحدة بتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠ . وقد وقع مشروع الاتفاق بين الحكومة الليبية ومندوب الأمم المتحدة مساء ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، وهو يوم إعلان الاستقلال . وينص الاتفاق الأساسى للمساعدة الفنية على أن تتحمل المنظمات الممثلة في مجلس المساعدة الفنية الجزء الأكبر من النفقات المحلية الخاصة بتقديم المساعدة الفنية . ولا تشمل هذه النفقات دفع الرواتب فحسب ، ولكنها تشمل أيضاً نفقات السفر وبدل الإقامة ومصروفات المكاتب والإدارة ، كما التزمت الحكومة الليبية من جانبها بأعداد المكاتب ومواجهة نفقات الاتصالات الرسمية ، والعناية الطبية بالخبراء .

وبتاريخ ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ ، صدر قانونان بإنشاء « المؤسسة الليبية العامة للتنمية والاستقرار » و « الشركة المالية الليبية » . والغرض من إنشاء المؤسسة الأولى ، كما جاء في المادة الثانية من القانون الخاص بإنشائها ، هو « أن تشجع وتساعد على التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا ، بأن تضمن القيام بالاستقصاء اللازم ووضع البرامج والمشروعات الخاصة بالمساعدة الفنية ، واستغلال موارد ليبيا ، وتمويلها

وتنفيذها بقصد زيادة الإنتاج ، وبخاصة إنتاج المواد الغذائية والمواد الخام ، فيرتفع مستوى معيشة الشعب الليبي تبعاً لذلك .

« وأيضاً ، تساعد بأعمالها على استقرار الاقتصاد الليبي ، ولا سيما في فترات القحط أو الفترات الأخرى التي يشهد فيها الضيق الاقتصادي ، كما تضمن الحصول على المؤن الضرورية بتكوين احتياطي من المواد الغذائية ، وإيجاد أعمال إضافية ، وتوفير المساعدة المالية في صورة قروض أو منح ؛ وأن تساعد بأعمالها ، كذلك ، على نمو التجارة الخارجية الليبية نمواً متوازناً ، وعلى تحقيق التوازن في ميزان المدفوعات بصفة مستمرة » .

ويتكون رأس مال هذه المؤسسة من الإعانات السنوية التي تدفعها حكومات أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا . وقد برزت إلى عالم الوجود بصفة رسمية يوم ٦ مارس سنة ١٩٥٢ ، عندما عقدت أول اجتماع لها ، وأصدرت ميزانيتها التالية ، لعام ١٩٥٢ / ٥٣ .

ج . ل .	الإيراد
٣٨٠ ر ٠٠٠	مساهمة المملكة المتحدة (بريطانيا)
١٠٠ ر ٠٠٠	مساهمة فرنسا
١٠ ر ٠٠٠	مساهمة إيطاليا
٣٥٧ ر ٠٠٠	مساهمة الولايات المتحدة
٨٤٧ ر ٠٠٠	
٢١١ ر ٧٥٠	رصيد الاستقرار بواقع ٢٥ ٪
٦٣٥ ر ٢٥٠	رصيد التنمية (الباقي)

ويقوم بإدارة أعمال المؤسسة مدير عام بالنيابة عن رئيس مجلس الإدارة .

ويتألف مجلس الإدارة من عضو أصلي وآخر احتياطي معينين من قبل كل حكومة من الحكومات المشتركة في المؤسسة بما لا يقل عن عشرة آلاف جنيه ليبي ، أو ما يعادل قيمتها سنوياً . وتعين الحكومة الليبية أيضاً عضواً أصلياً وآخر احتياطياً . ويعمل كل من العضو الأصلي والعضو الاحتياطي لمدة ثلاث سنوات ، ويجوز إعادة تعيينه ، بشرط أن تنتهي مدة خدمته متى توقفت الحكومة التي عينته ، عن دفع اشتراكها في المؤسسة . وينتخب المجلس رئيساً له من بين أعضائه . ويحضر اجتماعات المجلس الممثل المقيم للمساعدة الفنية التابع لهيئة الأمم المتحدة ، بصفة استشارية .

* * *

وأما الشركة المالية الليبية ، فقد ظهرت إلى الوجود بصفة رسمية يوم ٩ يونية سنة ١٩٥٢ ، والغرض من إنشائها هو المساعدة على التنمية الاقتصادية والاجتماعية لليبيا بتقديم القروض لقاء فائدة ضئيلة جداً ، وزيادة التسهيلات المقدمة للمشروعات والبرامج الزراعية والصناعية والتجارية في ليبيا ، ويتكون رأسمالها من اكتتابات الدول والهيئات الأجنبية . وقد عين لهذه الشركة مدير إيطالي ، ورئيس ليبي .

وقد أنشئ قسم خاص بوزارة المالية الاتحادية لتنسيق العمل بين المؤسسات المختلفة ، وليكون وسيلة الاتصال بينها وبين الحكومة الليبية . ويتولى رئيس هذا القسم سكرتارية « لجنة وضع المشاريع الاقتصادية » ، وهي لجنة حكومية تتولى دراسة المشاريع المختلفة وتنسيقها واقتراحها باسم الحكومة الليبية .

مساعدة برنامج النقطة الرابعة الأمريكية (لاتاس) :

وبموجب مشروع النقطة الرابعة الأمريكية ، تشكلت في مدينة طرابلس هيئة تدعى « الهيئة الأمريكية للمساعدة الفنية » ، ويرمز لها بالحروف « لاتاس » « L. A. T. A. S. » . وقد رصدت الحكومة الأمريكية مبلغ ٢٧٠٠.٠٠٠ دولار لنفقات هذه الهيئة في ليبيا خلال المدة المنتهية في ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٣ .

المواصلات :

يمتد الطريق الرئيسى على طول الساحل من الحدود التونسية حتى الحدود المصرية ، كما توجد فى إقليم طرابلس شبكة من الطرق الثانوية يبلغ طولها ٢٨٠٠ كيلو متراً ، نصفها فى حاجة إلى إصلاح بسبب الخراب الذى أصابها من جراء الحرب . وقد أنفق على إصلاح الطرق حتى الآن ما يزيد على خمسين ألف جنيه .

ويبلغ طول خطوط السكة الحديدية حوالى ١٥٠ كيلو متراً ، ممتدة من مدينة طرابلس إلى تليل (٨٨ كيلو متراً إلى الغرب باتجاه زوارة) ، ومن طرابلس إلى العزيزية (٥٠ كيلو متراً) ، ومن طرابلس إلى تاجوراء (٢١ كيلو متراً) ، والخط الأخير خاص بالبضائع فقط .

وتسبب دلاية طرابلس خسائر سنوية من جراء تسيير هذه الخطوط . أما القاطرات والعربات فهى على العموم قديمة وغير صالحة للعمل . وقد أصيبت مباني المحطات ، باستثناء محطة طرابلس ، بأضرار بالغة أثناء الحرب . ويقدر مجموع خسائر السكة الحديدية بسبب الحرب بحوالى ٢٦٠.٠٠٠ جنيه .

ويقوم مطار إدريس (كاستل بنيتو سابقاً) ، على بعد ٢٢ كيلو متراً من مدينة طرابلس ، بخدمة حركة الطيران المدنى . وهناك خطوط طيران نظامية تمر بمدينة طرابلس باتجاه الشرق وأوربا وإفريقيا .

والميناء الصالح الوحيد فى طرابلس الغرب هو ميناء طرابلس ذاتها ، وتديره ولاية طرابلس الغرب . ويوجد عدد من الموانئ الصغيرة الأخرى أهمها ميناء الخمس ، وزليطن ، وزوارة . وتصدر من هذه الموانئ الحبوب والتمر والماشية .

وهناك خدمات بريدية كاملة فى المدن الرئيسية ، كما يوجد اتصال تلغرافى بين طرابلس وتونس ، واتصال لاسلكى بين طرابلس ومالطة ، وبنغازى ، واتصال تلغرافى لاسلكى تحت البحر بين طرابلس ومالطة ، وعن طريقه ترسل البرقيات إلى الخارج . وتتصل المدن الرئيسية فى إقليم طرابلس بخطوط تليفونية ، غير أن أكثر هذه الخطوط بحاجة إلى الإصلاح أو الاستبدال .

الفصل الرابع

مدينة طرابلس

ملاحظات عامة

طرابلس ، درة الساحل الافريقى ...

وهى أكبر مدن المملكة الليبية على الإطلاق ، إذ يبلغ عدد سكانها حوالى المئـة وخمسة وعشرين ألفاً ، منهم حوالى ثلاثون ألف إيطالى ، وخمسة آلاف يهودى .
لقد حاول الفاشيست جهدهم أن يحولوها إلى مدينة إيطالية ، وكانوا يريدون جعلها قطعة من أوربا ، قهافقوا عليها تهافت النحل على الزهر ، وامتلكوا الكثير من أراضيها ، كما امتلكوا كل كرسى فى دورأحكامها ...

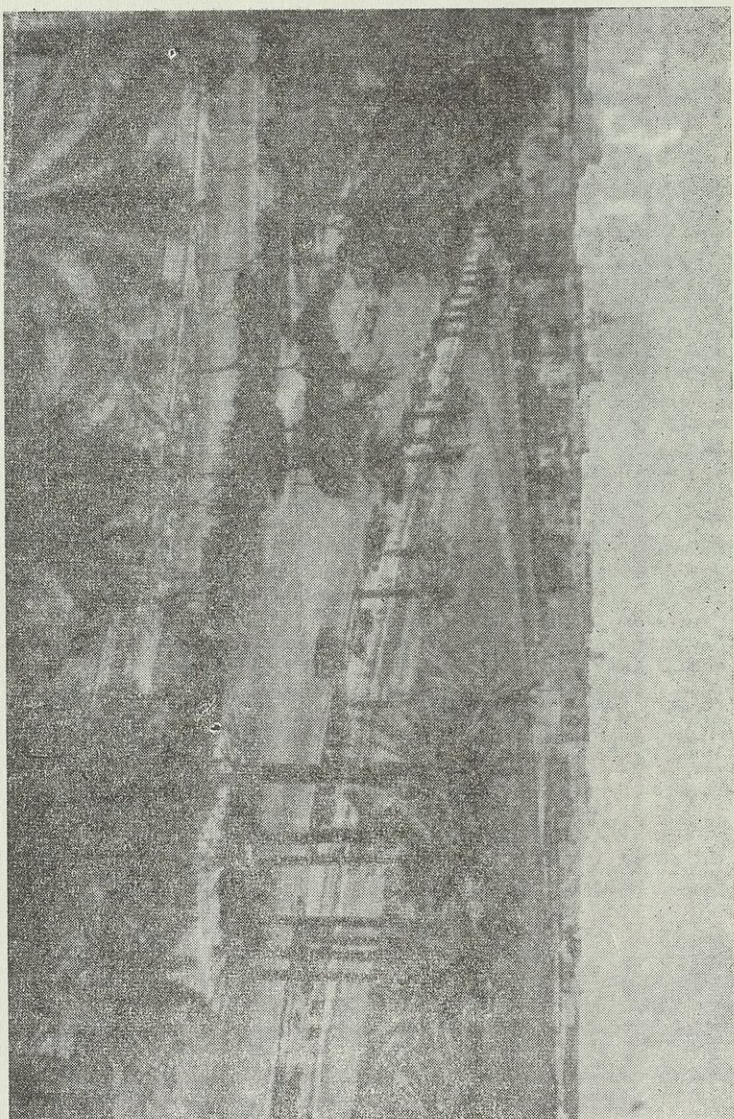
ولقد ذهب الفاشيست ، وظلت طرابلس ...

ظلت رابضة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، تعلق أمواجـه سواحلها ، وتستكين مياهه الزرقاء هادئة وديعة فى خلجانها وشطآنـها ...

ظلت شاحـة بأنفـها ، ترقب ماحل بمغتصبيها ، كما حل بمن سبقهم من الغازين والمحتملين والقاتحين والمستعمرين . لقد حل بهم ماحل بالفينيقيين والرومان والفانـدال والبيزنطيين والاسبان — كلهم ذهبوا ، وبقيت طرابلس .. شاحـة بأنفـها كما كانت دائماً ...

* * *

طرابلس ... المدينة الوقور الهادئة ..



طرابلس — شارع البحر وجانب من الحدائق العامة

[أصوير جناح]

ولكن « بلاج » طرابلس لا يختلف في الصيف عما نجده في مصايف أوروبا وأمريكا .. بل تكاد بعض شوارعها تشبه بما تموج به من فتنة فاضحة نابلي وروما والبندقية ... إذ تطرح بعض الأوربيات في الصيف الحشمة والوقار ، ويخرجن في تبرج صياح ، وزى فضاح ، يكاد مافوق الخصور يكون مكشوفاً للأبصار والعيون ، وتجدهن على البحر ، وفوق الرمال وتحت زبد الأمواج ، أجساداً ممشوقة ، وألواناً برونزية أو خمرية جميلة ، حق لتحسبهن حوراً فررن من الجنة ، جئن إلى طرابلس ليفتن أهلها ...

ومن أغرب ملاحظته ، عزوف الطرابلسيين عن هذه الفتنة المكشوفة العارية ، أو الفتنة الملتهبة فيما هو أشد إغراء من السفور المطلق ، فلا يلتقوا إليهن بالاً ، ويشيحوا عنهن بوجوههم ، ولعل ذلك من الحياء الذي فطروا عليه ، أولعهم اعتادوا مثل هذه المناظر ، حتى لم تعد تؤثر فيهم ..

* * *

وتنقسم مدينة طرابلس إلى قسمين : المدينة القديمة ، وهي واقعة إلى داخل السور ، والمدينة الجديدة ، التي بنيت في عهد العثمانيين والإيطاليين . ومع إن طرابلس مدينة فينيقية — رومانية في الأصل ، إلا أن الأثر الروماني الوحيد الباقي في المدينة هو قوس ماركوس أوريليوس ، في البلدة القديمة .

وفي طرابلس أزمة مساكن شديدة بسبب أضرار الحرب ، وتدفق العائلات الأجنبية على المدينة ، وتوقف حركة البناء — تقريباً — منذ الحرب . ويبلغ إيجار الشقة الجديدة — متى وجدت — من ٣٥ إلى ٤٥ جنيتها في الشهر . أما إيجار الغرفة المفروشة ، فيتراوح بين ٧ و١٠ جنيتها في الشهر .

وفي مدينة طرابلس ، قصر الخلد العامر . وقد بنى زمن الإيطاليين ، وأعيد إصلاحه حديثاً كي يكون لائقاً بسكنى عاهل البلاد .

وفي المدينة عدد من المساجد الكبيرة والتاريخية ، أهمها جامع أحمد باشا وجامع درغوت ، وجامع قورجى ، وجامع سيدى حمودة ، وغيرها . كما توجد فيها كاتدرائية كبرى ، أنشأها الإيطاليون بالقرب من دار البلدية .

وتشرف بلدية طرابلس على شئون المدينة ، والخدمات العامة ومراقبة الأسواق ، ويرأس المجلس البلدى اليوم السيد طاهر القره مانلى ، ويسمونه « العميد » ، وهو فى نفس الوقت ناظر العدل بولاية طرابلس الغرب ^(١) .

* * *

وفي المدينة عدد من المطاعم الحديثة ، والمقاهى ، وكلها بيد الإيطاليين . كما يوجد فيها أيضا عدد من دور السينما ، وكلها تعرض أفلاما إيطالية ، فيما عدا داراً واحدة فى البلدة القديمة ، اختصت بعرض الأفلام المصرية ، وداراً لعرض الأفلام الأمريكية والإنجليزية خاصة بأفراد القوات البريطانية .

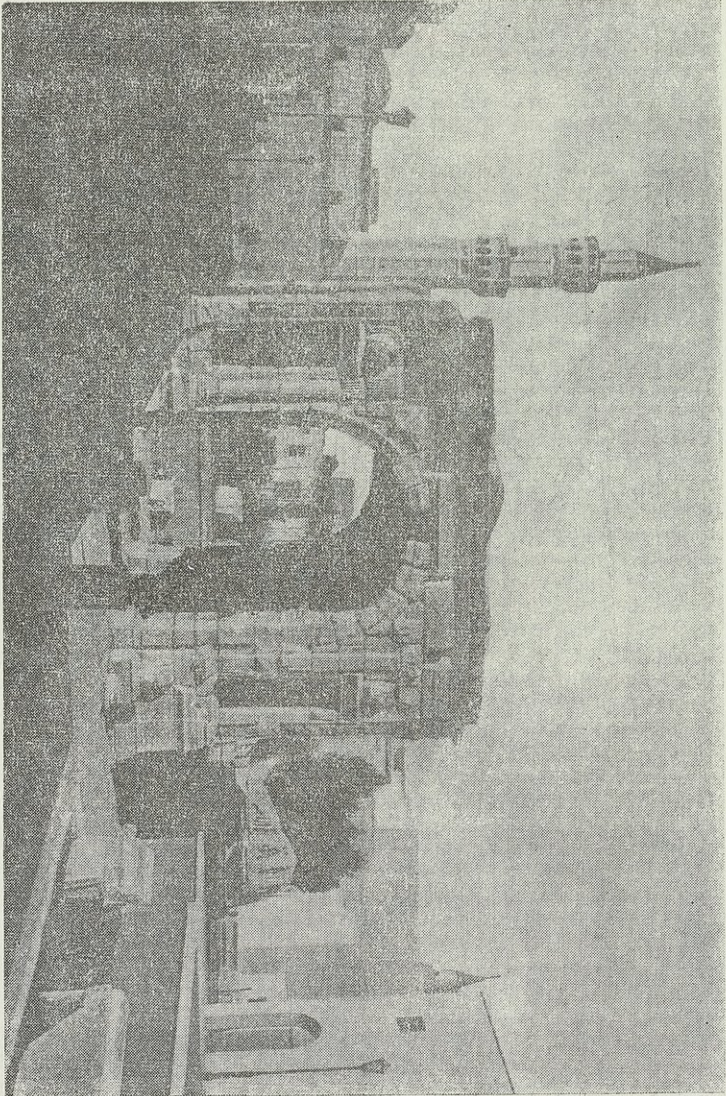
وفي المدينة أيضاً عدد من الفنادق الجيدة والمتوسطة ، أهمها فندق « الودان » ^(٢) وهو من فنادق الدرجة الممتازة ، ويحتوى على صالة للرقص ، والروليت ، ومسرحاً ، ودرجاً للسينما . وفندق « المهارى » ^(٣) — وهو من فنادق الدرجة الثانية ، وله أوركسترا تعزف ألحانها كل مساء . وفندق « فيكتوريا » ، وهو أيضاً من فنادق الدرجة الثانية ، ويمتاز بطابعه العائلى .

ويوجد فى المدينة عدد من شركات البواخر والطيران والسياحة ، ولا يوجد صرافون للعملة ، إذ تتولى البنوك هذه العملية تحت إشراف نظارة المالية .

(١) جرت انتخابات المجلس البلدى الحالى فى شهر يناير سنة ١٩٤٨ ، بموجب القوانين الإيطالية السابقة ، التى لا يزال معمولاً بها الى الآن .

(٢) الودان — هو القزال ذو القرون الطويلة المتشعبة .

(٣) المهارى — هو الجمل المهجين سريم العدو .



قوس مارکوس اور لیوس — طرابلس

ولا توجد في مدينة طرابلس حديقة حيوانات ، أو متاحف (سوى متحف القلعة) ، ولكن يوجد بها عدد من الحدائق الجميلة ، على طول شارع الكورنيش . وتربط خطوط الأتوبيس أجزاء المدينة بعضها ببعض . كما أن استعمال الحفطور والتاكسي شائع بين السكان والنزلاء على السواء ، وكذا استعمال الدراجة كوسيلة للركوب شائع جداً في المدينة ، خصوصاً بين الأجانب من كلا الجنسين . ويوجد في المدينة عدد من المفوضيات والقنصليات الأجنبية ، منها : أمريكا وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا وتركيا . والقنصلية المصرية الوحيدة في ليبيا موجودة بمدينة بنغازي .

ولا توجد في مدينة طرابلس « كباريهات » أو مسارح أو فرق تمثيلية شرقية ، كما لا توجد فيها مطاعم شرقية لائقة .

الملاحق

العملة المتداولة وودائع البنوك في طرابلس

بتاريخ ٣١ ديسمبر	العملة المتداولة		الودائع (١) بالجنهيات		
	ليرة السلطة العسكرية	قيمتها بالجنهيه	عسكرية	حكومية	أهلية
١٩٤٤	١٢٠.١٢٩.١٢٤	٢٥٨٦٠.٢١			
١٩٤٥	٨٨٠.٣٣٥.١٢٠	٢٥١٩٤٥٠			
١٩٤٦	٤٣٠.٥٦٦.١٣٢	٢٣٥٩٥١٤	(٢)		
١٩٤٧	٥٣٠.٥٥٩.٨٤٩	١٧٦٩٩١٦	٤٣٣٩٩٢	—	٧٩٥٣٦٨
١٩٤٨	٥٦٠.٧٥٧.٩١٦	١٩٠.٩٧٠.٢	١٥٨٠.٤٢	٣٦٢٠.٩٣	١٣٠.٩٩٩٢
١٩٤٩	٣٦٠.٨٤٥.٢٨	٢١٦٣.٤٥٥	١٤٧.٧٣١	٢٠.٢٢٦٥	١٠٥٥.٣٣٤
١٩٥٠	٦٩٢.٩٧٤.١٢٥	٢٣٤.٥٣١٢	٨٨٧.٧٤٨	٥٣٦.٧٨٧	١٠٠.٤٣٩٣

(١) بما في ذلك العسكريين

(٢) بما في ذلك حسابات الحكومة .

ملحق رقم ٢

عدد الموظفين في الحكومة الاتحادية والولايات
كما في أول ديسمبر سنة ١٩٥٢

العلاوة السنوية	الراتب السنوي	العدد	
ج . ل .	ج . ل .		الحكومة الاتحادية :
—	٩٨٢٤٥	٤٩٣	ليبيون
—	٢٠٣٠٩	١٠٥	إيطاليون
٩٥٩٥	١٧٢٧٧	١٩	بريطانيون
١٠٢٠	٢١٢٥	٣	فرنسيون
٨٥٠	٥٤٦٠	١٠	شرق أوسط
			ولاية طرابلس :
—	٤١٧٣٦٢	٢١٧٢	ليبيون
—	١٦٠٧٨٧	٧٢٤	إيطاليون
٦٠٣٠٤	٨٠٥٠٠	١١٥	بريطانيون
٥٩٠٠	٤٨٢٨٠	٩٨	شرق أوسط وغيرهم
			ولاية برقة :
—	٣١٨٨٨٨	١٣٤٨	ليبيون
٦٤٣٢٦	١٠٠٢٧٠	١٤٠	بريطانيون
١٠٧٢٦	٧١٨٣٢	١٧٤	شرق أوسط

متوسط سقوط المطر بالمليمتر ، والمتوسط السنوى لدرجات الرطوبة

الجهة	المتوسط السنوى للأمطار	عدد السنين	المتوسط السنوى لدرجات الرطوبة	عدد السنين
طرابلس	٣٧٠.٥٨	٧٠	٦٢	٣٤
أبو كاش	١٨٣.٥٥	٢١	—	—
زواردة	٢٢٣.٢٢	٣٤	٦٨	١٠
صبراتة	١٧٧.٥٥	١٧	٦٥	١٥
الزاوية	٢٦٧.٢٤	٢٦	—	—
قصر القرا بوللى	٣٢٠.٥٩	١٩	٦٢	٨
الخمس	٢٦٨.٥٧	٣٠	٦٦	١٩
زليطن	٢١٥.٥٧	١٧	٦٥	٨
مصراتة	٢٤٧.٢٤	٢٩	٦١	١٥
تاورغة	١١٩.٢٢	١٠	—	—
سرت	١٧١.٥٠	١٧	٦٤	١٠
بيانكى	٣٠٠.٥٧	١٠	—	—
سوانى	٢٥٦.٢٦	١٥	—	—
العزيرة	٢١٤.٢٤	٣٤	٥٠	٢١
فندق بن غشير	٢٩٦.٢٦	٢٣	٤٩	١٤
يفرن	٢٦٣.٢٣	١١	٥٥	٨
غريان	٣٢٢.٢٦	٢٧	٤٢	٢٦
ترهونة	٢٥٩.٥٠	٣٠	٥١	١٦
ماركونى	٢٢٧.٢٩	٣١	—	—
القصبات	٣٢١.٢٢	١١	٥٥	٨
بنى وليد	—	—	٥١	١٣
مزدا	—	—	٤٣	١٦

الحد الأدنى لدرجات الحرارة (مئوية)

الجهة	الحد الأدنى لدرجة الحرارة	الشهر والسنة
طرابلس	— ٠.٦	يناير ١٩٤١
زوارة	٠.١	يناير ١٩٣٥
الزاوية	— ٠.٨	يناير ١٩٣٥
الخنس	٠.٢	ديسمبر ١٩٢٥
زليطن	٠.٢	يناير ١٩٣٢
مصراته	٠.٢	يناير ١٩٢٧
سرت	٠.٤	فبراير ١٩٣٣
فندق بنى غشير	— ٤.٢	يناير ١٩٤١
العزينة	— ٣.٢	يناير ١٩٢٣
يفرن	— ٢.٧	يناير ١٩٣٤
غريان	— ٤.٨	يناير ١٩٢٥
ترهونه	٠.٠	يناير — فبراير ١٩٣٣ / ٣٤
القصبات	٠.٠	يناير ١٩٣٥
مзда	— ٥.٠	يناير / فبراير ١٩٢٦
بنى وليد	— ١.٠	يناير ١٩٣٥

درجات الحرارة القصوى (مئوية)

الجهة	درجة الحرارة القصوى	الشهر والسنة
طرابلس	٤٥٫٦	أغسطس ١٩٤٥
زوارة	٤٨٫٥	يونيو ١٩٢٥
الزاوية	٥٣٫٠	يونيو ١٩٣١
الخنس	٤٩٫٠	أغسطس ١٩٣٤
زليطن	٥٠٫٢	يوليو ١٩٣٢
مصراته	٥١٫٢	يونيو ١٩٣٩
سرت	٥١٫٠	يونيو ١٩٢٦
فندق بن غشير	٥١٫٤	أغسطس ١٩٤١
العزبية	٥٨٫٠	سبتمبر ١٩٢٢
يفرن	٥١٫١	أغسطس ١٩٢٥
غريان	٤٤٫٨	يوليو ١٩٣٢
ترهونة	٥٠٫٧	يونيو ١٩٢٦
القصببات	٤٧٫٠	يونيو ١٩٢٥ / ١٩٣٠
مзда	٤٩٫٨	يوليو ١٩٢٥
بنى وليد	٥٦٫٨	يونيو ١٩٣٩

إحصائيات تجارية عن طرابلس في العهد العثماني

سنة ١٨٥٠ — الإنتاج المحلي :

الحبوب ٢١٢٧٠٠ قنطار
الزيت ١٣٧٥٨٠٠ كيلو جرام
السمن ٤٦٠٠٠٠ كيلو جرام
الماشية ١١٧٨٨ رأساً
بضائع جلبت من إفريقيا وأعيد تصديرها :

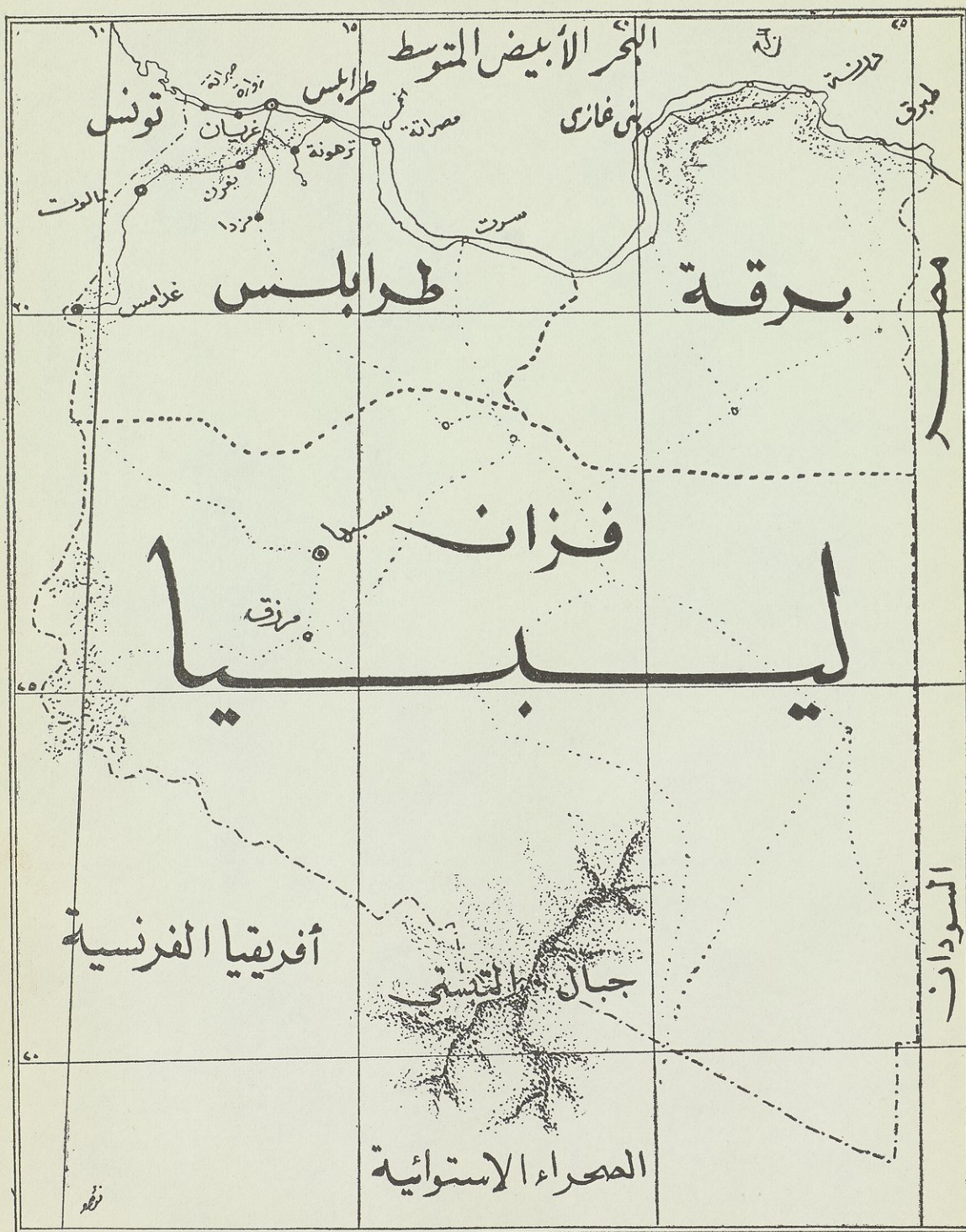
العاج ٧٧٠٠٠ كيلو جرام
ذهب خام ١٠٩٠٠٠ غرام
عبيد ٢٧٠٨ عبداً
واردات طرابلس سنة ١٨٩٨ :

من إنجلترا ٢١٦٨٠٠٠ فرنكاً (الفرنك يساوي أربعة قروش)
» من فرنسا ١٨٠٠٠٠٠
» من تركيا ١٦٠٠٠٠٠
» من إيطاليا ١٢٠٠٠٠٠
» من النمسا ٥٥٠٠٠٠
» من ألمانيا ٣٠٠٠٠٠
» من بلجيكا ٢٥٠٠٠٠
» من بلدان أخرى ١١٧٢٠٠٠
» المجموع ٩٠٤٠٠٠٠

صادرات طرابلس سنة ١٨٩٨ :

إلى إنجلترا ومالطة ٣٥٠٠٠٠٠ فرنكاً
» إلى فرنسا ٣٠٦٧٠٠٠
» إلى أمريكا ٨٠٠٠٠٠
» إلى تركيا ٥١٧٠٠٠
» إلى الجزائر وتونس ٥٢٢٠٠٠
» إلى إيطاليا ٢٠٠٠٠٠
» إلى بلدان أخرى ١٣٥٠٠٠٠
» المجموع ٩٩٥٣٠٠٠

المعنى	الكلمة	المعنى	الكلمة	المعنى	الكلمة
صرصار	زقرلشو	خوخ	عويثة	أنظر	إشبح
يوسف افندى	كينيا	تين	كرموس	ورق	كاغط
فول سودانى	كاكوية	جزر	اسفنارى	نافذة	روشن
بسرعة	فيسع	زهرة القرنبيط	بروكلو	زجاج	مورش
إجلس	قعمز	بيض	دحى	ناده	ضربح عليه
شيشب	ترليك	أربع بيضات	حارة دحى	تنزه	تدهور
طعام، أكل، وليمة	زردة	بدلة	كسوة	حنفية الماء	شيشمة
كثير، كافى	ياسر	كبريت	وقيد	عفش أو ملابس	دبش
خر	نو	سجائر	سبسى	صحن	صونية
كثير جدا	هلبا	علبة سجائر	قرطاس سبسى	كباية	طاسة
انتظر	راجى	قلم رصاص	لابس	شوكة	فركيكة
قطعة	قطوس	إذهب	اتسقد	ملعقة	كاشيك
قيص	سورية	قمح	طعام	دبوس	طوبلى
زجاجة	شيشة	ليلة البارحة	ليلة تولا	صحن كبير	معجنة
دلق، رى	بطّاع	سمك	حوت	منزل	حوش
فضة	فجرة	ديك	سردوك	غرفة	دار
كيف حالك	وين جيت	نظارات	مرايات	عمارة كبيرة	بلاص
ماذا تفعل	ويش تدير	تحت، أسفل	لوطا	سيارة	كرهبا
شماعة ملابس	شكاجة	حصان	جادور	حديقة فواكه	حوازة
إخوة	خوت	خم	بياض	حديقة صغيرة	سانية
برتقال	ليم	جورب	شخشير	حديقة منزلية	جنان
جوز	لوز خزاينى	مطبخ	كوجينة	زقاق	زنقة
بندق	لوز أحر	سرير	برندة أو ناموسية	شارع	جادة
أرسل له	دزله	ملاءة السرير	شرشاف	غاضب	متششش
بالمره، بالسكية	بكشل	الزوجة	العيال	غنى	مبسوط
يبدأ	يطبّس	فرن	كوشة	كويس، جيد	باهى
المولد النبوى	ميلود	ذكرنى	وقدنى	يضب، يضطرب	يرعش
مزكوم	مسقوع	غداً	غدوة	بطيخ	دلاع
				شمام	جلعاوى



محتويات الكتاب

صفحة

المقدمة	١١
المراجع	١٣
تمهيد : المملكة الليبية المتحدة	١٦

القسم الأول — الماضي

الفصل الأول : طرابلس الغرب بين الأسطورة والتاريخ	٢٩
الفصل الثاني : طرابلس الغرب من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي	٣٧
الفصل الثالث : من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية	٦٠
الفصل الرابع : الدولة الفاطمية وما بعدها	٧٦
الفصل الخامس : طرابلس في العهد العثماني	٩٢
الفصل السادس : الاستعمار الإيطالي	١١٤
الفصل السابع : الإدارة البريطانية	١٣٣
الفصل الثامن : ميلاد دولة	١٤٩

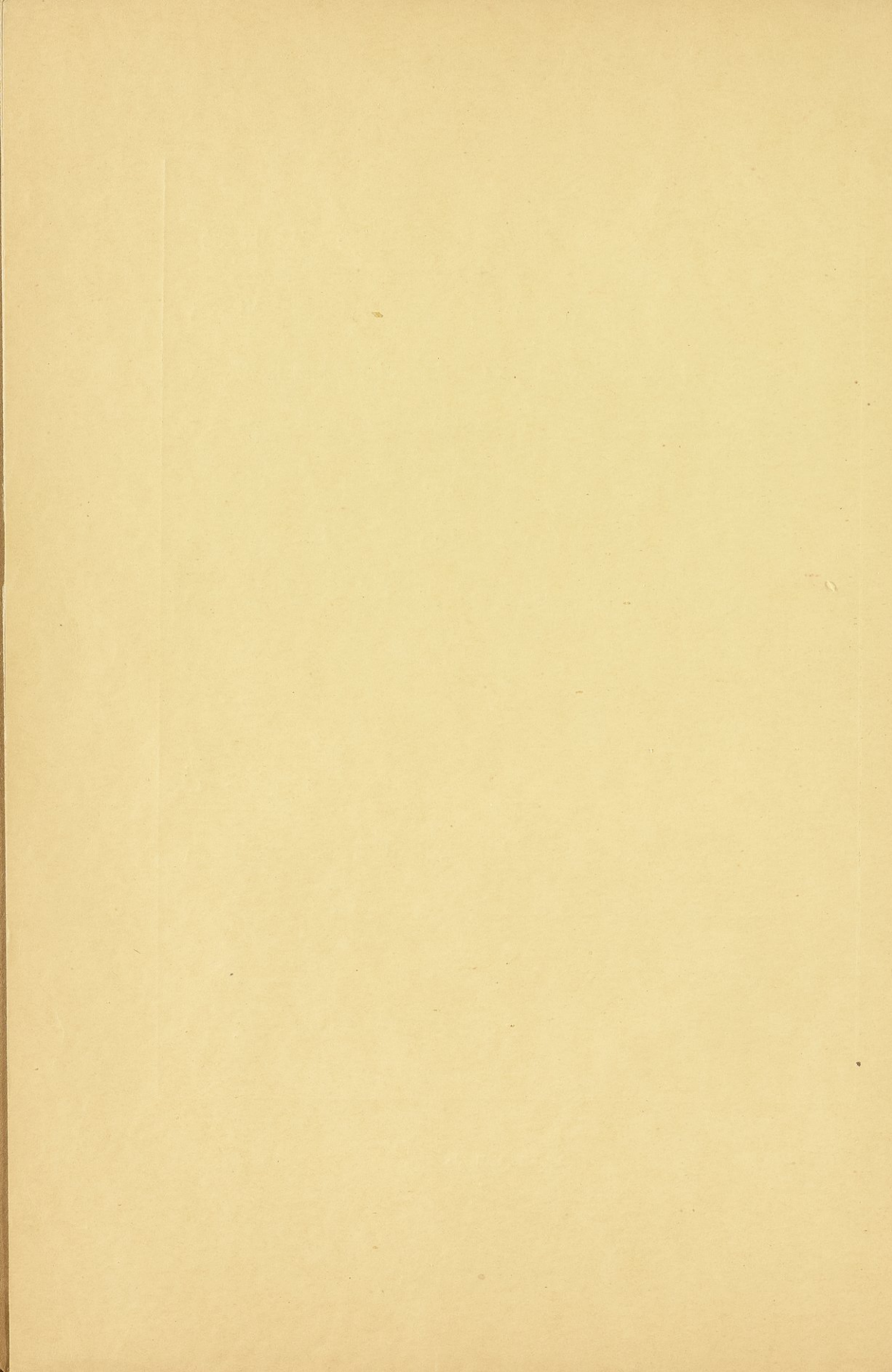
القسم الثاني — الحاضر

الفصل الأول : الوصف الجغرافي ، السكان ، الأقليات الأجنبية	١٧٩
الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية والثقافية	١٩٦
الفصل الثالث : الحالة الاقتصادية والمالية	٢٣١
الفصل الرابع : مدينة طرابلس — ملاحظات عامة	٢٥١
ملاحق	٢٥٩

فهرست الصور

صفحة

٣	الملك إدريس الأول
٥	الرئيس محمود المنتصر رئيس الوزراء ووزير الخارجية
٧	صورة المؤلف
٣٥	الامفتياتر الروماني — صبراتة
٤١	آثار لبدة الرومانية
٤٥	قاعة البازليكا — صبراتة
٥٣	آثار لبدة — العصر الروماني
٥٧	جانب من آثار لبدة — العصر الروماني
٦٧	الحمامات — آثار لبدة — العصر الروماني
٨٩	منظر عام للسراى الحمراء (القلعة) من البحر
٩٥	جامع أحمد باشا القره مانلى — طرابلس
١٠٩	سوق المشير — طرابلس
١٢٥	منظر فى المدينة القديمة
١٣١	الاحتفال بالمولد النبوى الشريف (زليطن)
١٤٥	قصر الخلد العامر
١٧٧	منظر فى إحدى الواحات
١٨٥	الطريق إلى غريان
١٨٩	مدينة غريان
١٩٣	سوق الصنائع — طرابلس
١٩٩	منزل منحوت فى الجبل — غريان
٢٠٥	تمثال وميدان الغزالة — طرابلس
٢١١	منظر عام لمدينة طرابلس الجديدة
٢٢١	ميدان الشهداء (طرابلس)
٢٢٩	سوق الحصر — مصراته
٢٥٠	شارع البحر
٢٥٥	قوس ماركوس أوريليوس
٢٥٩	خريطة ليبيا

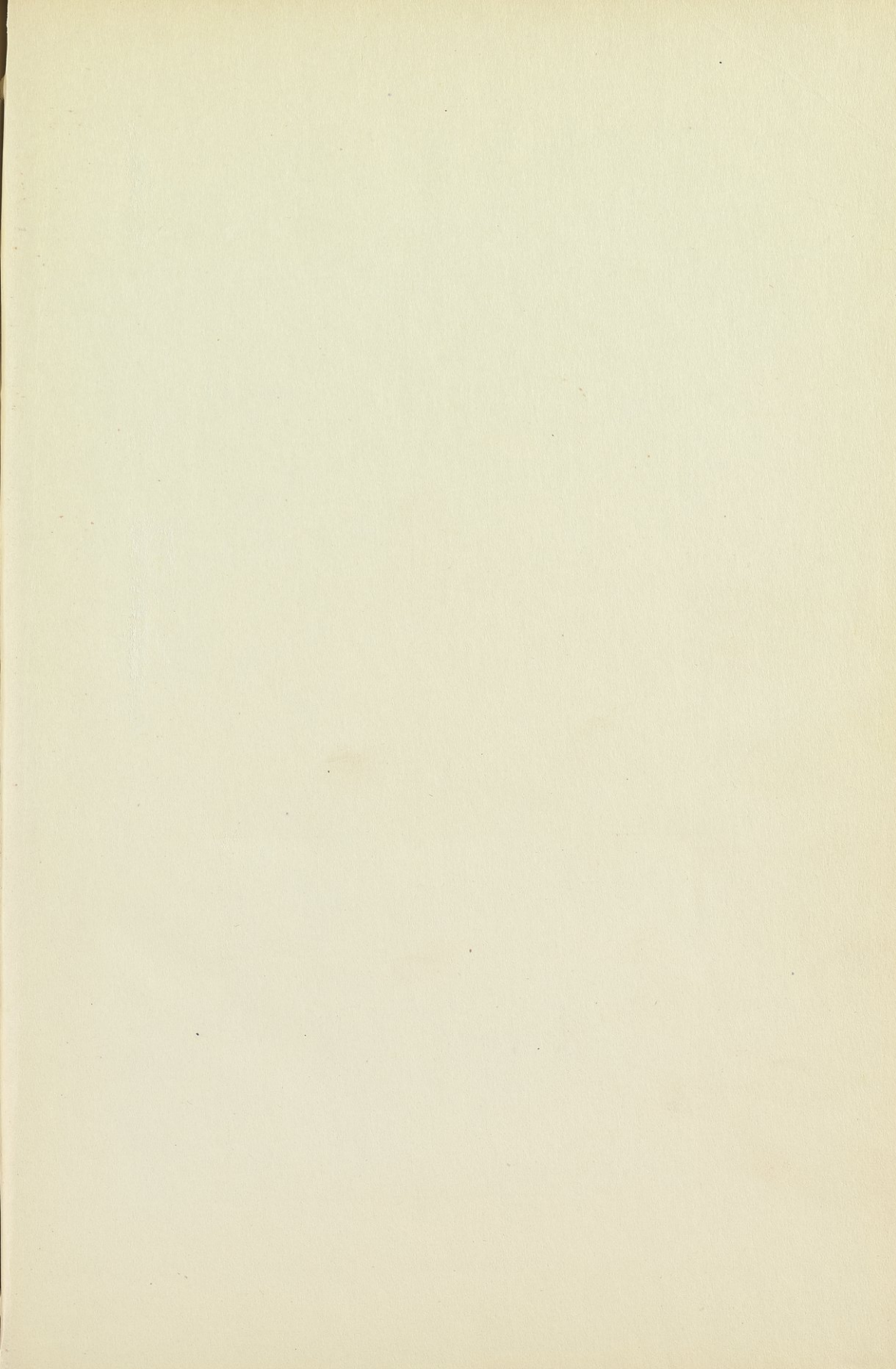


كتب المؤلف :

- ١ - الإسلام والحرية الفكرية (القدس ١٩٣٦)
- ٢ - Tragedy of a Nation - Story of the Cherkess - Jerusalem 1939
- ٣ - مصر والشراكسة - صفحات من تاريخ مصر الحديث (القاهرة ١٩٤٨)
- ٤ - جان - قصة (القاهرة ١٩٥٠)
- ٥ - كارمن - قصة مترجمة (القاهرة ١٩٥٠)
- ٦ - عبد الحميد - ظل الله على الأرض (مترجم) - القاهرة ١٩٥٠

في التحضير :

- ١ - الإسلام : من القرآن الكريم والحديث الشريف .
- ٢ - الروائع : مجموعة مختارة من أحسن ما كتب في الشرق والغرب .
- ٣ - روائع القصص : قصص مترجمة لأشهر كتاب القصة العالمية .
- ٤ - برقة وفزان : في الماضي والحاضر .



COLUMBIA UNIVERSITY



0026812207

960.5
R89

BOUND

JUL 13 1956

